رابطة الأدب الإسلامي العالمية
مكتب البلاد العربية





مسرحيات إسلامية قصيرة

مجموعة من الكتّاب

العبيكان
Obeikan

فهرس المحتويات

تقديم

حرصت رابطة الأدب الإسلامي العالمية على تجلية الأدب الإسلامي من خلال الفنون الأدبية المختلفة شعرا وقصة ومسرحية؛ لما لذلك من أهمية في الدعوة إلى الله سبحانه، وبناء الإنسان والمجتمع والأمة، فشجعت المبدعين في هذه المجالات وخصصت لذلك أبوابا، وأعدادا في مجلة الأدب الإسلامي التي تصدر عن مكتب البلاد العربية في الرابطة.

هذا؛ بالإضافة إلى مطبوعاتها الخاصة في هذه الفنون، فأصدرت عددا من الدواوين الشعرية، والمجموعات القصصية، والروايات.

وها هي ذي تصدر كتابها الثاني في المسرحية متضمنا أربعين مسرحية إسلامية قصيرة، مما نشر في مجلة الأدب الإسلامي من العدد الأول إلى العدد الرابع والستين، وكان الكتاب الأول في المسرحية (محكمة الأبرياء) للشاعر د. غازي مختار طليمات، وهو مسرحية شعرية طويلة ذات موضوع واحد عن مأساة البوسنة والهرسك.

وتأمل الرابطة أن يجد القارئ في هذه المسرحيات القصيرة المتعة والفائدة، مع ما يتجلى فيها من الحفاظ على الأهداف الإسلامية من خلال تنوع المسرحيات، التي تتكون معظمها من فصل واحد، بمشاهد متعددة، لكتاب متعددين يوظفون التاريخ العربي والإسلامي، ويقومون باستدعاء الشخصيات التراثية في تشكيل هذه المسرحيات، ويعالجون الواقع المعيش للأمة خلالها، كاشفين جوانب البطولة والتقدم، وهم يقدمون للأمة أروع النماذج في الثبات على العقيدة والمبادئ، والتضحية والفداء، والعلم والمعرفة، مستثمرين في بنائها ما يتيحه المسرح من تقنيات فنية، وإمكانات إعلامية في النهوض بالإنسان المسلم في عصر العولمة اليوم.

ولما كان الأديب الكبير علي أحمد باكثير رائد المسرح الإسلامي؛ يمثل قمة متميزة، وقيمة فنية عظيمة؛ فقد رأت الرابطة إصدار كتاب آخر يضم إحدى وأربعين مسرحية قصيرة من مسرحيات باكثير ، ومنها عدد من مسرحياته التي نشرت في مجلة الأدب الإسلامي.

د. سعد أبو الرضا

العبور

بقلم: د. عماد الدين خليل– العراق

يطالع القارئ في هذا النص حوارا على لسان شخصيات تاريخية في عصور متباينة، جمع بينها في هذا النص الإسلامي، الذي يجرب من خلاله لأول مرة – في نص إسلامي – تقنية أدبية عالية، سبق أن استخدمتها بعض مسرحيات قلائل في المسرح التجريبي.

* * *

(مركب في عرض البحر حيث يبدو إلى اليسار جانب من الشاطئ يقف جعفر ابن أبي طالب على حافة المركب يحيط به حشد من المهاجرين..).

جعفر: الحمد لله، ها نحن قد ابتعدنا عنهم، ولا أعتقد أن بمقدورهم الآن اللحاق بنا، لقد كادت أيديهم تصل إلينا قبل أن نضع أقدامنا على هذا المركب.. ماذا يريدون؟ فوالله ليمضين هذا الدين بأذرعنا إلى حيث أراد له الله..

ابن مظعون: إنما هي محنة وسنتجاوزها إن شاء الله.

جعفر: ونرجع إليهم لكي نصفي معهم الحساب.

ابن مظعون: أترى رسول الله سيلحق بنا؟

جعفر: (**مبتسما**) فمن يكون للدعوة إذن؟ من يقف قبالة الوثنية يلوي عنقها؟

ابن مظعون: ولكنني أخشى عليه وعلى أصحابه الذين بقوا معه هناك.

جعفر: (**وهو ينظر صوب الشاطئ البعيد**) لا تخش شيئا يا أخي، فلينصرن الله دينه، أترى رحلتنا عبر هذا البحر؟ إنها رحلة كرحلتنا هذه.. عبور عبر المخاطر والعواصف والأنواء، صوب الأمن والسلامة.. انظر.. فها هي الطيور تحوم في البعيد، ومعنى هذا أننا أوشكنا على إلقاء مراسينا عند الضفاف الموعودة، إن دعوتنا ستعبر المخاطر هي الأخرى، وسوف تلقي مراسيها يوما!

ابن مظعون: ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.. ولكن قل يا جعفر.. أتراه سيفتح لنا صدره؟.

جعفر: بكل تأكيد، ما دام رسول الله قد اختاره ملجأ، فمعنى هذا أنه سيلقانا بالترحاب.

ابن مظعون: ولكنني أخشى أن يؤثروا عليه، ويغيروا صدره علينا.

جعفر: من؟

ابن مظعون: بطانته، وربما.. من يدري؟ قد ترسل قريش من يدفعه دفعا إلى رفضنا..

جعفر: هون عليك يا ابن مظعون، فإني أعرف كيف أريه الحق حقا والباطل باطلا، وسأقنعه بقبولنا..

ابن مظعون: ما لنا وللهواجس والاحتمالات.. إن مهمتنا الآن هي أن نعبر، وليفعل الله بعدها ما يشاء..

جعفر: (هامسا) ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ **(الزخرف:) (مناديا) يا عبدالله، ركز بصرك في الأفق، فإن لمحت خط الشاطئ فكبر ثلاثا فإني أحس أننا قد أوشكنا على الوصول.**

عبدالله: سمعا يا ابن عم رسول الله..

(تنفجر على حين غفلة جلبة عنيفة، وترتفع الأصوات الصارخة، ويهرع حشد من الرجال إلى وسط المركب، ونلمح من بينهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح وهو ينادي).

ابن أبي سرح: ارموا الكلاليب والحبال على مراكبهم، واعبروا إليهم.. وقاتلوهم هناك، فوالله ما أريد أن يسمع أمير المؤمنين بأننا قد هزمنا في أول لقاء بحري حاسم مع العدو **(يرفع صوته أكثر)** انتصروا.. أو موتوا!

(يهرع المقاتلون إلى رمي الحبال والكلاليب ذات اليمين وذات الشمال وترتفع

نداءات: الله أكبر، وهم يعبرون إلى مراكب البيزنطيين ويشتبكون معهم بالخناجر والأيدي والعصيّ والسيوف).

أحد المقاتلين: (**وهو ينزف دما**) لقد عبرت والله يا ابن أبي سرح مع أبي يوم الهجرة إلى الحبشة فسمعت جعفرا رضي الله عنه يقول قولتك هذه.. انظر إلى البحر أصبح ثبجه دما!!

ابن أبي سرح: وسيقولها من بعدي آخرون.. ولكن بدون هذا الذي تراه يخفق مع زبد البحر، بدون الأيدي التي تقاتل، والقلوب التي تتفجر باليقين، والعقول التي تعي جيدا كيف تصنع المصير العظيم، فلن يكون شيء.. (**يصرخ**) يا أبناء صحابة رسول الله.. شدوا..

المقاتل: (**وهو يلفظ أنفاسه على حافة المركب**) ليس أحب إلي من الجنة التي تلوح لي إلا أن يحييني الله مرة أخرى لكي أواصل القتال.. يا ابن أبي سرح: أبلغ أمير المؤمنين عني السلام، وقل له: إن أمة تتمنى الحياة لكي تجابه بها الموت، سوف تعبر بحار العالم كلها تغرس راياتها الخضراء في الموانئ والتخوم.

طارق بن زياد: (**يتحلق حوله في المركب حشد من المقاتلين**) بلغني أيها المجاهدون أن لوذريق قد أعد لنا جيشا كبيرا، وما نحن الآن إلا قلة، ولكنني مصمم على أن أعبر إليه وأقاتله، فما هي إلا العزيمة منكم، والإيمان في قلوبكم حتى نرده على أدباره.. وما أريد أن ألقي بكم في التهلكة، ولكنني علمت من تنازع القوم، وضعفهم، وطمعهم في الدنيا وتهالكهم عليها ما لا يغني عنهم جمعهم الكثير، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله!

أحد المقاتلين: اعبر إليهم، فوالله لا نقول لك إلا ما قاله سعد بن معاذ لرسول الله ﷺ يوم بدر: امض بنا يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف عنك رجل واحد.

مقاتل آخر: (**صارخا**) اعبر يا ابن زياد، فما هي والله سوى إحدى اثنتين: النصر أو الجنة.

عبدالرحمن بن بشر: والله يا طارق لكأني بأبي قبل سنوات يحدثني عن ذات الصواري، ويقول: كان أعداء الله أكثر منا بكثير، وكانت سفنهم تملأ البحر، وكنا نحن قلة من المقاتلين في قلة من المراكب، لم نجرب بعد قتال البحر، لكنّ إذْنَ أمير المؤمنين لنا باقتحامه أشعل في قلوبنا نار الشوق إلى المجازفة، وكنا نعرف جيدا أن ابن أبي سرح سينتزع النصر بكلمة الله..

طارق بن زياد: سننزل هذه المرة إلى أرضهم ونقاتلهم فيها، وستجدون أنفسكم بين بحر يمتد وراءكم وعدو ينتشر أمامكم، فليس لكم – ثمة – إلا الصدق والصبر.

أحد المقاتلين: ارمنا بهم، وستعرف كيف غضب الله، ولمن تكون الغلبة؟.

طارق بن زياد: سوف تمضي أيام قبل أن نلقي مراسينا على الشاطئ، وأخشى أن تنطفئ الجمرة في قلوبكم، فبوقدتها التي تكوي فتحتم نصف العالم.. وبها ستفتحون نصفه الآخر.

أحد المقاتلين: لن تكون مياه البحر قادرة على إطفائها.. إن كتاب الله في قلوبنا، وإن زيته الدري يعرف كيف يصنع الجمر المتوقد ويحميه من الخمود والانطفاء.

طارق بن زياد: يا جند الله أبشروا، فوالله ما هي إلا أيام قلائل وتعبرون إلى ما تشتهون، النصر أو الجنة!

مسلمة بن عبد الملك: **(على مركبه، قبالة القسطنطينية مع حشد من قادته وجنده)** أرأيتم أيها المقاتلون؟ ها هي الشهور تكر، والأسابيع تنصرم، وليس ثمة ما يوحي بالنصر المرتجى.. إن العبور إليهم، واقتحام أسوارهم لهو المستحيل، وأنتم ترون بأعينكم قوة تحصينهم، وشدة منعتهم، وهم يأكلون ونحن نزداد جوعا، ويتدفؤون ونحن نعاني الزمهرير.. وها هو الوباء يحاصرنا فيزيدنا ضعفا على ضعفنا..

أحد القادة: إنها التهلكة إذن، ولن يرضى الله سبحانه أن نلقي بأيدينا إلى التهلكة..

مسلمة: ولكن الخليفة يصر على مواصلة الحصار..

القائد: وهل يدري الخليفة ما ينزل بنا؟

مسلمة: بعثت إليه برسالة أفصل له فيها القول، وإني منتظر الجواب..

الرسول: (**يقترب من مسلمة ويمد يده بالكتاب**) جئت أنعي إليكم الخليفة السابق سليمان رحمه الله، وأحمل كتاب خلف أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، وهو أول ما كتبه بعد تلقيه البيعة!

مسلمة: (**يقرأ الكتاب بين الفرح والحزن، ثم يلتفت إلى قادته**) ها قد جاءكم الفرج.. أمير المؤمنين يأمر بالانسحاب فورا، قبل أن يأتي الفناء على من تبقى منا، ويقول: إنه التهلكة التي حذرنا منها كتاب الله، وإن دم المسلمين يجب أن يدخر للجولات القادمة وألا يذهب هدرا..

القادة والجند: الحمدلله.. الحمدلله..

مسلمة: (**مخاطبا نفسه**): والله إنه ليس الخوف من الموت، ولكنها الحكمة التي تقضي بالانسحاب، وسوف يأتي اليوم الذي نعبر فيه إليهم.. يقينا إنه سيأتي.. أتراني يكتب لي شرف الإسهام فيه؟ (**تدمع عيناه**).

أسد بن الفرات: (**وهو يمد بصره شمالا من مقدمة المركب الذي يقله وحشد كبير من الجند**) لن يطول بنا السرى، فما هي إلا بضع ساعات ونكون عند شطآن صقلية بإذن الله!

أحد المقاتلين: بارك الله فيك أيها القائد الفقيه، لقد عرف الأمير ابن الأغلب كيف يختار قائده للحملة الكبيرة، إنه يريد أن يبعث روح الجهاد مرة أخرى.

متطوع أندلسي: عندما سمعت وإخواني أن الفقيه المعروف أسد بن الفرات هو الذي سيقود حملة الفتح قلنا: إنها الفرصة التي كنا ننتظرها من زمن بعيد.. فلنتطوعن جهادا في سبيل الله وابتغاء لمرضاته..

متطوع مغربي: لقد رأيت بعيني طلبة العلم وهم يتدفقون إلى فاس من القرى

والأرياف يسألون عن الطريق الذي يوصلهم إلى تونس، والوجهة التي ينبغي لهم أن يسلكوها.. وانطلقنا جميعا لكي نلحق بالحملة قبل أن تفوتنا الفرصة، لقد عاد والله زمن الجهاد!

أسد بن الفرات: (**وهو يلتفت إلى الجند**) سنرمي بثقلنا هناك، وسوف نلقى مقاومة كبيرة في أرض وعرة، كثيرة الشعاب، لا نكاد نعرف عنها شيئا، ولكنه الشوق إلى إحدى الحسنيين، سيمكننا منهم بإذن الله.. لقد عبر طارق بن زياد البحر إلى الأندلس في قلة من أصحابه، ولكنه انتصر على عدوه الذي يفوقه عددا وعدة، وركز رايات الإسلام هناك، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله..

أحد القادة: لقد تصور العدو إذ صدَّ الغافقي عن اختراق فرنسا وردَّ مسلمة بن عبد الملك عن القسطنطينية أنه أوصد الأبواب أمام الضربات الإسلامية إلى الأبد.. ها نحن أيها الفقيه الجليل نخترق خطوطه من القلب، ومن يدري؟ فلعل أوروبا ستشهد في يوم ما تدفق جند الإسلام إلى أراضيها..

أسد بن الفرات: (**مبتسما وهو يربت على كتفه**) قل: إن شاء الله!

محمد الفاتح: (**على المركب نفسه تحيط به حاشيته وقادته وتبدو بعض أسوار القسطنطينية واستحكاماتها**) أيها المسلمون، هذا يومكم الذي انتظرتموه طويلا.. أربعة قرون وأنتم تحلمون به.. إن أرواح أبي أيوب الأنصاري، ومسلمة ابن عبد الملك، وكل الجنود المجهولين الذين استشهدوا وهم يحاولون العبور إلى حصون أعداء الله.. يطلون عليكم من فوق، يشدون على أيديكم، ويدعون لكم بالنصر المبين (**يرفع يديه إلى السماء ويجأر بالدعاء**) اللهم فنصرك الذي وعدت.. اللهم فنصرك الذي وعدت..

جموع القادة والجند: آمين.. آمين..

محمد الفاتح: أسابيع طوال ونحن نشدد قبضتنا عليهم ونضيق فيهم الخناق، وها قد آن الأوان لإنزال الضربة الحاسمة.. غدا فجرا ستنطلق مراكبنا – على بركة الله – لكي تشن الهجوم الأخير وتقتحم الأسوار.

المقدم عبد العال حلمي: (**على المركب نفسه يحيط به عدد من الضباط والجند**) وكونوا حذرين فإن العدو إذا اكتشف أمرنا، أحبط عملنا، إنها الفرصة التي كنا نحلم بها منذ سبع سنين، والتاريخ لا يمنح فرصة بسهولة..

أحد الضباط: دقائق معدودة وسوف تخبرنا أيها المقدم.

ضابط آخر: في لحظات التوتر يجثم الزمن على صدر الإنسان بكل ثقله وجبروته، فلا تكون الدقيقة دقيقة بل ساعة، وتصير الساعة أياما وشهورا.

المقدم عبدالعال: على رسلك، فإنه لم يتبق ثمة ما يفصلنا عن المصير..

الضابط: ليس النصر وحده ما أتحرق شوقا إليه، ولكنه الانتقام.. وأصارحك القول فإن مشاعر قرون طويلة من الكراهية لأعداء الله، تتركز الآن، هذه اللحظة، هنا (**يشير إلى قلبه**)..

المقدم عبدالعال: سننطلق بهذا الاتجاه.. أترون ذلك الجرف المطل على الجهة الأخرى من البحر؟ سنرسو هناك، لكن ما نلبث أن نتسلل إلى أقرب موقع للعدو ونسعى لتدميره..

الضباط والجنود: رهن إشارتك أيها المقدم..

المقدم: (**ينظر إلى ساعته**) فلنتوكل على الله، لقد حلت ساعة الصفر.

(ينطلق المركب، وما نلبث بعد قليل أن نسمع صوت انفجارات متتالية وتراشق بالأسلحة، ونداءات الله أكبر.. الله أكبر.. تشق أجواء الفضاء.. وتتداخل الرؤية فيبدو خط بارليف في الأفق البعيد، ثم يتغير شيئا لكي يظهر كما لو كان جانبا من حصون القسطنطينية، وحينا ثالثا يتكشف عن ساحل الأندلس، أو قبرص، أو الحبشة، أو صقلية.. ثم ما يلبث أن ينكشف الظلام، ويبدو الفجر مضيئا، والمركب يستقر على الساحل، وينزل منه ستة مقاتلين يحمل كل منهم بندقيته الرشاشة متجها صوب أحد مواقع العدو..)

جعفر بن أبي طالب: (**وهو يندفع إلى خط بارليف**) لحظات وتكف الملاحقة، إذا تمكنا من سحق رأس الأفعى فلن نخشى لدغتها أبدا..

ابن أبي سرح: (**مندفعا بالاتجاه نفسه حاملا بندقيته الرشاشة صارخا بالجنود من ورائـه**) سلطوا مياه خراطيمكم على هـذا الساتر وافتحوا الطريق للمدرعات..

طارق بن زياد: (وهو يتوقف لحظات على الساحل موجها كلماته للجند المتدفقين) البحر من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر (**ثم ما يلبث أن يطلق النار وهو يتقدم إلى خط بارليف**).

مسلمة بن عبد الملك: (**صارخا**) ها قد عدنا يا أعداء الله، وسوف ندك حصونكم على رؤوسكم، ولن تحميكم استحكاماتكم من بأسنا..

محمد الفاتح: (**وهو يهرع إلى أحد المدافع ويرمي به مواقع العدو**) تقدموا..

أسد بن الفرات: (**وهو يقفز إلى البر ومن ورائه حشود المتطوعين**) إذا وضعنا أقدامنا على الأرض، فلن تستطيع قوة في العالم أن تردنا إلى البحر مرة أخرى (**يصرخ**) يا عون الله!

محمد الفاتح: (**مستمر على دك مواقع العدو بمدفعه الثقيل**) تقدموا، فإن وعد الله آت..

المقدم عبدالعال حلمي: (**يتسلق الساتر الترابي ومن ورائه جنده وضباطه، وإذ يوشكون على بلوغ أحد المواقع يمطرونه بالقنابل اليدوية والرصاص، يخرج ثلاثة ضباط إسرائيليين وعدد من الجنود مستسلمين.. وخلال دقائق يتدفق الإسرائيليون من مخابئهم معلنين الاستسلام، ويهرع ضابط شاب برتبة ملازم إلى أحد المرتفعات فينزل علما إسرائيليا ويمزقه، بينما يتقدم آخر لكي يرفع العلم المصري**) الله أكبر (**فيردد من ورائه الجنود والضباط**) الله أكبر..

الملازم: ها قد عدنا يا أرضنا الطيبة..

المقدم عبدالعال: فلنمض على بركة الله نحررها شبرا.. شبرا..

(**تتداخل الرؤية مرة أخرى فنلمح حينا المهاجرين الأولين وهم يبتعدون عن**

الشاطئ موغلين في أرض الحبشة، ونلمح حينا آخر جند عبدالله بن سعد بن أبي سرح وهم يندفعون في قبرص، وطارق بن زياد وهو ينطلق بفرسانه جنوبي أسبانيا، وأسد بن الفرات ومتطوعيه وهم يجوسون في غابات صقلية متوغلين.. كما نلمح محمداً الفاتح وهو يجتاز وكبار قادته إحدى بوابات القسطنطينية ويخر ساجدا لله.. وبين لحظة وأخرى ترتفع تكبيرات الجند المصريين وهم يتدفقون على طول الساحل صوب الساتر الذي دمرت جوانب منه، وفتحت الثغرات في جوانب أخرى.. وتصك الأسماع نداءات المقاتلين جميعا، عبر العصور، وهم يصرخون: الله أكبر.. الله أكبر.. ونلمح جعفر بن أبي طالب يهرع إلى حيث يندفع المقدم عبدالعال حلمي فيشد على يديه ويعانقه).

جعفر: مبارك عليكم نصركم أيها الأخ المقدم.

المقدم: (**بتأثر**) منذ قرون بعيدة أعطيتم الإشارة أيها الصحابي الجليل!

جعفر: لسنا وحدنا الذين أشعلنا الضوء على أية حال...

المقدم: بكل تأكيد.. لقد جاء من بعدكم رجال كرام كعبدالله بن أبي سرح وطارق ابن زياد ومسلمة بن عبد الملك وأسد بن الفرات ومحمد الفاتح، ولكنكم كنتم أول من حاول العبور من أجل تثبيت كلمة الله، ورفع رايات الإسلام في مسالك العالم وشعابه..

جعفر: (**مبتسما**) من عجب أيها الأخ المقدم أننا عبرنا مغرِّبين، وها أنتم اليوم تعبرون مشرِّقين، والبحر هو البحر؟

المقدم: سيان أيها الصحابي الجليل، إنما على المسلم أن يمتلك إرادة العبور وبدونها لن تشتعل مصابيح الهدى في ظلمات العالم، لن يكون ثمة فجر لليله البهيم..

جعفر: (**وهو ينظر إلى المدى البعيد**) صدقت، فإنما هي إرادة العبور، أتدري أيها الأخ المقدم؟ لقد جاء الإسلام لكي يتقدم صوب كل مكان من هذا العالم.. يجتاز بحاره وجباله وصحاريه من أجل أن يصل إلى الإنسان.. منذ لحظات الفجر الأولى، وعبر الساعات الفاصلة التي سبقت معركة بدر وقف أحد

إخوتنا الكرام وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالحرف: امض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو اجتزت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف عنك رجل واحد!

المقدم: رضي الله تعالى عنك يا ابن معاذ، لقد أجبت رسول الله بما كان يتمناه!

جعفر: ومن يومها والمسلمون يجتازون الموانع، ويخوضون البحار تلبية لنداء سعد بن معاذ..

المقدم: (**مبتسما**) سنكون عند حسن ظنكم أيها الصحابي الجليل!

جعفر: أتريد الحق؟ لقد اهتزت ثقتنا بعض الشيء، ولكنكم الآن ترجعونها إلى اليقين، فحمدا لله..

المقدم: (**بتأثر**) كل الذي نرجوه هو أن تتاح لنا الفرصة كاملة للتعبير عن إيماننا العميق.. إيماننا الذي هو امتداد لإيمانكم المتفرد، فيض من الينبوع الذي فجرته كلمات الله..

جعفر: (**بتأثر هو الآخر**) إنني أدرك جيدا مخاوفك، أحزان جيل بأكمله من المسلمين، فلندعُ الله ألا تحرموا فرصة التحقق النادرة هذه!

المقدم: ولندعُ الله ألا نطعن من الوراء!

جعفر: (**مشيرا بيده إلى إحدى الشخصيات اليهودية البعيدة**) هل تدري يا عبد العال؟ لكأني عائد اللحظة من الحبشة لكي ألتحق بجند رسول الله عليه السلام وهم يقتحمون حصون خيبر.. لكأني أسمع صيحة رسول الله:(**الله أكبر، هلكت خيبر، إنا إذا نزلنا ساحة قوم فساء صباح المنذرين**)!

المقدم: (**متفكرا**) التاريخ يعيد نفسه!

جعفر: ماذا؟

المقدم: لا شيء، إنما هي عبارة اعتدنا أن نتداولها دون أن نخبرها جيدا.. الآن تتكشف لي معانيها على مداها.. كانت لحظة مؤثرة أيها الصحابي الجليل..

ابن عمك يحتضنك بعد بضع عشرة سنة من الفراق.. يقبلك وهو يبكي!

جعفر: وسمعته يردد: (**والله لا أدري بم أسرُّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟**) لقد كانت تلك أسعد لحظة في حياتي، وقلت في نفسي: متى أجازيك يا رسول الله متى؟ لقد منحتني الفرح الذي لا يزول بعد سنين طويلة من التغرب، والحزن، والانقطاع.. فمتى أجازيك؟

المقدم: (**بتأثر**) ولقد جازيته بعد سنة واحدة، وهرعت إلى التخوم لكي تعبر وإخوانك، بالدعوة، حدود جزيرة العرب إلى الشمال، هذه المرة، فتناوشتك وإياهم سيوف أعداء الله.. أتدري أيها الصحابي الجليل، لقد انطبعت صورتك المتفردة في أذهان المسلمين عبر أربعة عشر قرنا، وستظل تحمل الراية بيمناك، تتقدم بها، فتقطعها سيوف الروم، فتحملها بيسراك، فتقطع هي الأخرى، فتتشبث بها بما تبقى من ساعديك، حتى تشوط في رماح القوم.. لك الله أيها الصحابي الطيار إلى الجنة.. لك الله (**يبكي**)..

جعفر: ما اعتدنا أن نتحدث عن أنفسنا يا عبدالعال، ولكن اسمح لي أن أقول بأن تعشقنا للشهادة هو الذي مكننا من العبور.. هو الذي جعلنا نجتاز بوابات الزمان والمكان.. ونحكم الدنيا!!

المقدم: (**مشيرا إلى وحدة من القوات المصرية وهي تتوغل في سيناء بمواجهة النيران الكثيفة لإحدى تحصينات العدو**) ها هم أولاء يا بن عم رسول الله، يركضون إلى الموت مرة أخرى!

جعفر: (**وهو يربت على كتف المقدم**) وستنتصرون بإذن الله!

المقدم: آه لو منحونا الفرصة منذ عشر سنين أو عشرين.. كانوا دائما يرغبون في أن تتملكنا محبة الدنيا وكراهية الموت..

جعفر: يعرفونها جيدا، فلَمْ يمنحوكموها.. إنها السر.. والكلمة.. والمفتاح..

المقدم: وأخشى ما أخشاه أيها الصحابي الجليل..

جعفر: (**مقاطعا**) هيا يا عبدالعال لكي نلحق بتلك الوحدة المتقدمة، فننال معها

شرف مقاتلة العدو مرة أخرى.. إن الكلام لا يجدي نفعا.. لقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نفعل ولا نتكلم، أن تكون أفعالنا هي الكلمات.

المقدم: (**وهو يضع أمشاط الرصاص في رشاشه**) صدقت يا بن عم رسول الله.. (**ينطلق في قلب الصحراء وهو يهتف: الله أكبر.. الله أكبر.. فيرد عليه الجند المتقدمون: الله أكبر.. الله أكبر.. - وهم يقذفون التحصين اليهودي بوابل من النار - ولا غالب إلا الله**).

«ستار»

مماليك للبيع

بقلم: د. عبد الحميد إبراهيم – مصر

المنظر الأول

(مكان بمسجد، وقد ظهرت حلقة من حلقات الدروس يتوسطها شيخ ذو لحية جميلة تبدو عليه المهابة، وقد تناثر حوله مجموعة من تلاميذه ومريديه).

الشيخ: (**مستمراً في وعظه**) وقد أمرنا اللّه تعالى بأن نأخذ فوق أيدي الظالمين، وألا نستكين لهم ولا نستلين، وإذا ولوا أمراً من أمورنا، فيجب أن ننتفض عليهم، ولا نستجيب لهم، والساكت على الظلم كفاعله، وفاعله في النار.

أحد التلاميذ: وماذا ترى يا شيخنا في هذه الأنباء الأخيرة؟

الشيخ: أي نبأ تعني يا بني، فما أكثر الأنباء في عصرنا؟

التلميذ: ألم يأتك نبأ بيعة الظاهر بيبرس حاكماً على مصر؟

الشيخ: لا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، أليس من العجب العجاب أن يلي أمورنا رقيق يباع ويشترى! أليس من العجب أن نبايع هذا العبد حاكماً علينا! (**يرفع يديه نحو السماء**) اللهم إني أعاهدك على أنه لا طاعة لهذا العبد حتى يخرج من رقّه. (**ثم يلتفت للحاضرين**) وأنتم أيضاً عاهدوا اللّه على ذلك.

الجميع: (**بصوت واحد يرتج له المسجد**) اللهم إنا نعاهدك على أنه لا طاعة لهذا العبد حتى يخرج من رقِّه.

تلميذ آخر: وقد سمعنا أنه أرسل لك الرسل الكثير، ولكنك امتنعت عن الذهاب إليه.

الشيخ: قلت للرسل حينذاك: من يريدني فها أنذا في حلقتي بالمسجد، وليس لي حاجة عند بيبرس فأذهب إليه، فإن كان لبيبرس حاجة عندي، فليأتني في حلقتي وبين تلاميذي.

(وبينما هم في حديثهم ترتفع ضجة عند باب المسجد، ويتهامس الناس بأن الظاهر بيبرس قد أقبل ليزور الشيخ عز الدين بن عبد السلام).

الظاهر بيبرس: (**داخلاً وحوله أتباعه**) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ: السلام على من اتبع الهدى.

(يجلس بيبرس، بينما يستمر الشيخ في وعظه، وتلاميذه في جواره).

الشيخ: وقد توعد الله الظالمين بالكثير في كتابه، فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ (إبراهيم)، والظلم أنواع، وشر أنواعه ما كان صادراً من والٍ، وقد أمرنا الله بأن ننكث العهد مع هؤلاء الظالمين.

بيبرس: وهل حدث منّي ظلم لرعيتي حتى تمتنع عن مقابلتي؟

الشيخ: ومتى كان لك رعية حتى تظلمها؟

بيبرس: أتنكر ذلك وقد بايعني أهل المشرق وأهل المغرب!

الشيخ: ولكن لم يبايعك عز الدين وتلاميذه.

بيبرس: كيف ذا، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء:٥٩)؟

الشيخ: قال (**منكم**) ولم يقل من عبيدكم.

بيبرس: لقد زدت وغاليت.

الشيخ: وهل في الحق زيادة؟

بيبرس: ليس من الحق أن تخاطبَ الحاكم هكذا!

الشيخ: لست أخاطب حاكما.

بيبرس: (**وقد خفض من صوته**) وما الذي يمنعك من أن تتخذه حاكماً.

الشيخ: لأن الحر لا يتخذ العبد راعياً.

بيبرس: وإذا ثبت أن العبد حر.

الشيخ: إذن فقد بايع الحر حراً.

بيبرس: إنك تثق في هذين العالمين من أصدقائك(**ثم لأحد أتباعه**) استدع هذين العالمين إلى مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام.

(بعد لحظة يدخل العالمان، فيستقبلهما الشيخ واقفاً، ثم يجلسان ويجلس)

الشيخ: (موجهاً كلامه للعالمين) أتشهدان على أن الظاهر بيبرس قد خرج عن رقّه.

العالمان: اللهم إنا نشهد على ذلك.

بيبرس: (**وقد تهللت أساريره**) وماذا ترى إذن؟

الشيخ: إذن فقد بايع عز الدين وتلاميذه الظاهر بيبرس، على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه، وأن يسعى لصالح الرعية.

(ينحني بيبرس على يد الشيخ مودعاً ثم ينصرف).

المنظر الثاني

(في بيت نائب السلطان، وقد اجتمع أمراء المماليك يتشاورون، وتظهر في غرفة مجاورة (جلنار) ابنة نائب السلطان، تتسمع على ما يقولون).

أمير: عجيب أن نسمع بهذه الأنباء!

ثان: وهل يجاهر بهذه الأنباء، أظنه قد أصيب في عقله.

ثالث: ربما يكون الأمر مجرد (**نادرة**) من نوادر الشعب المصري، فما أكثر نوادره، خصوصاً هذه الأيام!

نائب السلطان: (**جاداً**) ولكن السلطان قد أخبرني بهذا، وبأن الشيخ إذا عزم على أمر فلا رادّ له إلا الله.

رابع: وقد علمت بأنه أفتى أن تصرفاتنا في البيع والشراء والزواج والعقود باطلة مردودة.

خامس: وقد مررت البارحة بتجار هذا الحي، فأشاحوا عني بوجوههم.

سادس: وقد طلبت من أحدهم ابنته، فقال: حتى يأذن الشيخ.

أحدهم ضاحكاً: وأنت يا (**فيل**)، ما أحسنك شكلاً، حينما يجرك النخاس في السوق، وينادي " مملوك للبيع متمرن على حمل الأثقال"!

آخر ساخراً: ولكن بطنه سيصرف عنه المشترين، فهم لا يريدون أن يخزنوا الأطعمة.

آخر متهكماً: ولكن لا تنس أن شخيره يطرد اللصوص.

نائب السلطان: (**جاداً**) أتمزحون وعز الدين بن عبد السلام يريد أن يبيعكم، ويضع ثمنكم في بيت المال.

أحدهم: (**ضاحكاً**) ولكن ما دام معنا هذا الفيل، فمن سيشترينا.

الفيل: (**وقد تنبه**) الفيل على أي حال خير من الحمير.

نائب السلطان: (**وقد هب واقفاً**) صه! كيف يتجرأ علينا، ونحن سادة الأرض، والله لأضربنه بسيفي.

(وتسمع جلنار وهي واقفة في الغرفة المجاورة تهديد أبيها فترتعد فرقاً، فقد أحست منذ الساعة بأن هذا الشيخ أقوى من أبيها ومن الأمراء جميعاً، وخسارة أن يذهب ضحية غرورهم، وبينما هي تحاور نفسها يأتيها صوت أبيها صائحا).

نائب السلطان: جلنار، جلنار، أين أنت؟

جلنار: (**تقبل**) أبت، ماذا تريد؟

نائب السلطان: (**واقفاً**) السيف، أين سيفي؟! عليّ به (**جلنار لا تتحرك**) لماذا تقفين هكذا كالتمثال تحركي؟ (**جلنار صامتة**) ماذا جرى لك يا جلنار؟ تحركي وائتيني بسيفي.

جلنار: (**بصوت خفيض**) ماذا تريد يا أبت!

نائب السلطان: (**متعجباً**) أريد سيفي فماذا دهاك؟

جلنار: (**متسائلة**) ولماذا تريد سيفك؟

نائب السلطان: لم أعهدك قبل اليوم تسألين (**بصوت عال**) خليل، خليل، ائتني بسيفي (**موجهاً كلامه لجلنار**) أما أنت يا جلنار فاذهبي إلى سريرك واستريحي، سأخرج لشأن ثم آتيكم.

المنظر الثالث

(الشيخ عز الدين في بيته، سرير قد تناثرت عليه بعض الكتب، مصباح يرسل شعاعاً خافتاً وبجواره ابنه يتحادثان، ثم يسمعان طرقاً على الباب).

الشيخ: انظر من الطارق يا بني.

الشاب: (**وقد أطل من كوة**) إنه شيخ ملثم يا أبت.

الشيخ: افتح له، فلعله ضال يريد مأوى، فإنها لساعة متأخرة من الليل.

(يتقدم الابن ويفتح الباب، يندفع الملثم داخلاً ويقف أمام عز الدين لاهثا، عز الدين يتلطف به ويجلسه).

عز الدين: إنها ليلة سعيدة أن تشرفنا يا أخا العرب (**لا يجيب**).

عز الدين: إلى أين تقصد في هزيع الليل يا أخا العرب (**صامت**).

عز الدين: (**لابنه**) علينا بمشروب يا بني(**ثم للملثم**) أي الشراب تختار (**ولكنه لا يجيب**).

(ثم يلقي الرجل باللثام، ويباغتُ الشيخ عز الدين وابنه، فقد وجدا أمامهما امرأة كاملة الأنوثة).

المرأة: لا تستغربا، فأنا جلنار بنت نائب السلطان.

عز الدين: (**وقد استرد هدوءه**) فهل يحق لنا أن نسأل عن الذي جاء بك في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل.

جلنار: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، فاخرج، إني لك لمن الناصحين.

عز الدين: أفصحي يا ابنتي!

جلنار: إن أبي والأمـراء يأتمرون بك ليقتلوك، وسيأتي أبي بعد لحظة ليضربك بسيفه.

عز الدين: (**هادئاً**) لا تراعي يا ابنتي، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

عز الدين لابنه: (**بصوت فيه شيء يحس به الابن**) ائتنا بمشروب يا بني، فإنها الليلة ضيفك.

(يجلس الثلاثة يتحادثون، الفتاة يكاد حرصها يفضحها، والشيخ يتحدث بصوت فيه شيء يوحي به إلى ابنه، أما الابن فهو ساهم واجم، ثم يسمعون طرقاً على الباب فيهب عز الدين واقفاً).

الفتاة: (**تتشبث به**) بربك لا تخرج، أبق على حياتك، فسأنظر من الطارق.

الشيخ: (**بصوت يبدو فيه الإيمان**) ولكنك يا ابنتي تمنعيني من شيء أريده منذ أمد بعيد.

الفتى: بربك يا أبت! لا تبرح مكانك، فسأنظر أنا من الطارق.

الشيخ: (**بصوت فيه عتاب**) يا ولدي، أبوك أقل من أن يُقتل في سبيل الله.

(ينفلت الشيخ منهما، ويندفع نحو الباب، يتبعه الفتى والفتاة، وبقلب ثابت يفتح الشيخ الباب، فيرى على عتبته فارساً مدججاً بالسلاح، يرفع الفارس سيفه ليضرب به هامة الشيخ، ولكن يده ترتجف لهيبة الشيخ).

الفارس: (**يجثو على قدمي الشيخ، ويقول بصوت يختنق فيه بالبكاء**) اعف عني، سامحني، لقد أخطأت.

الشيخ: (**يترفق به ويوقفه**) قف، فكثيراً ما تخطئ النفوس، ولكثيراً أيضاً ما تتسع الصدور.

الفارس: (**وقد وقف خاشعاً خاضعاً**) لك كل ما تريد، افعل كل ما تريد، افعل كل ما تريد، لك ما تريد.

(يرفع الفارس بصره، فيقع على شخص خلف الشيخ فينكره، ثم يقع عليه ثانية فيبصره، وتدور به الدنيا، ويمسك رأسه بيديه).

جلنار: (**بصوت فيه فرح**) أبت، أبت (**ولكنه لا يجيب**).

جلنار: (**ترفع من صوتها**) أبت، احمد الله، واشكر نعمته.

الفارس: (**يخاطب نفسه**) جلنار، أين أنا، وأين هما، لقد تركتها في مخدعها تنعم في أحلامها (**يصرخ**) لقد جننت، لقد ذهب عقلي، أيها الشيخ اعف عني، سامحني، لقد جننت، أين أنا من جلنار، أيها الشيخ سامحني، اعف عني.

الشيخ: (**متلطفاً**) لا ترع، فأنت بخير، إنها جلنار ابنتك، فلا ترع.

الفتاة: (**بصوت فيه رفق**) يا أبت، أنت بخير، أنا جلنار ابنتك، لقد سبقتك هنا إلى منزل الشيخ.

الفارس: (**وقد فهم**) إن لك عقلاً لا يسلمك إلا إلى خير.

الشيخ: (**يخاطب الفارس**) هل تجيبني إلى شيء أطلبه منك أيها الصديق.

الفارس: لك ما تطلب.

الشيخ: هل هناك مانع من أن تصاهرنا.

(يظهر الفرح على وجه جلنار، ويصيح أبوها مسروراً).

الفارس: لم نصل بعد إلى هذه المنزلة.

الشيخ: إني أريد ابنتك لابني.

(يظهر السرور على وجه الفتى، ويتغير وجه جلنار).

الفارس: لك كل ما تريد، إنها ابنتك.

جلنار: (**مطرقة إلى الأرض، وبصوت فيه حياء**) ولكني لا أريد الزواج إلا بمن اختار قلبي، وقطعت الطريق من أجله، وتحملت في ذلك ما تحملت.

الشيخ: (**وقد فهم**) ولكنني في سنّ أبيك.

الفتاة: (**بصوت فيه رجاء**) ولكن هذا ما اخترته نفسي لأكون دائماً قريبة من الشيخ.

الشيخ: (**للفارس**) هل توافق.

الفارس: (**مُغتبطاً**) نعم ما اخترت يا ابنتي، إنك لكيسة حصيفة العقل.

(**يضم الفارس ابنته إلى صدره، ويواري الفتى وجهه وهو يغالب دموعه**).

«ستار»

ضجة في مدينة الرقة

بقلم: محمد الحسناوي – سورية

المشهد الأول

(الزمان: قبيل غروب الشمس. المكان: ساحة المرجة في مدينة دمشق. يظهر منها برجها المعروف في الطرف الأيسر من المسرح، وفي الطرف الأيمن يبدو (كاراج) سيارات دمشق – حلب).

(مشهد سيارة باص ينزل منها المسافرون القادمون من حلب. رجال عابرون. شرطي. رجل في الأربعين ينزل من السيارة بعد أن سبقه في النزول عدد من المسافرين بيده صرّة ثياب. علامات التعب بادية عليه، يخطو خطوات، ثم يتفحص صدره، لا يجد شيئاً، يتفحص جيوبه، يرجع إلى السيارة بسرعة، يبحث عن شيء مفقود فيها. يسأل المسافرين. يسأل السائق ومعاونه. ينفي كل منهما أنه وجد شيئاً).

أبو محمود: نقودي يا ناس. نقودي ضاعت. نقودي سرقت، ثلاثون ألف ليرة سورية يا ناس، ضاعت. والله ليست كلها ملكي، والله معظمها دين، أريد أن أشتري سيارة أسترزق بها، يا ناس، يا ناس، يا موحدين، حتى هويتي الشخصية سرقوها.

رجل عابر: سلّم أمرك إلى الله.

أبو محمود: صدقت. سلّمتُ أمري إلى الله. الحمد لله على كل حال، لكن الهوية الشخصية؟

عابر٢: احمد ربك أنك وصلت سالماً.

أبو محمود: نعم الحمد لله أنني وصلت سالماً. كم تعرضت للموت في حياتي ونجّاني الله تعالى، البارئ المصور مقدّر الأقدار. يا رب سلّمت أمري إليك. يا رب أعنّي على العودة إلى أهلي.

شرطي: ابحث عن أحد معارفك، أحد أبناء بلدتك يساعدك على العودة، وكل صعب يهون؟

أبو محمود: أنا غريب، لكن كل صعب يهون بإذن الله، الحمد لله على كل حال.

المشهد الثاني

(الزمان: وقت الفجر، قبيل طلوع الشمس بقليل. المكان: شارع في مدينة الرقة السورية، يبدو منه في خلفية المسرح طرف مسجد. في طرف المسرح الأيمن رجل ينام على الرصيف أمام باب دار لا يغطيه شيء سوى شماخ مرقّط بالأحمر فوق وجهه. ثلاثة رجال قادمون من المسجد يتوقفون عند الرجل النائم.)

أبو خالد: يا شباب من هذا الرجل النائم هنا؟

أبو حسن: دعنا منه، ولننصرف إلى أعمالنا قبل أن نتعطّل.

أبو مصطفى: زوجتي تنتظر عودتي لأحلب الجاموسة.

أبو حسن: أنا سوف أسافر إلى حلب قبل أن تحمرّ عيون الشمس.

أبو خالد: وأنا أليس لي عمل؟ الخضار والفواكه مكومة الآن أمام باب الدكان، ولكن لا بدّ أن نعرف من هذا الرجل النائم هنا؟

أبو حسن: الدنيا صيف يا رجل، إنسان عابر، مسافر ليس له أحد، نعسان، فنام، ألا تنام أنت نفسك على الأرض؟

أبو خالد: يا جماعة لا تستعجلوا، قلبي يقول لي: يوجد شيء غريب في هذا الرجل.

أبو مصطفى: أي شيء غريب، رجل نعسان، والشمس لم تطلع حتى الآن؟

أبو خالد: صلّوا على النبي. الله يرضى عليكم.

أبو حسن وأبو مصطفى (**بصوت واحد**): اللهم صلّ على سيدنا محمد.

أبو خالد: ما رأيكم لو كشفت الشماخ عن وجهه؟

أبو حسن: هل هذا يجوز شرعاً؟ يا رجل؟

أبو خالد: أنا لن أتحرك من هنا حتى أعرف قصة هذا الرجل.

الآخران: ونحن لن ندعك تضيّع وقتك.

أبو خالد: ليس هذا تضييع وقت.

أبو حسن: لا تحشر نفسك فيما لا يعنيك.

أبو مصطفى: تسمع مالا يرضيك.

أبو خالد: اللهم صلّ على النبي.

الآخران: اللهم صلّ على النبي.

(يتململ الرجل النائم على صوت الضجة. يحاول النهوض. يقترب منه أبو خالد، يكشف الشماخ عن وجهه، تبدو عليه وعلى رفيقيه علامات المفاجأة والدهشة).

(الرجل النائم أفاق، فرك جفنيه بقوة، اتجه إلى الرجال المتجمعين حوله. تراجع بعضهم).

أبو محمود: السلام عليكم.

أبو خالد (**صائحاً**): أبو محمـ.......ود؟؟؟

أبو محمود: نعم أبو محمود.

(في هذه اللحظة انفتح باب الدار على مصراعيه. اندفع شاب في العشرين من عمره صارخاً..).

محمود: لا إله إلا الله.. يا ناس، هل قامت القيامة؟

الرجال الثلاثة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أليس هذا أباك يا محمود؟

محمود (**متفرّساً**): إي والله هذا والدي، هل هذا معقول؟

(محمود يقبل على والده، يتعانقان).

(الرجال تخلوا عن ذهولهم أخيراً، شرعوا يسلمون على أبي محمود ويعانقونه. الأولاد تصايحوا حول أبيهم فرحين. النساء زغردن من وراء المسرح، تسامع أهل مدينة الرقة بالخبر فأقبلوا يسلمون على أبي محمود. العيارات النارية شاركت في الفرح).

أبو محمود: (**لنفسه**) أنا أستغرب والله ما يحدث، كم سافرت قبل هذه المرة، لكنني لم أُستقبَل بمثل هذه الحفاوة والحشود. لا إله إلا الله. ماذا جرى لكم يا أهل الرقة؟ ماذا جرى لكم يا أولادي، يا أحبابي؟

المشهد الثالث

(الزمان: الوقت نفسه. المكان: باحة دار أبي محمود الواسعة، في صدر الدار الكائن في خلفية المسرح وضعت أرائك، وعلى جانبي المسرح الأيمن والأيسر صفّت كراسي كثيرة، الباحة ملأى بالأقارب والجيران والزائرين. أبو محمود في صدر المجلس يريد النهوض للقيام بشرف الضيافة، يعترضه بعض الحاضرين.)

زائر١: (**مجاور لأبي محمود في المجلس**) اجلس أنت يا أبا محمود، نحن جميعاً خدّامك.

أبو محمود: أستغفر الله.

زائر٢: (**مجاور لأبي محمود على الجهة الأخرى**) أنت وليّ من أولياء الله يا أبا محمود. اقعدْ، اقعدْ، يا رجل.

زائر٣: (**رجل ممن يقومون بخدمة الضيوف وتوزيع المرطبات**) من أدنى حقوقك علينا أن نسعى على الزائرين ونقوم بخدمتهم، صلِّ على النبي. صلوا يا رجال على النبي المختار.

الحاضرون: اللهم صلّ على سيدنا محمد.

(تعالت الصلوات، وتعالى التهليل والتكبير من جنبات الدار - زغردت العيارات النارية مرات عدة. رجال الشرطة لا يعترضون).

(أبو محمود يتأمل ما يجري حوله بسذاجة كأنه في حلم).

أبو محمود: (**لنفسه**) هل أنا في منام. رب اجعله خيراً، رب اجعله خيراً.

محمود: (**في مقدمة المسرح متحدثاً مع بعض الضيوف المذهولين**) طرق والدي الباب بعد منتصف الليل، كنت أنا أغط في نوم عميق لا أعلم ماذا يجري، لم تشأ أمي أن توقظني. سألتْ أمي: من الطارق؟ قال: أنا أبو محمود يا أمَّ محمود. فعلاً الصوت لم يكن غريباً على أمي، لكنها لم تصدق. قالت أمي في نفسها: لابد أن هناك لصاً يريد أن يحتال عليها. وقالت له من وراء الباب: أما تستحيي يا ابن الحرام؟ أبو محمود تحت التراب! إما أن تذهب، وإما أن أوقظ أهل الحارة عليك. سكت الرجل. قضت أمي الليلة خلف الباب، لا تدري أهي في حلم أم يقظة؟ لما عرفه الناس اطمأنت أمي، فأدخلته الدار، وسلمت عليه مذهولة لا تكاد تصدق.

زائر١: سبحانك يا رب.

زائر٢: سبحان محيي العظام وهي رميم.

زائر٣: هل تصدقون؟ أنا لا أكاد أصدّق.

أبو محمود: وأنا كذلك.

(أقبل بعض الناس يحملون الهدايا، ويسلمون على أبي محمود).

زائر٤: (**معانقاً أبا محمود**) سامحني يا أخي أبا محمود. أنا سامحتك عن كل ما جرى بيننا. أنت رجل صالح تقيّ، وأنا الذي أخطأت معك. لا تؤاخذني، سامحني، يا أخي، سامحني. الله يرضى عليك. (**يقبله مرة أخرى، يهمّ بتقبيل يديه فيرفض أبو محمود**).

أبو محمود: سامحتك يا أخي منذ اختلفنا، والله سامحتك يا أبا عبد القادر. وها أنا أسامحك مرة ثانية وثالثة، يا أعزَّ الأحباب. كيف لا أسامحك يا أخي أنت جاري، وشريكي ورفيق الصبا والشباب؟

زائر٥: (**يعانق أبا محمود**) سامحني يا أبا محمود.

أبو محمود: سامحتك يا أخي أبا علي. الله يغفر لك ولي وللمسلمين. أنت من أهل المسجد،

يا أخي، أنا الذي أطلب منك الدعاء والمسامحة. ماذا جرى لي ولكم اليوم يا أهل الرقة حتى تعيدوا الاحتفال بعد مضي ثلاثين سنة، كدت أنسى نفسي فيها؟ هل اعتقلت مرة ثانية، هل أطلقوا سراحي من جديد؟ لا أدري. هل بلغكم أنني حرّرت بيت المقدس؟ هل أشبعت الجياع، وكسوت العرايا؟ ماذا فعلت يا أهل الرقة، يا أحباب؟

زائر ١: (**ممن يخدمون الضيوف**) أنت وليّ من أولياء الله يا أبا محمود. صلّ على النبي، صلوا على النبي المختار يا رجال.

أبو محمود: سلّمت أمري إلى الله، الحمد لله على كل حال.

زائر٢: حدّثنا عن اعتقالك أيام الفرنسيين.

أبو محمود: (**ينهض، يتحدث وهو يتمشى**) أنا تحت أمركم – يا مرحباً بالأحباب. في عهد الفرنسيين منذ ثلاثين سنة اعتقلت (يصمت قليلاً. أهل الدار جميعاً والزائرون يسكتون) اعتقلوني مع عدد كبير من السياسيين المجاهدين، ووضعونا في سجن (الميّة وميّة) بلبنان طوال الحرب العالمية الثانية. كنت أضحك عليهم في نفسي من جهل الفرنسيين والحلفاء. اعتقلوني وأنا إنسان درويش، لا أكاد أعرف القراءة والكتابة، تعلمتها على كبر، كنت –والشهادة لله– أكره الفرنسيين، وأميل إلى الأتراك والألمان، كنت أتحدى قوانين الاحتلال الفرنسي..

زائر: (**مقاطعاً أبا محمود**) طيب أبا محمود.

أبو محمود: (**متابعاً**) كنت أتاجر بأوراق الكتابة وأقلام الرصاص والبارود والأسلحة المهربة، لم يضبطوني مرة واحدة في هذه التجارة المحببة برغم الوشايات وحملات التفتيش، ما أعذبها من لعبة أسهم فيها الشرطة ورجال الأمن الوطنيون بتحذيراتهم التي تصل إلينا قبل المداهمات بدقائق معدودة تكفي لنقل المواد الممنوعة على وجه السرعة إلى مكان آخر.

زائر: طيب يا أبا محمود.

أبو محمود: مع ذلك اعتقلوني ووضعوني في السجن، مع رئيس وزراء أفغانستان ومع

حجاج أتراك وسياح هنود، وأعضاء مجلس النواب السوري، ومشايخ لبنانيين، أخيراً بعد شهور أفرجوا عني، وعدت إلى الرقة، فخرج أهلها على بكرة أبيهم، يستقبلونني ويهنئونني، مثل هذا اليوم، فماذا جرى حتى يعاد الاستقبال؟

زائر: أنت وليّ يا أبا محمود. صلّوا على النبي المختار يا شباب.

الحاضرون: (**يرددون الصلاة على النبي**) اللهم صلّ على محمد.

زائر: (يوزع كؤوس الماء والمرطبات) زيدوه صلاة.

الحاضرون: اللهم صلّ على سيدنا محمد.

أبو خالد: (**نهض يتمشى ويتحدث، كما كان أبو محمود يفعل**) اجلس أنت يا أبا محمود في صدر الدار (**يجلس أبو محمود**). اجلس – أنت متعب رجعت لنا من القبر- أنا أحكي للشباب مغامرتك في قلعة حلب. اسمعوا يا شباب. في إحدى زياراتنا إلى قلعة حلب أيام الصبا.. صادف أخونا أبو محمود صندوقاً من حديد يجري على سكة حديدية. اشتهى أبو محمود الركوب في الصندوق، طلب منّا أن ندفع به الصندوق.

حذّرناه من النتيجة المجهولة، فلم يسمع تحذيرنا. انطلقت الدواليب تدور بسرعة هائلة، لأمر يريده الله انقلب به الصندوق قبل الهاوية. نجا من الموت. الحراس الفرنسيون ألقوا عليه القبض وألزموه دفع غرامة مالية. أليس كذلك يا أبا محمود؟

أبو محمود: (**ضاحكاً**) صدقت، صدقت يا أبا خالد.

أبو حسن: (**ينهض حين يجلس أبو خالد**) اسمحوا لي أن أحكي حكاية ثانية عن هذا الرجل الصالح، ولا أزكي على الله أحداً، حينما اعتقله الفرنسيون قبل الاستقلال بشهور، خشي أبو محمود فوات وقت الصلاة في إحدى محطّات الاستراحة على طريق السفر، كان الجنود الفرنسيون يمنعون المعتقلين من الاقتراب من ساقية الماء. رفض أخونا أبو محمود تحذيرات زملائه. هجم فجأة يريد الوضوء، فتلقاه حارس زنجي بسنان البندقية (**الحربة**) يريد قتله لولا أن صاح به الضابط

الفرنسي يزجره في اللحظة الأخيرة، ونجا أبو محمود من موت مؤكد، وأخذ يتوضأ متشفياً من الحارس، حتى جعله يهرب من وجهه. هل تذكر ذلك يا أبا محمود؟

أبو محمود: (**ضاحكاً**) نعم. أتذكر يا أبا حسن الحبيب.

أبو حسن: لقد مات من مات من أصدقاء أبي محمود في السجن، أو على الفراش، أو في حوادث الطرق، ومات أبو محمود ولم يمت. لقد أحياه الله بعد موته ليشهد هذا الاحتفال الذي يستحقه. الموت والحياة بيد الله تعالى يا ناس. من لم يمته الله تعالى فلن تقتله شدّة، ألم تكن تحت التراب قبل ساعات يا أبا محمود؟

أبو محمود: لا، لم أكن تحت التراب، بل كنت أنا نائماً فوق التراب. (**يضحك الحاضرون، يتبادلون الابتسامات والتلويح بالأيدي**).

أبو مصطفى: (**مخاطباً شيخاً عالماً جالساً بالقرب من أبي محمود**) ما رأيك يا سيدي الشيخ بقصص أخينا أبي محمود العجيبة؟

الشيخ العالم: العلم عند الله. يحضرني يا أبا مصطفى حديث شريف رواه الإمام مسلم في صحيحه؛ قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب. قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون».

الحاضرون: صدق رسول الله. اللهم اجعلنا منهم.

المشهد الرابع

(الزمان: منتصف الليل. المكان: نفس المكان السابق. بعض المصابيح الكهربائية مطفأ وبعضها يومض. الهدوء مخيم بعد انصراف معظم الزوار. لم يبق إلا القليل من الأقارب والجيران والأصدقاء يلتفون حول أبي محمود).

أبو خالد: والآن –يا أبا محمود العزيز– لقد انصرف الناس، وهدأت الأصوات، ولم يبق إلا نحن، أهلك وأحبابك ننتظر هذه الساعة. نريد أن نسمع منك قصتك الأخيرة. كيف متّ وكيف أحياك الله بعد موتك؟

أبو حسن: أي والله، الله يحيي ويميت يا أخي.

أبو محمود: أنا أشدّ تلهفاً منكم لسماع القصة، ولفهم الأمور على الرغم من تعبي الشديد.

أبو خالد: كلنا نؤمن بالحياة بعد الموت، لكننا لا نتوقع حدوث ذلك قبل يوم القيامة، وبعد وفاة الأنبياء والرسل أصحاب المعجزات، عليهم السلام.

أبو محمود: صدقت.. هذا صحيح.

أبو خالد: يا أبا محمود –لا مؤاخذة– لقد دفناك منذ أسبوع، بسبب حادث السيارة الذي أودى بحياتك قرب مدينة حمص، وأنت في طريقك إلى دمشق، فكيف أحياك الله عزّ وجلّ بعد موتك، وهو قادر؟

أبو مصطفى: وماذا رأيت في الدار الآخرة؟

أبو محمود: (**مستغرباً**) أنا؟! دفنتموني قبل أسبوع؟

الحاضرون: نعم. نحن دفناك قبل أسبوع.

أبو محمود: لم يحدث لي حادث، كما تتصورون.

أبو خالد: ولو، يا أبا محمود!

أبو محمود: (**مؤكداً**) ولم أمت.

أبو حسن: ولو، يا أبا محمود!

أبو محمود: ولم أدفن، يا إخوان.

أبو خالد: سبحان الله، لقد أهلت التراب عليك بيدي.

أبو محمود: أنت أهلت التراب عليَّ بيديك؟!

أبو خالد: نعم..

أبو حسن: وأنا حملت نعشك على كتفي.

أبو محمود: أنت حملت نعشي على كتفك؟!

أبو حسن: نعم..

أبو محمود: لسنا في وقت مزاح، يا إخوان.

أبو خالد: ومن قال إننا نمزح في هذا الموضوع الخطير، يا أبا محمود؟

أبو محمود: عقلي لا يستوعب ما تقولون - يا إخوان. أنتم عندي صادقون، لكنني أعلم علم اليقين أنني لم أمت!.

الحاضرون: نحن نشهد جميعنا بأنك متّ يا أبا محمود.

أبو محمود: أنا لم أمت، ولو شهد غير ذلك أهل الأرض كلهم.

الحاضرون: ولو، ولو، يا أبا محمود؟!

أبو محمود: ولم أدفن ولو شهد الناس كلهم، أحياؤهم وأمواتهم.

أبو حسن: لا تغضب يا أبا محمود، ليس في الأمر مزاح، ولا احتيال.

أبو محمود: أستغفر الله، أنا ما قصدت هذا.

أبو حسن: نحن نعلم أنك ما قصدت هذا ولا غيره.

أبو محمود: لا مؤاخذة، ما تقولونه شيء غريب.

أبو خالد: الله تعالى قادر، يا أبا محمود.

أبو محمود: هل في ذلك شك يا إخوان؟

أبو خالد: فلماذا تغضب، يا حبيبنا؟

أبو محمود: عقلي، يا إخوان، عقلي لا يستوعب، لا مؤاخذة لا يهضم ما تقولون.

أبو مصطفى: فسّر لنا إذا سمحت ما يلي: استلمنا من الشرطة جثتك.

أبو محمود: جثتي؟

أبو مصطفى: وهويتك الشخصية.

أبو محمود: هويتي؟

أبو مصطفى: ومبلغ ثلاثين ألف ليرة سورية.

أبو محمود: ثلاثين ألف ليرة؟

أبو مصطفى: نعم استلمنا النقود التي كانت معك كلها، لم ينقص منها قرش واحد.

أبو محمود: (**موجهاً خطابه إلى الآخرين**) أنتم استلمتم النقود كاملة؟

الحاضرون: نعم.

أبو محمود: (**بعد صمت وتفكير قليل**) يتهلل وجهه بابتسامة عريضة، ويشرق وجهه قائلاً: الآن بدأت أفهم القصة، يا إخوان. لما سافرت من مدينة حلب إلى دمشق، صحبني في السيارة ثلاثة رجال غرباء الأشكال، صاروا يكلمونني من أمامي ومن ورائي وعن شمالي. في حمص حين رجعنا إلى السيارة من الاستراحة تغيب الرجال الغرباء الثلاثة بلا سبب واضح، لم أنتبه وقتها إلى سرقة مالي وهويتي الشخصية إلا بعد أن وصلنا إلى مدينة دمشق، وبعد أن نزلت من السيارة، وبعد أن ذهب أكثر المسافرين. فتشت هنا، فتشت هنا، فتشت هنا (**يشير بيديه كيف فتش صدره وجيوبه**) لم أجد شيئاً، ضربت كفاً بكف، تعبت في البحث عن المال، عن الرجال، عمن يعرفهم، لم أقع لهم على أثر، حتى يئست، لم أجد حلاً إلا الشكوى إلى الله تعالى، جمعت أجرة العودة إلى الرقة من المحسنين. الله كريم.

الحاضرون: لا إله إلا الله.

أبو محمود: لا أخفي عليكم أنني حزنت على ضياع المبلغ الذي جمعه شركائي بعرق الجبين حلالاً طيباً لشراء سيارة كما تعلمون، لكنني أحتسب ذلك كله عند الله.

أبو خالد: ألم نقل لك: إن المبلغ ما ضاع، استلمناه؟

أبو محمود: صحيح، صحيح، تذكرت، بذلت جهدي في جمعه حلالاً وفي حفظه، ماذا بوسعي أن أفعل أكثر مما فعلت؟ لعل الرجل الذي سرق المبلغ ندم على فعلته، فتاب، وألهمه الله أن يرسل المال والهوية.

أبو حسن: أنت طيب القلب، يا أبا محمود، وظنك دائماً بالناس ظن حسن.

أبو محمود: هذا من طيبك.

أبو خالد: الرجل الذي سرق منك المبلغ يمكن أن يكون هو صاحب الجثة المشوهة التي استلمناها، قتل في حادث سيارة ومعه هويتك الشخصية والمبلغ. ظن الشرطة أنه هو صاحب الهوية، فأعادوها مع المبلغ.

أبو محمود: استلمتم جثة مشوهة مع ثلاثين ألف ليرة!

الحاضرون: نعم، بالتمام والكمال.

أبو محمود: لا إله إلا اللّه! قل: حسبي اللّه، وعليه يتوكل المتوكلون.

الحاضرون: لا إله إلا اللّه.

«ستار»

ذرية بعضها من بعض

«ولادة أحمد بن حنبل»

بقلم: د. علي شلق – لبنان

شخصيات المسرحية:

- حنبل: جد أحمد لأبيه وسيد قومه، في الستين من عمره.
- محمد: والد أحمد بن حنبل، شاب في الثلاثين من عمره.
- عبد الملك بن سوادة: شيخ وقور، ذو شخصية قوية، في السبعين من عمره.
- زوجة محمد: امرأة في الخامسة والعشرين، أم أحمد بن حنبل.
- ثمامة: عالم بني شيبان، في الستين من عمره.

المشهد الأول

حنبل: أراك على شيء من الذهول يا ولدي، ما هكذا يكون الشاب الذي بنى بعروسه منذ شهر.

محمد: لا شيء مما ذكرت يا أبي، سوى أنني أفكر بأمر.

حنبل: ما هو؟ سلمت لأبيك.

محمد: بنو شيبان عدد الحصى، لهم في الجاهلية منعة، ولهم في الإسلام بلاء مجيد، «فالمثنى بن حارثة الشيباني» قائدهم في الجهاد، ورائدهم إلى الجنة، وأنا...

حنبل: أنت!! ماذا؟

محمد: إن الزواج يحول بيني وبين الجهاد يا أبت، لقد نذرت نفسي للشهادة.

حنبل: حسن، حسن، بارك الله فيك، أنت فرع من دوحة، ولكن أتظن يا ولدي أن الجهاد

في سبيل الله سبحانه، موقوف على الحرب؟

محمد: فيها مشقة، والثواب على قدر المشقة.

حنبل: بناء البيت، وإنجاب النسل الصالح، وصلة الرحم، وبر الوالدين جهاد يا بني و... **(طرق على الباب)**.

حنبل: ادخل.

خادم: **(يدخل)** سيدي، مولاي عبد الملك بن سوادة قادم.

حنبل: استقبل جدك استقبالا يليق بأخلاق وشمائل شريف من شيبان يا محمد.

محمد: جدي يحمل في ثوبه أرج الخمائل، وفي طلعته بهرة الصبح، أهلا سيدي أهلا.

عبد الملك: **(من بعيد ثم مقتربا)** السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حنبل: وعليكم من الله السلام، والرحمة والبركات، تفضل، على الرحب والسعة، أهلا وسهلا.

عبد الملك: ما لمحمد ذاهلا؟ وقد عهدته عريسا، يتفجر نضرة وتوثبا؟

حنبل: قلت له ذلك من قبل، وسألته، فهل تدري يا سيدي بماذا أجاب؟

عبد الملك: وهل الأمر يحتاج إلى أخذ ورد يا محمد؟

محمد: سيدي، أرادني الوالد على أن أبني بشيبانية أختارها، والطاعة تقتضي الامتثال، لكنني ها أنذا منذ أكثر من شهر متخلف عن الالتحاق بالغزاة المجاهدين، من رفاقي، وإخوان الروح.

(عبد الملك يضحك ضحكة خفيفة)

عبد الملك: يا لك من بر تقي، ومجاهد وفي!! هذا فحسب؟

محمد: ألا يكفي هذا مثيرا للبلبال يا مولاي؟

عبد الملك: وماذا قلت له يا حنبل؟

حنبل: قلت له: إن الجهاد في سبيل الله ليس وقفا على الحرب.

محمد: لكنّ هناك شيئا آخر يؤرقني، ويصرف همي.

عبد الملك: أفصح،وأرح نفسك، وأرحنا.

محمد: حلم راودني في النوم، فملأ قلبي شوقا غامضا، حلوا، سحريا، على قلق وتوزع بال.

حنبل: هات لنرى أحلامك من يقظتك.

عبد الملك: أبوك أشهر مفسري الأحلام يا ولدي، فلماذا تكتم؟

محمد: أخشى إن أفصحت عنه، أن تطير حلاوته مع الريح.

حنبل: إذن هو شيء جميل، فأشركنا في سماعه، حفظك الله يا محمد.

محمد: استيقظت ليلتنا عند منتصف الليل، وفي قلبي حنين، وبجوارحي خفة كأنني محمول على ريش، فخرجت منسربا برفق، خشية أن تفيق زوجتي، وقضيت وقتا غير يسير أذرع خطاي في فناء الدار.

عبد الملك: بادرة حسنة.

حنبل: ثم...؟!

محمد: ثم تولاني سانح من نعاس، كأنه النسمة بين الأوراق، فعدت واتكأت في زاوية الحجرة كيلا أزعج سكني، فغفوت، وكان ذلك قبيل الفجر بقليل، ورأيت كأن جداول خضراء سندسية تخرج من فمي، ثم تشيع في الهواء والفضاء، وهي بين أن تكون هواء أو ماء، وأحسست لذلك بنشوة لم أعهدها في حياتي، ورأيت كأن الدنيا أصبحت مغمورة بتلك الجداول، وغدت طيورا بالغة الجمال والرونق، تحط فوق أمواجها ثم تطير.

عبد الملك: هاه!!! ما هذا يا ولدي؟ ما هذا؟

حنبل: يا للبشرى!!! ثم تكتم مثل هذه الرؤيا السعيدة يا محمد!!!

محمد: ماذا تعني يا أبتاه؟

حنبل: عالم بدين الله، يملأ الدنيا علما يخرج من صلبك، ويكون واحدا من كبار شراح كتاب الله، فَمُهُ فَمُكَ، محشوٌّ نعمة.

عبد الملك: الجداول الخضراء آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي الشريفة، تخرج من فمك لتفيض على العالم، إنه كلمة نقية فردوسية تقولها يا بني.

محمد: الحمد الله، وشكرا له على نعمائه، يالفرحي ما أعظمه!!

حنبل: ألا تزال نادما على الزواج أيها الغازي المجاهد؟

عبد الملك: ألا ترضيك بغداد، لتزج بنفسك في الأصقاع البعيدة وأنت لا تزال طريا وعريسا؟

حنبل: ستعود إلى كتيبتك بعد أن تنجب ولدا، فتكسب الجهاد مرتين.

محمد: أرجو أن يتم الله نعمته علينا، وأن تتحقق الأحلام.

المشهد الثاني

(محمد، حنبل، زوجة محمد، خادم)

حنبل: أراني على خير ما يرام صبيحتنا هذه.

محمد: أرجو أن تكون أيام سيدي الوالد، صبيحات موصولة المباهج.

الزوجة: لا أدري والله كيف أن الدنيا لا تسعني من الفرح، وأنا أكاد أضع الولد الأول، وعادة النساء أن يخشين الولادة الأولى؟

حنبل: أسأل الله لك ولنا يا بنيتي، أن يجعل ما فيه الخير والسلامة زيتا مضيئاً في بيتنا ولو لم تمسسه نار.

محمد: بغداد باب يمن وإقبال يا أبت.

حنبل: على أنني أحببت البصرة، وكنت واليا على «سرخس» من خراسان، فذقت حلاوة الدنيا، وعرضني الميل إلى بني العباس ودعوتهم إلى سخط الأمويين وتعذيبهم،

إلا أن بغداد أنستني كل بلاء مر، وأرجو من الله سبحانه أن يسبغ آلاءه، وأن يجعل المولود القادم بشيرا بالخير.

محمد: ذاك ما أتوسل إلى الباري سبحانه بشأنه، وأضرع إليه أن يقر به عيني أبوي.

حنبل: سمِّ يا محمد.

محمد: سمِّ أنت يا أبي.

حنبل: للأم الحق في التسمية.

الزوجة: في فمي حلاوة اسم «أحمد» إن كان ذكرا ،وبشرى أو يسرى إذا..

محمد: «مقاطعا»:...كان أنثى.

حنبل: كلاهما خير..ماذا تقول يا محمد؟

محمد: ولد واسمه أحمد.

حنبل: وإن كان أنثى؟

الزوجة: يحج سيدي العم على نفقتي إن كانت أنثى.

حنبل: وتحجين أنت ومحمد على نفقتي إن كان ولدا.

محمد: هذا جيد، والله يضاعف لمن يشاء، وحدي من بينكما الرابح.

حنبل: ولكما بستان الأسرة في الرصافة.

محمد: ها... هذا كثير يا والدي، كثير.

حنبل: المولود الآتي جواب آفاق، عابر فلوات، فقد حملت به أمه في «مرو» وعرج على الكوفة، وحل في البصرة، واستقر ببغداد.

محمد: ومع ذلك...

حنبل: ماذا؟!

الزوجة: ومع ذلك فقد أمسكت زوجة محمد بن حنبل الشيباني جنينها، فلم تطرح.

حنبل: الشيبانيات ولودات، يمسكن الأجنة، ويخصبن اللبن.

محمد: من قال يا أبت؟ «إذا كنت في ربيعة فكاثر بشيبان، وفاخر بشيبان، وحارب بشيبان»؟

حنبل: قول شاع يا ولدي كالهواء والشعاع، أظن أنه للخليفة عمر، عندما أشار مع الأمير «سعد بن أبي وقاص» – رضي اللّٰه عنهما – أن يبني البصرة، فنزلتها جموع شيبان، وذلك بعد بلائها تحت إمرة «المثنى» في حرب الفرس، قبل إمرة «سعد».

محمد: وفيها بنى ذوونا مسجد «مازن».

حنبل: أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

محمد: زهو وخيلاء في الإسلام يا أبت؟!!

حنبل: زهو وفرح ببناء مساجد يذكر فيها اسم اللّٰه.

الزوجة: وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

حنبل: بارك اللّٰه لبيتي بمن فيه، له الحمد والشكر على كل حال.

المشهد الثالث

(حنبل، ثمامة، جارية، خادم، محمد، زوار مهنئون)

جارية: سيدي، سيدي محمد.

محمد: ماذا وراءك؟ بشري!

جارية: سيدتي وضعت.

حنبل ومحمد معا: وضعت!!! الحمد لله.

حنبل: ما...ماذا؟ هل...

محمد: الحمد لله، صرت أبا.

حنبل: زاد قدرك في عيني أبيك، أترى؟

محمد: أصبحنا نتحدث عن أمور العائلة، وبذا خفت صوت الحديث عن الجهاد.

حنبل: الآن، يستطيع القائد المجاهد أن يذهب لطيته.

محمد: أذهب لأرى الطفل، هل...هو...

حنبل: إياك يا ولدي، فليس في بني شيبان من يقول «ليس الذكر كالأنثى»، فالكل نعمة من الله سبحانه.

محمد: أستأذن الوالد لأطمئن على زوجتي والولد.

حنبل: في رعاية الله وحفظه يا ولدي.

خادم: مولاي، ثمامة قادم.

حنبل: قصد أهلا، ووطئ سهلا، علامة بني شيبان، ثمامة.

ثمامة: السلام على ابن العم، ومن يلوذ به.

حنبل: عليك من الله سلام ورحمة، طائر يمن، وبشير سعد.

محمد: (**من بعيد**) أبت «ثم مقتربا» ثمامة يا ابن العم، لا تؤاخذني، فقد شغلني المولود فلم ألق التحية.

ثمامة: خير ولد لخير والد.

حنبل: كيف رأيته يا محمد؟

محمد: أحمد، يا والدي، وجهه كزيت المشكاة، فيها مصباح، يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار.

حنبل: وأم أحمد يا محمد؟

محمد: على خير ما يرجى، وذاك من رحمة الله، والآن...

حنبل، مقاطعا: جعل الله لك في كل آن خيرا، ماذا يا بني؟

محمد: أترك لكم في البيت رجلا، وألتحق بإخواني.

ثمامة: ألا تلبث أياما، والضيف قد يستوحش؟

محمد: الضيف أصبح رب البيت، وكلنا في ظل حنبل بن هلال.

حنبل: رافقتك السلامة، ادن لأقبلك، لا تجعل غربتك طويلة يا ولدي.

محمد: ادع لنا يا ثمامة.

ثمامة: النور في قلبك، والعزيمة في دمك، ورؤية الحق بين عينيك، والله سبحانه يحوطك بالعناية.

محمد: والآن، أستودعكم الله ربي.

الاثنان: رافقتك السلامة يا محمد.

حنبل: قلت لك: إنه لا يتراخى عن الجهاد.

ثمامة: كان الله في عونه، قل يا ابن العم.

حنبل: ماذا، فديتك!؟

ثمامة: أين نحن من العام؟

حنبل: السادس من ذي الحجة، في الثالثة والستين بعد المائة من هجرة رسول الأنام.

ثمامة: عليه وعلى النبيين والمرسلين أزكى التحية والسلام.

حنبل: وفيم سؤالك؟

ثمامة: ما عهدت شجر الرصافة يزهر كهذا العام.

«ستار»

مركبة التقوى

بقلم: محمد عادل سليمان – مصر

(مسرحية شعرية ذات ثلاثة أصوات من مشهد واحد)

صوت: صوت ينقذني من موج الفتنة.

صوت آخر: موج الفتنة أعنف من مجدافك

ـــــ: مجدافي أقوى

ـــــ: وحدك لا تقوى

ـــــ: أعيتني الحيلة.. والتيار عنيف

ـــــ: بحر الظلمات مخيف

ـــــ: ويداي المثقلتان؟

ـــــ: قل: ويداي مرهقتان..

ـــــ: أعرف..لكني أبحث عن مركبة تحملني في غرفات الإنقاذ إلى شاطئ.

ـــــ: لا تبحث إلا عن مركبة تحملك إلى الصخر الناتئ.

ـــــ: مركبة..أو زورق..أو أي شراع.

ـــــ: يبلعك الحوت الأزرق..أو تغرق في القاع.

ـــــ: أبحث حتى عن قشَّةْ..أتعلق.

ـــــ: القشة مركبة هشَّةْ..تتمزق

ـــــ: لا وقت –الآن– لمعركة جدلية

ـــــ: الوقت أمامك

ـــــ: البحر..الموج..التيار

ــــــ: والفتنة..والإعصار

ــــــ: والمخرج أين؟

ــــــ: لا في الأين..ولا في البين

ــــــ: في ماذا؟

ــــــ: فتش في ذاتك

ــــــ: فتشت، فأعيتني الحيلة

ــــــ: في ذاتك مركبة الإنقاذ

ــــــ: أتحسس عقلي في رأسي..

عيني في وجهي..

أذناي تحسان النأمة في كل الجبهات..

وذراعاي ألامس بهما كل الأشياء..

حتى قدماي تدقان مسامير الأرض بكل الأنحاء.

ــــــ: هذا سر الداء.

ــــــ: ماذا تعني؟

ــــــ: أعني أنك مخدوع بسطوح الأشياء.

ــــــ: مخدوع بسطوح الأشياء؟

ــــــ: لو عقلك في قلبك لوعيت

لو عيناك بوجه بصيرتك رأيت

لو أذناك تحسان الصوت الأخفى لسمعت

لو أن يديك مطهرتان من الدم..

لو قدماك الغائصتان بقاع الأرض تفران إلى نهر الأنجم لنجوت.

ـــــ: لكني الآن أموت.

ـــــ: لا ينقذك من الموت سوى القوت.

ـــــ: القوت؟

ـــــ: القوت.

ـــــ: القوت..وفي البحر الموج.. وليل الفتنة.. والتيار؟

ـــــ: بالقوت تواجه كل الإعصار.

ـــــ: أي القوت يكون دليلي في صحراء الحيرة والظلمات..

وأنا في تيه ضلالي..

قل لي ماذا أقتات؟

ـــــ: تقتات من الآيات

ـــــ: هل فيها سر القوت..ودليلي في الحيرةْ..

وهداي بصحراء حياتي؟

هل فيها مركبتي إن تعصف بي زوبعة الفتنة؟

ـــــ: فيها قوتك في الجوع..وليلك في الحيرة.. وهداك بصحراء ضلالك.

ـــــ: فيها مركبتك في ظلمات الفتنةْ.. فيها مخرجك من المحنة

ـــــ: والقوت.. طويل..؟ أم موقوت؟

ـــــ: عجل.. أنت تموت.

ـــــ: عجل أنت.

ـــــ: اسمع..

صوت ثالث: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم..

ألم..ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)

الصوت الأول: يا متجلي بهداك..أنقذني، فالوقت هلاك.

الصوت الثاني: الآن عرفت طريقك حين دعوت.

ـــــ: من غير سلوك؟

ـــــ: الصرخة بدء الميلاد

وأذان الفجر الصادق صوت الضوء القادم من شرفات الشمس..

ثم تموج الحركة في الكون..وتبدأ أولى خطوات النفس.

ـــــ: أومن بالله

ـــــ: لا يكفي القول

ـــــ: أومن بالغيب

ـــــ: حتى هذا الإيمان المصفر على شفتيك..لا يخضر بغير التقوى

ـــــ: التقوى؟

ـــــ: التقوى في القلب المؤمن ميزاب الرحمة والنور..

التقوى فيض النور على العقل الوهبيِّ المكنون بقلبك

ـــــ: أهما عقلان؟

ـــــ: أجل..عقل في رأسك تكسبه بجوارح حسك..

والآخر فطري في القلب يطل – إذا أبصر – في الملكوت.

ـــــ: والتقوى..

الصوت الثالث: (**الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، وبالآخرة هم يوقنون.. أولئك على هدى من ربهم، وأولئك هم المفلحون**).

الصوت الأول: يا شمس الإيمان أطلي.

الصوت الثاني: تقترب المركبة الآن.

ـــــ: أسمع..هذا صوت.

ـــــ: الآن نجوت.

الصوت الثالث: تقترب المركبة الآن.

الصوت الأول: ومن الربان؟

الصوت الثالث: محمد (ﷺ)

الأصوات الثلاثة: تقترب المركبة الآن..

تقترب المركبة الآن..

تقترب المركبة الآن

فليركب أهل الإيمان.

«ستار»

الأسير*

بقلم: عبد التواب يوسف – مصر

(غرفة في دار من الدور القديمة في المدينة المنورة، بعد هجرة الرسول ﷺ إليها.. الغرفة يغلب عليها الظلام.. هناك كوة صغيرة عالية يدخل منها القليل من النور.. كما أن هناك نافذة واحدة واضح أنها مغلقة جيدا.. الباب صغير.. يفتح ويوصد بشكل سريع.. عموما، تشعرنا الغرفة بأنها «سجن».ليس بها إلا القليل من الأشياء ؛ قدر صغير للماء في جانب، وبجواره بعض أواني الطعام. هناك صرة ثياب معلقة في ركن من أركان الغرفة).

(الأسير وحده، يتحرك في الغرفة على أطراف أصابعه، يتلصص عند الباب.. يطمئن.. يذهب إلى النافذة، يحاول فتحها، في اللحظة التي يكاد ينجح فيها يفتح الباب، ويدخل الحارس "مصعب" ومن خلفه يظهر مساعده "حسان".. الأسير يتراجع بسرعة من عند النافذة..)

الحارس: أرى أنك تحاول الهروب من الأسر..

الأسير: هل تظنني أقبل البقاء هنا إلى الأبد؟

الحارس: أعرف أنك تريد الإفلات، لهذا لابد أن أقيدك..

الأسير: ماذا؟! تقيدني؟!

الحارس: نعم.. ما من سبيل للاطمئنان إلا بذلك..

الأسير: ليس هذا من حقك..

الحارس: لا تتحدث عن الحق.. قيده يا حسان..

المساعد: هل أقيد يديه أم قدميه؟!

---

* فازت هذه المسرحية بجائزة أحسن عمل درامي إذاعي قدم من خلال«صوت العرب» في التسعينات».

الحارس: سنكتفي بتقييد قدميه هذه المرة..

(يتقدم المساعد فيقيد قدمي الأسير)..

الأسير: لا تضغط عليهما.. أنت تؤلمني..

الحارس: استجب يا حسان..

المساعد: لكن، ماذا لو أنه فك وثاقه هذا؟

الحارس: سنقيد يديه في المرة المقبلة..

(ينتهي المساعد من عمله.. ويخرج وراء الحارس، ويغلقان الباب.. الأسير يجرب السير وهو مربوط القدمين.. يصل إلى صرة الثياب.. يخرج منها شيئا وهو يتلفت حوله.. يأكل جانبا من الشيء الذي أخرجه، ويتلمظ.. يفاجأ مرة أخرى بدخول الحارس، ليملأ القدر بالماء.. يخفي ما بيده).

الحارس: معذرة.. جئتك بالماء..

الأسير: حسنا، فلست أريد أن أعاني من العطش، بجانب الأسر..

الحارس: ماذا أخفيت في طيات ثيابك؟

الأسير: لا شيء..

الحارس: لا تكذب علي، فقد رأيتك بعيني.

الأسير: هذا سري، ولن أطلع عليه أحدا.

الحارس: كان يجب أن نفتشك..

الأسير: لا.. لن أسمح بذلك.

الحارس: لا بد أن أعرف...

الأسير: شريطة ألا تذكر ذلك لأحد.

الحارس: لك علي هذا..

الأسير: معي في الصرة (إله)..(**هامسا**)

الحارس: (**مفزوعا**) ماذا؟!

الأسير: قلت لك: إله!

الحارس(**يقهقه**): ماذا تقول يا رجل؟

الأسير: إنه إله من «العجوة» سويته بنفسي.

الحارس(**مستمرا في الضحك**): هل يخلقك الإله أم تخلقه؟!

الأسير: نحن والآلهة نتبادل المنافع والمصالح...

الحارس: لكن، لماذا لم يستطع إلهك هذا أن يحميك من الأسر؟

الأسير: لا أدري.. وقد عاقبته بشدة على ذلك!

الحارس(**يضحك**): عاقبته؟كيف؟!

الأسير: أكلت ذراعه.. وكان لذيذا..

الحارس: بالهناء والشفاء..إن كنت جائعا، أخبرني لآتيك بطعامك.

الأسير: لا..لا حاجة بي إليه الآن...

(الحارس يملأ القدر بالماء.. ويتجه إلى الخارج.. بينما يتحرك الأسير ببطء إلى فراشه البسيط.. ويرقد عليه، يخرج الحارس بينما يعبث الأسير بقيوده.. وينجح في فك رباط أحد القدمين.. ويغادر مكانه مجربا السير.. ويفاجأ بالحارس ومساعده يفتحان الباب حاملين الطعام).

الحارس: جئتك بالثريد واللحم و...

المساعد:(**يلحظ فك الوثاق**) لقد فك الوثاق!

الحارس: إذن يحق لنا أن نوثق يديه وقدميه...

الأسير: وكيف أتناول طعامي؟

الحارس: سنوثقك بطريقة تيسر لك ذلك..لا تقلق..

(المساعد يعيد ربط وثاق القدمين، بطريقة تسمح له ببعض الحركة... ويوثق الذراعين بشكل يمكن معه من تناول طعامه.. ثم يتركانه ويخرجان.. والحارس ينذره قائلا..)

الحارس: سنشدد وثاقك عند أي محاولة أخرى لفكه..

(يخرجان.. ويتناول الأسير بعض الطعام.. ثم يغادر مكانه لفحص النافذة.. ويقوم ببعض الحركات البهلوانية المضحكة، لكي يفك وثاق قدميه بيديه المربوطتين.. ينجح في فك جانب منها، ويستمر رأسه على عقبه. يدخل الحارس ومساعده، يجدانه نائما على ظهره، قدماه عند رأسه ويداه تحلان الوثاق).

الحارس: جئنا نحمل الأطباق و..(**يفاجأ بمنظره ومحاولاته...**)

المساعد: لا سبيل إلا بتقييده، ويداه خلف ظهره..

الحارس: يبدو أنه ليس أمامنا غير هذا..

(الأسير يعتدل ويجلس القرفصاء).

الأسير: إنني لم أعد أطيق هذا الأسر.

الحارس: هو جزاؤك على قتالك لنا.

الأسير: وأين ما تتحدثون به عن سماحتكم؟

الحارس: نحن هنا نطعمك ونسقيك..

المساعد: وتركناك بلا قيود إلى أن حاولت الهرب...

الحارس: ولم نسئ إليك في شيء..

الأسير: ولكنكم تسجنوني؟

الحارس: ما عذبناك ولا آذيناك، كما فعلتم بنا في مكة..

الأسير: وإلى متى يستمر هذا؟

الحارس: أنت أسير حرب..

المساعد: إما أن تفتدي نفسك، وإما أن يفتديك أهلك.

الأسير: لا يملكون ولا أملك ما يمكننا من ذلك.

الحارس: لكنك كنت تملك حصانا وسيفا...

الأسير (في دهشة): كيف عرفت؟!

الحارس: وكدت تقتلني...

الأسير: أقتلك أنت؟!

الحارس: أي، نعم..

الأسير: متى؟وكيف؟!

الحارس: في بدر ...

الأسير: لا تذكرني بها، ولا بما حدث فيها..

المساعد: كان يجيب على سؤالك، لا أكثر.

الأسير: قلت: إني كدت أقتلك؟

الحارس: نعم..

الأسير: ومع ذلك أراك لا تسيء معاملتي.

المساعد: بهذا يأمرنا ديننا الحنيف.. رغم قسوة ما رأيناه منكم في بدر..

الحارس: كان جيشكم ثلاثة أضعاف رجالنا عددا وعدة..ومع ذلك...

الأسير: أعرف أعرف.. أرجوك،لا أريد أن أسمع شيئا عما حدث يومها.

الحارس: مادام هذا يضايقك فلن أتحدث عنه.. فلا رغبة لنا في جرح مشاعرك.

الأسير: لكن.. أما من سبيل للخروج من هذا المكان؟

المساعد: ما من سبيل إلا الفدية..

الأسير: وهذه مستحيلة!

المساعد: لماذا لا تفتديك قريش وقد قاتلت معها؟

الأسير: أنت تعرفهم.. يغرونك، ثم ينسونك بعد أن تقع.. هذه أخلاقهم!

المساعد: مادمت تعرف عنهم هذا، لماذا أقدمت على الانضمام إليهم؟

الأسير: وعدوني بالكثير من المال.. مئة من الإبل!

المساعد: لماذا لا يأتون بها لإطلاق سراحك؟

الأسير: أنا الآن في نظرهم لا أساوي ناقة واحدة.. (**يضحك**)

الحارس: فاتني أن أسألك شيئا.. هل تعرف القراءة والكتابة؟

الأسير: أجيدها بصورة طيبة.. وقد علمت زوجتي وابني.

الحارس: حقا؟!..أنت إذن تستطيع الحصول على حريتك..

الأسير: كيف؟!

الحارس: إذا أنت علمت عشرة من المسلمين القراءة والكتابة..

الأسير: حقا؟! أتصدقني القول؟!

الحارس: هل جربت منا الكذب؟!

الأسير: لا،لا.. لكنني لا أصدق أذني، إنها لفرصة فريدة.

الحارس: هل تستطيع هذا؟!

الأسير: نعم.. إذا اخترتم لي عشرة من الأذكياء..

الحارس: إنهم أذكياء بالطبع، فقد هداهم عقلهم إلى الإيمان بالله ورسوله..

الأسير: أرجوك.. أسرع.. آتني بهم..

الحارس: هل تتصورها مهمة سهلة؟!

الأسير: من هو في موقفي، أسيرا، لا بد أن يضنى من أجل إطلاق سراحه..

المساعد: إذن أنت تدرك أنها مسألة ليست باليسيرة؟

الأسير: طبعا.. لكنها ليست أصعب مما أنا فيه..

الحارس: حسنا. سنأتيك بمن ستعلمهم إذن.

الأسير: هاتهم.. هو عمل على الأقل سيسري عني، وينسيني ما أنا فيه..

الحارس: على كل، سأكون أول الدارسين على يديك..

المساعد: وأنا الثاني..

الأسير: مرحبا بكما. وهل ستجدون ثمانية آخرين؟

الحارس: ليس هناك أيسر من ذلك.

المساعد: الجميع يسعون إلى العلم، والتعليم..

الحارس بهذا يأمرنا ديننا..

المساعد: ويحضنا عليه رسول الله ﷺ..

الأسير: هذا واضح.. وإنها لأول مرة في التاريخ – على حد علمي – يطلق سراح الأسير إذا علم عشرة من الأميين القراءة والكتابة.

الحارس: الجديد – الذي أتى به الإسلام – كثير..

المساعد: وهو يبغي به خيرنا في الدنيا والآخرة..

الأسير: لكنكما لا تتكلمان كالأميين؟!

الحارس: ماذا تعني؟!

الأسير: أراكما متفتحين، تحسنان الحديث، و...

الحارس: ما دمنا لا نحسن القراءة والكتابة فنحن من الأميين.

المساعد: ونحن في حاجة إلى مساعدتك لنا.

الأسير: وهل ستفكان قيودي؟

الحارس: طبعا.. شريطة ألا تحاول الهروب..

الأسير: كنت أحاول ذلك حين فقدت الأمل في إطلاق سراحي.

المساعد: والآن؟

الأسير: فتحتم لي باب الأمل، على أوسع أبوابه.

الحارس: وبذلك ترتاح ونرتاح.

الأسير: نعم.. ثم إنني لن أشعر بملل الحبس وضيق الأسر.

المساعد: مابنا رغبة في أن يتسلل إليك مثل هذا الشعور.

الأسير: إذن هيا بنا.. آتوني بالأميين.

الحارس: سيكونون هنا عما قريب.

الأسير: فرجت..حمدا للآلهة.. ناولني صرة ملابسي..

(الحارس يقدمها إليه وهو يسأله..)

الحارس: ما حاجتك بها؟

الأسير: أشكر إلهي العجوة.. وأقضم منه ذراعه الآخر..

(الحارس والمساعد يقهقهان)

المشهد الثاني

نفس المنظر الأول، لكن يخلو إلى حد ما من مظاهر الحبس والسجن. الإضاءة أصبحت أقوى، ومن الممكن فتح النافذة...

(الحارس ومساعده - في البداية – يفكان قيود الأسير).

الأسير: ألا تخاف أن أهرب؟!

الحارس: ستراقبك عشرون عينا ساهرة..

الأسير: كيف؟!

الحارس: هؤلاء الذين سيتعلمون على يديك..

الأسير: آه..

المساعد: لن ندعك وحدك إلا ساعة النوم..

الأسير: ومتى يفد طلاب القراءة؟

الحارس: بعد لحظات.. ومعك اثنان منهما تستطيع أن تبدأ معهما..

الأسير قل لي بصدق: ما حاجتك للقراءة والكتابة؟

الحارس: مثل حاجتك للحرية.. والطعام، والشراب..

الأسير: إلى هذه الدرجة؟

الحارس: نعم..

الأسير – (**للمساعد**)- وأنت؟

المساعد (**يمسك رأسه**): أحس أن رأسي مظلم، وأني أسير في ظلام..

الأسير: أتصدقني القول؟

المساعد: حينما أمسك برق غزال عليه آية كريمة، أتوق لقراءتها فتستعصي علي.. ساعتها أشعر بالأسى، وتنساب دموعي..

الأسير: تبكي لأنك لا تعرف القراءة والكتابة؟

المساعد: أقولها لك بصراحة: إنني أكاد أبكي بدل الدموع دما..

الأسير: هل القراءة ضرورية عندكم لهذا الحد؟

المساعد: نعم.. لكنك لن تستطيع أن تدرك ذلك إلا إذا كنت مسلما تريد أن تقرأ القرآن الكريم..

الأسير: ربما، فلا علم لي به...

(تسمع دقات على الباب الخارجي)

المساعد: ها قد قدم البعض..

الحارس: اذهب وافتح لهم الباب.

(يدخل شيخ كبير يمسك بيده طفلا صغيرا.. يخطوان معا بشكل منتظم...

الشيخ الكبير والطفل: السلام عليكم...

الحارس: وعليكم السلام..

الشيخ الكبير: أين معلمنا؟!

الحارس: **(وهو يشير للأسير في تقدير)** – ها هو..

الشيخ الكبير: لك الشكر مقدما مني.

الطفل: ومني أيضا..

الحارس: تفضلا بالجلوس.

الشيخ الكبير: لا نستطيع ذلك..

الحارس: لماذا؟!

الشيخ الكبير: حتى يأذن لنا معلمنا.

الأسير: ماذا؟!.. تفضل يا عماه.. تفضل..ومعذرة، أذهلني دخولكما عن الترحيب بكما.. ما توقعت أن... تفضلا..

الطفل: تفضل يا جدي العزيز..

(الجد يتهيأ للجلوس..)

الأسير: جدك؟

الطفل: أي نعم.. **(الطفل يتهيأ للجلوس من وراء جده لليمين..)**

الأسير: أهلا ومرحبا يا عماه.. مازالت الدهشة تعقد لساني..

الشيخ الكبير: لماذا الدهشة؟!

الأسير هل..هل.. هل أستطيع أن أسألك: لماذا تريد أن تتعلم في هذه السن؟

الشيخ الكبير (**وهو يشير بإصبعه إلى السماء**): استجابة لأمر الله.

الأسير(**يضحك**): هل أمرك الله بأن تتعلم؟! (**في سخرية طفيفة**)

الشيخ الكبير: أي.. نعم..

الأسير: كيف هذا؟! ومتى؟!

الشيخ الكبير: في أول أمر نزل منه.. مع أول آية أوحى بها الله إلى رسوله الكريم.. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ (**العلق**) صدق الله العظيم..

الأسير: لكنك شيخ كبير، ولن تجديك القراءة والكتابة؟

الشيخ الكبير: قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟

الأسير: ألديك لكل سؤال جواب؟

الشيخ الكبير: الحمد الله الذي جعلني قادرا على ذلك.

الأسير: يا رجل، إن بينك وبين الرحيل عن الدنيا خطوة واحدة؟

الشيخ الكبير: الأعمار بيد الله. وتعلموا العلم من المهد إلى اللحد..

الأسير: إلى اللحد؟ حتى ولو صعب عليك هذا، وبعد عنك؟

الشيخ الكبير: اطلبوا العلم ولو في الصين..

الأسير: مادمت بهذا الذكاء، وبهذه الفصاحة، لماذا لم تتعلم وأنت صغير؟

الشيخ الكبير(**في صوت مبطن بالحزن**): ختمت عبادة الأصنام على نفسي وقلبي..

الأسير(مقاطعا): لماذا؟

الشيخ الكبير(**مواصلا**): ولما أشرقت نفسي بالإيمان بالله ورسوله تفتحت للنور والمعرفة..

الأسير: ما أعجب ما فعل بكم محمد.. كم تغيرتم!

الشيخ الكبير: لا يغير اللّه ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم..

الأسير: صدقت.. وأنت أيها الصغير، ماذا جاء بك؟ تعين جدك على الطريق؟

الطفل: لا.. هو يعرف طريقه جيدا، والحمد للّه..

الأسير: لماذا أتيت إذن؟

الطفل: لأتعلم..

الأسير: مازلت صغيرا؟

الطفل: لست صغيرا، بل إنني أصلي للّه فأنا فوق السابعة!

الأسير: متى تستطيع أن تجاري الكبار؟!

الطفل: بل سأجري وأسبقهم.. التعليم في الصغر كالنقش على الحجر..

الأسير: تعرف لماذا؟!

الطفل: لأنه يبقى ولا يزول..

الأسير: لقد سمعت المثل على أنه (**التعليم في الكبر..**)

الطفل: ممكن.. لأنه صعب كالنقش على الحجر!

الأسير: واضح أنني – أنا – الذي سيتعلم الكثير.. متى نبدأ؟

الحارس: الآن إذا شئت.. أو ننتظر الباقين..

الأسير: أرجو ألا يتأخروا..

الحارس: اذهب واستدعهم يا حسان.

المساعد: سأكون هنا بعد لحظات..

الحارس: سنستعد بالأقلام والألواح، ونهيئ المكان..

(يقومون جميعا لتهيئة المكان ويخرج المساعد.. الحارس يعمل ستارا داكنا.. الطفل يعد مجلسا للعلم.. والشيخ الكبير يأتي بألواح ورِقٍّ غزال وأقلام من البوص.. يدخل أربعة أشخاص ومن خلفهم مساعد الحارس.. يضعون وسادة ليجلس عليها المعلم، وأخرى ليسند ظهره إليها.. مصباح زيتي..)

الأسير: أراكم ثمانية فقط؟

المساعد: بل نحن عشرة..

الأسير **(ساخرا)**: هل أنت أمي إلى هذه الدرجة؟! كم عدد الحاضرين هنا؟

المساعد: تسعة..

الأسير: تسعة؟! **(ساخرا ضاحكا)**

المساعد: نعم.. أنت يا معلمنا.. ونحن الرجال طلاب العلم ثمانية..

الأسير: تشترطون أن أعلم عشرة؟

المساعد: نعم.. معنا اثنتان ستتعلمان القراءة والكتابة..

الأسير: ماذا؟! امرأتان؟!

المساعد: نعم.. أي شيء في هذا؟!

الأسير: وأين هما؟

المساعد: ستتعلمان من وراء هذا الحجاب **(يشير إلى الستار الداكن...)**

الأسير: إنه لأمر مدهش.

المساعد: ما الذي يدهشك فيه؟

الأسير: نحن نئد المرأة هناك، وتعلمونها هنا!

المساعد: بالعلم تربي أبناءها على العلم..

الأسير: صدقت.. فلنبدأ..

(يجلسون في حلقة وفي صدرها الأسير المعلم..

الشيخ الكبير: هيا تفضل باسم الله..

الحارس: نحن جاهزون..

الطفل: ومستعدون تماما..

الأسير: لغة الضاد تتكون من ثمانية وعشرين حرفا.. أولها حرف الألف. وهو كالعصا.. وتتوالى من بعده الحروف.. ونحن ننطق عددا منها بقولنا: ابتثجح!!.

(يضحكون ضحكا مكتوما...)

الأسير: أي: ألف باء تاء ثاء جيم حاء... وننطق عددا آخر بقولنا (**خدذرز**)... (**يضحكون...**)

(تطفأ الأنوار، وتضاء... الدارسون يغيرون أماكنهم... أي أن الوقت يمر...)

الأسير: اكتبوا..اللات..

الشيخ الكبير: هل تسمح لنا أن نخطها على الرمل؟

الأسير: لا مانع..

الطفل: لا أحب أن أكتب هذه الكلمة.. (هامسا)

الشيخ الكبير (**هامسا**): اكتبها، والعنها..

الطفل (يخط على الأرض.. وكذلك الجميع..)

الأسير (**للطفل**): أخطأت هذه المرة: اللات فيها لامان..

الطفل: آسف سأعيد كتابتها..

الأسير: اكتبوا: العزى..

الحارس: هل هكذا تكتب؟

الأسير: لا.. إنها تكتب بالألف المقصورة، لا بالألف الممدودة.

الحارس: نعم نعم.. معذرة..

الأسير: اكتبوا: هبل.. مناة!

المساعد: ها هي ذي..

الحارس: هل تكتب مناة بالتاء المفتوحة؟

الأسير: مادامت تنطق بالهاء في الوقف..مناه..إذن هي تاء مربوطة.. (**يتنهد**)

الحارس: إذا كنت قد تعبت يا معلمنا، فلنكتف بما حصلنا عليه اليوم.

الأسير: دعوني أسترح ساعة.. وعودوا إلي..

الشيخ الكبير: سمعا وطاعة..

(**ينصرفون..**)

(**الحارس يحمل الماء إلى الأسير**)

المساعد: سنأتيك بطعامك على الفور..

الأسير: أشكرك..

المساعد: سيكون هناك لبن وتمر إلى أن يطهى اللحم

الأسير: الحق أنكم أحسنتم معاملتي.. وازدادت حسنا بعد أن بدأنا الدروس.

المساعد: هل أحسست أننا نتقدم؟

الأسير: إلى حد كبير.. أنتم مشغوفون بالتعلم.. وفي هذا مساعدة كبيرة لي..

الحارس(**للمساعد**): اذهب فَائْتِ بالطعام من فضلك..

المساعد: سأكون هنا بعد قليل.

(**يخرج المساعد، يتقرب الأسير من الحارس..**)

الأسير (**في خبث**): لقد أصبحت معلمك.

الحارس: ماذا تعني؟

الأسير: هل ترضى لنفسك أن تكون سجانا لمعلمك؟

الحارس: لست سجانا..إنما أنا حارس عليك حتى تؤدي ما فرضه رسول الله ﷺ عليك من تعليم عشرة، لنطلق سراحك...

الأسير: لقد تعبت من هذا العمل..

الحارس: لم تتعب يوم بدر في قتالنا!

الأسير: قلت لك: لا تذكرني بهذا اليوم..

الحارس: بل يجب أن تذكره، لأنه هو الذي أتى بك إلى هنا.. وأنت بتعليمنا تكفر عن قتالك ضدنا..

الأسير: ألا تستطيع أن تعينني على الخروج من هنا؟

الحارس: إلى أين؟

الأسير: إلى مكة.. وأجزل لك العطاء!

الحارس: ماذا تقول؟ أتريد مني أن أخون الأمانة؟

الأسير: لا ترفع صوتك هكذا، قد يسمعونك!

الحارس: لا بد أن يسمعوني.

الأسير: ماذا؟

الحارس: لا بد أن أنقل إليهم ما قلته لي.

الأسير: أرجوك، لا تفش سري.

الحارس: هذا ليس بسر، لقد حاولت أن تغريني لأسمح لك بالهرب..

الأسير: أتوسل إليك – باسم ما علمتك – ألا تذكر شيئا عما دار بيننا..

الحارس: شريطة أن تقسم إنك لن تحاول الفرار ولن تسعى لذلك مرة أخرى.

الأسير: أقسم باللات والعزى ألا أفعل..

الحارس: وأنا سامحتك، وسأحتفظ لك بما قلت..

الأسير: كفى.. إني أسمع أصواتا قادمة..

الحارس: لا تقلق..

(يدخل المساعد حاملا التمر واللبن..)

المساعد: ها هو ذا التمر من أجود ما أثمره نخيل المدينة المنورة..

الأسير: فلتبارك فيه الآلهة..

المساعد: واللبن من أفضل ما تحلبه النوق..

الأسير: شكرا لها ولك..

(يضع الطعام بين يديه...)

(...يدخل واحد من الذين يتعلمون يحمل مقعدا.. ومنضدة صغيرة..)

الرجل: تفضل هذا يا معلمنا..

الأسير: ما هذا؟!

الرجل: أنا نجار، وقد صنعت لك مقعدا تجلس عليه..

(يرفع الوسادة، ويضع المقعد ومن فوقه الوسادة..)

الأسير(**وهو يجلس**): شيء عظيم.. ولا عرش بلقيس..

الرجل(**يضع أمامه المنضدة**): وهذه أيضا...

(يضعون فوقها التمر واللبن..)

الحارس: هكذا تستطيع أن ترانا جميعا، ونراك!

الأسير: شكرا..شكرا...

(يدخل الشيخ الكبير..)

الشيخ الكبير: معذرة، جئت مبكرا قبل موعد الدرس..

الأسير: لماذا؟!

الشيخ الكبير: لأهديك هذا النعل..

الأسير: هدية مقبولة..

الشيخ الكبير: رأيتك تسير حافي القدمين..

الأسير: وكيف يكون لي نعل في مثل ظروفي؟

الشيخ الكبير: ها قد أتيتك به.. جاءك دون أن تطلبه..

الأسير: أنا ممتن لك..

(يلبس النعل ويتحرك به في الغرفة راضيا سعيدا، ويجلس على مقعده في شيء من الزهوّ..، يخرج الجميع، فلا يبقى إلا الأسير والشيخ الكبير...)

الشيخ الكبير: واضح أنك راض بما قسمه الله لك؟

الأسير: إني أشكر الإله على كل شيء..لكن البعض – منكم – يتعلم في بطء شديد.

الشيخ الكبير: هم يبذلون أقصى ما في طاقتهم، غير أنك متعجل للأمر.

الأسير: صدقت..نعم، أنا متعجل لرغبتي في أن أتحرر...

الشيخ الكبير (**هامسا**): هل تعرف أنك مسؤول عن تأخر البعض في الكتابة والقراءة؟

الأسير: أنا؟! كيف؟! أنت تعلم أني تواق للحرية.. وأعمل ليل نهار...

الشيخ الكبير: أنا معك، لكنك لا تحسن اختيار العبارات والكلمات التي تعلمنا إياها..

الأسير: ماذا تعني؟!

الشيخ الكبير: علمنا كيف نكتب كلمات مثل: الله.. رسول الله.. ﷺ.. علمنا أن نكتب: إن الله يحب المحسنين.. علمنا كلمات الشهادة.. الصلاة..الزكاة..الصوم..

الأسير: هل يساعدكم هذا على التعلم بسرعة؟

الشيخ الكبير: بأسرع مما تتصور..في أقل من نصف الوقت..

الأسير: حقا؟! سأفعل ما تشير به إذن!

الشيخ الكبير: فلتمل علينا بعضا من آي الذكر الحكيم..

الأسير: لا أحفظ منه شيئا..

الشيخ الكبير: نأتيك ببعض من سوره الكريمة..أنت ذاتك ستستمتع بالإملاء..

الأسير: آتني بها أرجوك.

الشيخ الكبير: (**يخرج جلد غزال من ثيابه...**) خذ..

الأسير: شكرا جزيلا لك..

(يدخل الدارسون..يدخل الحارس..ومعه المساعد يحمل طبقا...)

المساعد: وهذا الطعام هدية لك..

الأسير: لحم وثريد..ممن؟

المساعد: من واحدة ممن يتعلمن على يديك.

الأسير: أحمد لها ما صنعته.. فلتبارك لها الآلهة جهدها.

المساعد: يا رجل.. ليست هناك الآلهة، إنما هو إله واحد..

الشيخ الكبير: هل نتركك حتى تأكل طعامك؟!

الأسير: لا..سأعلق لكم هذه الآيات..لتنقلوها..

الحارس: أحسنت..وحتى تصل الدارستان...

(ينهمك الأسير في الأكل..بعد تعليق الورقة..وينهمك الدارسون في الكتابة...

المشهد الثالث

(نفس المكان – وقد انتهت منه بالكامل مظاهر السجن.. رفع الستار الداكن.. الأسير يلملم أشياءه..يدخل الحارس..)

الحارس: كيف أنت الآن؟

الأسير: بخير، بل وسعيد.

الحارس: أرأيت كيف تعلمنا بسرعة؟

الأسير: أنتم مذهلون..

الحارس: أتدري السر؟

الأسير: لا..

الحارس: إنه بسيط.. منذ كففت عن تعليمنا كلمات: اللات والعزى..

الأسير (**ينتبه**): آه..

الحارس: وبدأت تملي علينا آيات من كتاب الله..

الأسير: هي نصيحة الشيخ الكبير الطيب.

الحارس: منذ تلك اللحظة يسرت علينا مهمتنا.

الأسير: ويسرتموها لي..

الحارس: وها قد اقترب موعد إطلاق سراحك..

الأسير: أرجو أن تصدقوا فيما وعدتم!

الحارس: سترى..

الأسير (**وهو يتمشى**): أشعر بحنين طاغ إليك يا مكة..

الحارس: سترجع إليها إن شاء الله..

الأسير (**مواصلا**): أحس بوحشة شديدة لأمي.. وأبي.. وإخوتي..

الحارس: عما قريب ستراهم إن شاء الله.

الأسير: لا أظن ذلك سيحدث.

الحارس:لماذا؟

الأسير: أعتقد أنكم تسخرون مني وتُسخرونني لتعليمكم، ثم لا تتركوني أذهب..

الحارس: لماذا تظن بنا الظنون يا رجل؟ إن بعض الظن إثم..

الأسير: أخشى أن يتظاهر البعض بأنهم لم يتعلموا ليبقوني أسيرا!

الحارس: لا تقلق.. هذا ليس من ديننا ولا من شيمنا ولا من أخلاقنا..

الأسير: هل أنتم عند كلمتكم حقا وصدقا؟

الحارس: طبعا.. والذي علمتهم يظهرون فرحتهم بذلك، ويتدربون ليل نهار على القراءة والكتابة.. بل كل منهم يتطلع لأن يكون واحدا من كُتاب الوحي..

الأسير: ماذا تعني؟

الحارس:أعني أنه يريد أن يكتب الآيات التي يوحي بها الله إلى رسوله.. وإنه لشرف - لو تعلم - عظيم.

الأسير: إذن لي أن أطمئن؟

الحارس:كل الاطمئنان..

(يدخل أربعة من الذين كانوا يتعلمون علي يدي الأسير.. كل منهم يحمل شيئا...)

الأمي ١: جئت أشكرك على ما قمت به نحوي..

الأسير: عفوا..

الأمي١: لقد اجتزتُ الاختبار.. ومن أجل هذا جئتك بهدية.

الأسير: هدية؟

الأمي١: نعم.. قدر من العسل.. تحمله معك إلى أسرتك.

الأسير: أشكرك.

الأمي٢: وأنا جئتك بصاعين من التمر.

الأسير: هدية مقبولة..

الأمي ٣: وأنا جئتك بثوب قطرية، جميلة الصنع..

الأسير:حقا؟ نعم الاختيار..

الأمي ٣: رسول اللهﷺ ارتدى مثلها!

الأسير: لا أدري – والله – كيف أشكرك.

الأمي ٤: واسمح لي أن أقدم لك أربعة صاعات من البر..

الأسير:لا أكاد أصدق ما يجري..

الأمي ٤: متى ترحل لنكون في وداعك؟

الأسير:إذن، ستنفذون ما وعدتم به؟

الأمي ٤: هل تصورت شيئا غير هذا؟!

الأسير:خشيت أن ترجعوا عما اعتزمتم..

الأمي ٤: لا لا.. لا تخش شيئا..

الأمي ١: سننتظرك بالباب إلى أن يأتي الباقون وتعد نفسك للرحيل.

الأسير:شكرا شكرا...

(يخرج الدارسون..ويجلس الأسير مفكرا، والحارس يدور من حوله.)

الحارس: لم تكن تصدق أنك ستكون طليقا؟

الأسير: أعترف بأني ما كنت أصدق..

(يدخل الشيخ الكبير والطفل...ويظهر بالباب مساعد الحارس...)

الشيخ الكبير: السلام عليكم..ورحمة الله وبركاته..

الأسير: وعليكم السلام...

الطفل: كيف أنت يا عماه؟

الأسير: بخير يا بني..

الشيخ الكبير: هل أعددت كل شيء للرحيل؟

الأسير: نعم، تقريبا..يتبقى أن تفرجوا عني.

الشيخ الكبير: إنك لم تعد أسيرا.

الأسير: من قال بهذا؟

الشيخ الكبير: أنا أقول بذلك وأقطع به، ومعي العشرة الذين علمتهم القراءة والكتابة.

الأسير: هل تأكدتم أنهم جميعا قد تعلموا القراءة والكتابة؟

الشيخ الكبير: نعم، وأحسنوها..

الأسير: والمرأتان؟!

الشيخ الكبير: هما أيضا تعلمتا على خير وجه..وشهد بذلك الشهود..

الأسير: إذن يحق لي أن أنطلق عائدا إلى وطني وأهلي؟

الشيخ الكبير: أي نعم.. وقد أحضرت لك شاة، تنتظرك بالخارج لتحملها معك.

الطفل: وأنا أتيت لك بعنزة صغيرة..هدية!

الأسير: شكرا لكما..شكرا..

المساعد: وقد اشتركت والحارس في شراء فراش لك..

الأسير: ما كل هذا؟!

الحارس: أنت تستحق منا كل هذا جزاء وفاقا لما قمت به معنا.

الأسير: قمت به من أجل إطلاق سراحي، ولم أكن مخيرا.

الحارس: بل كان يمكنك أن تفتدي نفسك.

المساعد: قلنا لك: إننا نعرف أنك تمتلك الكثير..

الحارس: وعرفنا أنك بخلت بدفع الفدية!

الشيخ الكبير: لا نقول: بخل بدفع الفدية، من يدري ربما كان يختبرنا..

الحارس: علم ذلك عند الله.

الشيخ الكبير: على كل حال، كل شيء جاهز لرحيلك.

الحارس: والجميع هنا لتوديعك.. سنستدعيهم..

(يخرج المساعد، ويعود بالأربعة..)

الأسير: هل أنتم واثقون من أني الآن حر؟

الشيخ الكبير: كل الثقة..

الحارس: أنا حارسك أقول لك: إن من حقك أن تمضي عائدا إلى مكة..

المساعد: وأنا مساعده، سأسير معك إلى خارج المدينة..

الطفل: بل، كلنا سنفعل ذلك تحية لك.

الأسير: نعم نعم...

(يسير جيئة وذهابا وهم يتطلعون إليه...)

الحارس: ماذا بك؟!

الأسير: إني أسير..

الطفل: نعم، نحن نراك تسير!

الأسير: لا لا.. لا أقصد هذا..أعني أنكم أسرتموني..

الحارس: هذه حكاية قديمة، قاتلناك ونصرنا الله.. وأسرناك فعلمت منا عشرة..

الشيخ الكبير: فصار لك الحق في أن تكون طليقا..

الطفل: وتعود إلى مكة معززا مكرما..

المساعد: ومعك من يحرسك على الطريق..

الأسير: كل هذا أعرفه.. لكنني أقول: إنكم أسرتموني بإحسانكم.. أسرتموني بعطفكم.. أسرتموني بنبلكم..

الشيخ الكبير (**يضحك**): أهذا ما تقصده؟

الأسير: أي نعم.. لذلك لا أظنني بقادر على المشي إلى مكة..

الطفل: لن تمشي إليها!، فقد أعددنا لك راحلة..

الأسير: ماذا؟! راحلة لي أنا؟ أنا الذي قاتلتكم في بدر؟ أنا الذي شاركت في تعذيبكم؟ و...

الحارس: دعك من كل هذا.. الآن.. الراحلة بالباب تنتظرك..

المساعد: هي جاهزة لتذهب بك إلى مكة..

الأسير: أنا لست جاهزا..

الحارس: ماذا؟!

الأسير: أرجوكم.. أرجوكم أن تدعوني وحدي قليلا..

(يخرجون...)

(يجلس وحده.. يخرج من طيات ثيابه جلد الغزال وعليه آيات من القرآن الكريم... يتلوها...)

(وتختار له بعض الآيات التي تحض على التقوى..)

(يقف في هدوء.. ويتمشى جيئة وذهابا..)

(يمضي إلى الباب..يناديهم..)

الأسير: تعالوا..

الحارس: ماذا بك؟

الشيخ الكبير: هل بك شيء؟

المساعد: إن كنت مريضا فابق إلى أن يشفيك الله..

الأسير: بل لقد شفاني.. شفاني من سقم الروح والنفس.. شفاني من الجهل والظلام..
شفاني من الكفر والإلحاد..

اسمعوها مني...

أشهد أن لا إله إلا الله..

وأشهد أن محمدا رسول الله..

عليها أحيا وعليها أموت..

الجميع: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر

(المسرح يغمره الضياء... وهم يحتضنونه.. ويسمع أذان من بعيد...والستار ينزل رويدا رويدا..)

«ستار»

ذو الوشاح الأسود

بقلم: نجيب فاضل – تركيا

ترجمة: د. ماجدة مخلوف – مصر

مسرحية من فصل واحد

(غرفة في نُزُل فقير، شاعر شاب منحن على مائدته، منهمك في الكتابة، شعره مشعث على ناحيتين، في يده قلم، وأمامه أوراق مضطربة التنظيم، كتب مكوّمة على المائدة في غير انتظام، على المائدة أيضا شمعة قد أشعلت حديثا، سرير حديدي، فراش السرير غير مرتب، ذلك لأن الفراش بقي كما هو عند قيام الشاعر من النوم. وعلى المائدة الصغيرة الملاصقة للسرير، كوب ماء آسن وساعة منبه.. ودولاب صغير قديم على جانب منه درج مفتوح. ويتدلى من هذا الدرج المفتوح قميص قديم مهمل، وعلى الدولاب الصغير مرآة قديمة باهتة، مثبت على إطارها بطاقات بريدية قديمة. وفي وسط الغرفة مدفأة تعمل بالكيروسين. على فتحة المدفأة سناج أحدثه لسان خفيف من اللهب. وعلى الجدار صورة تمثل امرأة نصرانية يونانية، هي صاحبة النُزُل، التقطت هذه الصورة لها أيام شبابها. واضح من النافذتين الصغيرتين المقوستين أن موقع الحجرة فوق السطح).

(صوت دقات الساعة، وكذلك صوت خمس طرقات متتالية على الباب)

الشاعر: من؟

الصوت: أيها الشاعر، افتح الباب!.. هأنذا قد جئت!

الشاعر: من أنت؟!

الصوت: أنا الرجل الذي تنتظره!

الشاعر: أنا لا أنتظر أحدا!

الصوت: خذ الشمعة وتعال! افتح الباب وانظر إلى وجهي!

(وقع أقدام متجهة نحو الباب مباشرة - يدور المفتاح في القفل)

الشاعر: من أنت؟

الصوت: لا داعيَ للخوف. ارفع الشمعة ودقق النظر في وجهي!

الشاعر: إنني لا أرى شيئا سوى وشاحك الأسود. ولكن ما هذا؟ أقلنسوة تلك التي فوق رأسك؟ وجهك غير واضح البتة. أين وجهك؟

الصوت: (**قهقهة**) إن وجهي هناك حيث تكون روحك.

الشاعر: قل لي، من أنت، وماذا تريد؟ هيا أفصح بسرعة!

الصوت: ائذن لي أولا أن أدخل الغرفة. ومن ثم أحدثك عن كل شيء عنّي.

الشاعر: لا يمكن أن أدعك تدخل إلا إذا عرفت من تكون.

الصوت: يدك ترتعش أيها الشاعر! إنك بذلك تُسقط شمعتك من شمعدانها. فكّر في الظلمة بقلبها الأسود؛ سواد لون القطران!

الشاعر: قلت لك: من أنت!

الصوت: وماذا ستفعل إذا عرفت من أكون؟ بل إنك تعرف من أكون؟ شاعر يعني عاشق المجهول! أفسح الطريق ودعني أمرّ!

الشاعر: لم أفهم شيئا قط.

الصوت: أشكرك لاستقبالك لي في غرفتك المتواضعة.

(الباب في انغلاقه أقرب إلى الصوت المكتوم)

الشاعر: ما بالك تسير وكأنك لا تلامس الأرض.. وما هذا الوشاح الحالك السواد المنسدل من ذقنك حتى كعبيك؟ وكأن قلب القلنسوة التي فوق رأسك فارغ. صوتك غريب، كما أن ضحكتك تبدو غريبة. إن في صوتك صفيرا قادما من جهنم. يبدو أنك جنيّ من الجن؟

ذو الوشاح الأسود: أنا لست جنيّا. وما الجن إلا خدم لي.. إنهم كوّاؤون لوشاحي.

الشاعر: إنك تخيفني!

ذو الوشاح الأسود: أتتحدث عن الخوف؟ ياللعيب! دع الخوف لصغار العصافير والأفراس الصغيرة! هل الخوف من شيم الإنسان؟ هيا قف لأني لا بد أن أجلس الآن على هذا الكرسي المكسور. أوه، إن أدراج خمسة طوابق أتعبت ساقيّ وركبتيّ تماما.. أتعرف مدى التعب الذي قاسته ركبتاي؟ لقد قاست ما قاسته الدنيا منذ خلقت.

(لحظة صمت، تعقبها قهقهة)

يبدو أنك لا تدفع أجرا معقولا، حتى ألقت بك العجوز الشمطاء صاحبة النُزُل فوق هذا السطح. يالها من شمطاء. منذ لحظة قلبت صندوق الخبز الفارغ في المطبخ؛ فاستيقظت. وأدارت هذه العجوز الشمطاء مفتاح الكهرباء، وما أن فَعَلَتْ ذلك حتى وجدت طبقة من الظلام وقد أضيفت إلى الظلام نفسه. ذلك لأني كنت قد قطعت سلك التيار الكهربائي. وبينما أنا على ذلك، إذ بك أنت تنادي لتطلب منها شمعة. فقلت: يجب أن أزورك في حجرتك أثناء اشتعال الشمعة. لأن ضوء الكهرباء مغرور أحمق، يظن أن قياس المسافات لا يكون إلا بالبرجل والمسطرة.

الشاعر: هل أنا في حلم؟

ذو الوشاح الأسود: لست في حلم. لأنك - إذا أردتَ - يمكنك أن ترى ما يمكن أن تحلم به، وما لا يمكن أن تحلم به. يمكنك أن تغربل حواسك الخمس، علمك، ذاكرتك، ذكرياتك، وموازينك للأمور. هل تستطيع أن تفعل هذا في أي حلم؟ **(قهقهة)** أنت إذن في ذلك الحلم المسمى بالحياة؛ وهناك يحق للإنسان أن يراقب ما يحلم به وما لا يحلم به. **(قهقهة)**.

الشاعر: أرحني وقل لي من تكون!

ذو الوشاح الأسود: إذا كنت ستعير آداب التعامل كل هذا الاهتمام، وإذا كان الفضول يسيطر عليك، ولديك رغبة لأن تكون مرموقا في المجمتع، فلأقدم لك نفسي!

الشاعر: قدّم لي نفسك!

ذو الوشاح الأسود: أنا صديق والدك.

الشاعر: وأنا لم أتمكن من معرفة والدي.

ذو الوشاح الأسود: وهو أيضا لو رآني، لن يستطيع أن يتعرف عليّ.

الشاعر: كيف تقول إذن: إنك صديق والدي؟

ذو الوشاح الأسود: إنها صداقة قديمة جدا. أقمتُها مع والدك، ووالد والدك، ووالد هذا أيضا، إنها صداقة ممتدة إلى الأب الأول. وبالمعنى الأصح، إنها بدأت مع هذا الأول..

الشاعر: وكيف؟

ذو الوشاح الأسود: بل إنني كنت الوحيد الذي عصى أمرا قيل: إنه صدر بالسجود لجدك الأكبر. ألم يلقنوك هذا؟

الشاعر: إنك الشيطان!!!

ذو الوشاح الأسود: الشيطان!!! الشيطان الرجيم الذي استعاذوا بالله من شره!!!

الشاعر: لقد تيقنت أنك الشيطان. أنت بنفسك، كنت تشبه شيئا غير موجود في دنيانا.

ذو الوشاح الأسود: (**مقهقها**) إذن ها هو ذا ما تفكرون فيه فيما يتعلق بالكائنات! تنفون وجود الشيء في نفس الوقت الذي تُشبّهونه فيه بشيء آخر. (**قهقهة**) ومع أنكم لا تستطيعون تشبيه الله بشيء فإنكم تقولون بوجوده.

الشاعر: يا أيها الملعون الذي يتشح بالسواد! أفهم أنك جئت إليّ لكي تفسد نظام البناء في روحي. فلتعلم إذن أنك لن تستطع معي أمرا، لأنك لن تستطيع أن تزحزح حجرا واحدا في بناء الكون الذي في داخلي.

ذو الوشاح الأسود: انظر إلى يديّ هاتين! هأنذا أمدهما نحو وجهك! هل ترى يديّ؟

الشاعر: نعم أراهما! ماذا تريد؟

ذو الوشاح الأسود: ماذا تشبهان؟

الشاعر: تشبهان يدي امرأة لم أر مثلهما طوال حياتي.

ذو الوشاح الأسود: هل ترى أنهما جميلتان!؟

الشاعر: هل هما جميلتان بالفعل أم لا!؟ لا أدري. لكنهما مفزعتان! جميلتان بقدر ما هما مفزعتان! لا تقترب مني؛ وتكلم حيث أنت!.

ذو الوشاح الأسود: إنهما اليدان اللتان أقامتا بناء الكون الذي بداخلك! وإذا أردت الآن استرجاع هندسة هذا الكون، ألن تعطيه لي؟ هل ستدافع أمامي وتستخدم الكذب الذي أقحمته على قلبك إقحاما لكي أخدعك؟ (**قهقهة**) هل تعرف ماذا جال بخاطري؟ إنه ذلك الكلب الذي لا يعيد شيئا إلى صاحبه، حتى قطعة اللحم التي أخذها منه!

الشاعر: أنا لم آخذ منك شيئا قط. بل إني أصون نفسي بكل ما فيها لكي أحميها منك.

ذو الوشاح الأسود: إنني أنا صاحب المشاعر والأحاسيس التي حجزتموها في أرواحكم جانبا، ادعيتم أنها حلوة وجميلة!

الشاعر: أنا لا أصدقك! إنك لو حرّضت الإنسان ليستقيم في أمر ما، فلن يكون ذلك إلا لكي تدفع به إلى انحرافات هائلة. أنت ذلك المحتال الذي يرد قرشا واحدا دينا عليه لكي يسرق ألف قرش.

ذو الوشاح الأسود: شاعر مجنون، لقد أوقعك المتعصبون في حبائلهم، كما يوقع معلّم مدرسة القرية الأطفال في حبائله، وهو يدير التفاحة التي في يده أمام ضوء الشمعة، ليقول: إن الأرض تدور، وبذلك يخدعهم. أيها الشاعر الغبيّ، إنك تفترض أن من جاء ليغرقك بالذهب حتى حلقك عاشق للقرش الموهوم الذي في جيبك؟

الشاعر: جئت لتغرقني بالذهب حتى حلقومي؟!

ذو الوشاح الأسود: بالطبع، جئت لأكون البلسم لفقرك المدقع.

الشاعر: لا أصدقك، أيها الساحر الذي يغلي الكذب في مرجله!

ذو الوشاح الأسود: اطلب كل شيء، اطلب أيَّ شيء. فلقد جئت إليك لكي أرد إليك نصيبك الذي حرمت منه!

الشاعر: لا تمسك بتلابيبي يا ساحر الظلام! فأنا لا أطلب شيئا قط؛ بل إني لا أحمل في نفسي أي أمنية!

ذو الوشاح الأسود: ألا تتمنى شيئا قط؟ إن الطمع قد أغرق معدنك في الصدأ حتى أعمق أعماقك.. حذار، لا تقل: يجب أن أزيل هذا الصدأ؛ لأنه سيتبدد، وينتشر مثل الرماد. بل تتبدد أنت وتذهب. عليك فقط أن تطلب، وتطلب.. فقد وصلت أنت إلى حالتك البائسة هذه، لأنك لا تشبع من الطلب. والنجاة لن تكون إلا في الطلب، أو في الفناء والعدم، وتكون مثل بقعة تركتها حشرة على حائط. أنت تريد، وطلباتك لا تنتهي؛ فقد ولدت لتطلب. وسوف تموت بسبب عجزك عن إشباع نفسك بما تريد. وعندما تجد الواحد، تطلب الألف.

ما قيمة الشيء الذي ترى أنه يأتي في المقام الأول بالنسبة لك؟ أنت تريد الشيء الذي لن يوجد، تريد المرأة التي لم تولد بعد، الجملة التي لم تعرفها اللغات بعد، الثروة التي لا تستوعبها الخزائن، والنفوذ الذي لم ينله أحد من العظماء من قبل. وكل هذا ليس بشيء قط.. أنت تريد المعرفة، والمصيبة هنا أنك تريد المعرفة.. من أدق ذرّة في أبعد مادة، إلى أكثر الحركات غموضا في أصغر إنسان. تريد معرفة القانون الذي يدير الأشياء والأحداث. إنك لا ترضى بأن تكون مجرد حلقة في سلسلة الإنسان الذي يساق سوقا ورأسه (**مطرق**) أمامه. إنك تريد أن تمسك بأول حلقة في هذه السلسلة، وكذلك بآخر حلقة منها، وتوصل كل واحدة بالأخرى. والنتيجة: العدم!.. فلن تستطيع عمل شيء. ذلك لأن المحدود الذي لم تستطع استيعابه، سيأخذك تحت جناحه في مواجهة هذا اللامحدود الذي لم يستطع المحدود استيعابه.

أنت ترتبك في سيرك في حين أنك تتمنى الطيران. وبدلا من أن تملي إرادتك على الملوك، تجد نفسك وقد خضعت لجامعي القمامة. ها هي ذي الثروة التي لا تستوعبها الخزائن، قطعة الخبز الجافة المتروكة منذ ثلاثة أيام في درج الدولاب الصغير.. بل إن الأطفال الذين في الثالثة من عمرهم، يخجلون من الكلمات التي ركَّبتها وسميتها جملة لم تعرفها اللغات.. وذلك الاتساخ المصفر في ملاءة هذا

السرير المتسخة، يشهد على أن الخيال الذي لم يستطع أن يحتفظ - ولو للحظة واحدة - بالمرأة التي لم تولد بعد على وجه الأرض، يتبخر أمام المرأة العجوز التي تقطن في الطابق السفلي بجسمها المترهل.

الشاعر: اخرس، لتذهب إلى أعماق الأرض أيها الشيطان! اخرس، عليك لعنة الله، اخرس!

ذو الوشاح الأسود: إنك فنان بلا امرأة، بلا إنتاج، بلا مال، بلا شرف!.. فكّر في أن كل إنسان يمتلك كل هذه الأشياء.. وأنك كنت ستزدري كل هذه الأشياء لو كان المال متوافرا لديك. وما دام المال ينقصك، فستظل شهوتك لهذه الأشياء قائمة. إنك تصف هؤلاء الذين يعقدون الموازنة بين رغباتهم ومكاسبهم، إنهم أقزام، وأنت ذلك العملاق خاوي البطن والروح، المحكوم عليه بالغيرة من قوت الأقزام. ماذا تبقى لديك بعد توازنك الخرب الذي استثمرت فيه ما يسمونه العبقرية وكأنها بديل عن المال؟ فنان بلا امرأة، بلا إنتاج، بلا شرف!..

الشاعر: شيطان رجيم! إذا كان الأمر كذلك، فلماذا اخترتني أنا من بين كل هذا العدد من الرجال الأسوياء؟

ذو الوشاح الأسود: (**يقترب ويبدو وكأنه يفرك أشياء بكلتا يديه**) لأنه عندما ينتقل توازنك الخرب إلى يديّ، سيولد منه أرفع نظام. ولا أحد يعرف هذا السر غيري. قوالب المجتمع لا يمكن أن تلائمك. فهم يأخذون كلامك ليضعوه في كتب القراءة في المدارس، كما يأخذون عسل النحل، ومع ذلك فإنهم يودون لو أن يلقوا بشخصك من النافذة كما يطردون النحلة بإبرتها بمنشفة إلى الخارج. أنا فقط أعرف على أيّ أساس سيكون إعادة بناء روحك الخربة بعد أن يتم تجديدها في «ورشتي». لذا، اخترتك أنت من بين الكثيرين من هؤلاء الناس الأسوياء.. سلّم نفسك لي فتسيطر على كل شيء. السيطرة؛ هل تفهم هذه الكلمة، السيطرة.. السيطرة على نفسك، على كل البشر، على كل أنواع المعرفة، على كل شيء محسوس أو غير محسوس.. إذا كنت تريد الجلوس في مكان القلب من المجتمع مثل فص الخاتم، وإذا كنت تريد التألق والبريق، فسلّم لي نفسك!

الشاعر: أنا لا أعرف في إطار الموجودات اليومية امتلاكا أكبر من الحرمان. وكلما زادت قدرتي على تملكها، عمق حرماني. وكلما عمق حرماني، أجد لا شيء، وكل شيء. كل شيء يعني الله.. وفي إطار هذا تكون أنت. ويجب أن تنتهي أنت لأصل أنا إلى هدفي. كلما زاد اقترابك من النفاد عدت للتزايد. لذا يجب أن ألجأ إلى وضع العراقيل أمامك بعد أن تكون قد وصلت إلى أضعف حال، وأن أعرّض صدري لنيرانك بعد أن تتيبس من شدة الجفاف! بعد هذا بخطوة واحدة يكون الخلاص.. وبعد خطوة من هذا اللاسقوط واللااحتراق يعني الثبات والنجاة. أعرف هذا ولكن لا أستطيع أن أخطو هذه الخطوة. ما الذي يعوقني لكي أخطوها؟

انظر، يجب أن أقول لك ماذا يحدث؛ إنني أعيش داخل برميل بارود! كل ذرّة في أمعاء روحي مثارة. يعلم الله مدى الألم الذي عانيته. ومن أجله. فأنا لا أريد كل الأشياء التي وعدتني بها رغم احتياجي إليها أكثر من أي إنسان آخر، ومن أي وقت آخر. لكن لا أريد؛ لا أريد شيئا قط. أنا راض بما سأصير إليه من عدم تام، أن أكون نصف وجود. قراري الكامل هو تحمّلي للعذاب؛ مهما كان هذا العذاب! وإني لفي انتظاره، وسأنتظر اللحظة التي سيمد فيها يده إليّ.

ذو الوشاح الأسود: أيها الشاعر المسكين، إني سأبعدك عنه! فقد وجدته صعبا جدا، قاسيا جدا، لكنه بارع جدا. إن عقلك لا بد أن ينفجر مثلما تنفجر قشرة تمرة الكستناء على النار. لا بد أن ينفجر مهما كانت قوة إدراكه، فليت عقلك قد انفجر؛ أو ليتني فجّرته لك.. لولا أنك كنت أسرعت بوضعه في إطار من نظام يذكّر بالبناء الفنّي في شطر بيت في قصيدة شعر.. يا أبله القوافي! إنك غير مستطيع الآن مهما أوتيت من قوة، أن تقتلع من عقلك، ذلك الكذب الذي اختلقته لك ودسسته عليك، ومع ذلك فانظر كيف أني سأباعد بينك وبينه!

الشاعر: إنك إبليس! من هو ذلك الذي ستباعد بينه وبيني؟ من هو، هيّا.. أفصح لي عن اسمه!

ذو الوشاح الأسود: انتظر! سأطفئ الشمعة ثم أحدّثك.

(نفخة قوية - ظلام دامس)

صوت الشاعر: يا إلهي! اللهم احفظني!

صوت ذي الوشاح الأسود: هيا اصرخ. اصرخ! إن الجدران لجاهزة لرجع صوتك.. لكن لا تندهش!

(صوت الكرسي وقد سقط على الأرض، يبدو كالصوت المكتوم. صوت الكتب وهي تسقط على الأرض محدثة ضجيجا)

صوت ذي الوشاح الأسود: أيها الشاعر المسكين، إن الكبريت في جيبك! فلا تتعب نفسك بحثا عنه! إني ذاهب، طابت ليلتك. وداعا وتذكرني!

(ضوء الكبريت حاد - الظلام وقد تبدد - امرأة فوق السرير - لحظة صمت)

الشاعر: من أنت؟ كيف ومتى جئت هنا فوق سريري؟

المرأة: تعال، تعال إليّ!

الشاعر: أهو الذي أرسلك أم..؟

المرأة: وماذا يهمك من هذا؟ انظر إليّ، لا يلفني سوى هذه الغلالة السوداء. ألا تخترق عيناك غلالتي هذه؟ **(لحظة سكون)** هيا أيها الشاب الساذج، اقترب! لا تقف أمامي هكذا وأنت تلهث! انظر إلى يديّ، كيف تراهما؟.. هل رأيت طوال عمرك يدين كهاتين اليدين؟

الشاعر: **(كالمجنون)** إنهما يداه!!

المرأة: يدا الخيال الذي يأتي لمواساتك كل ليلة.. تمعن في جسدي!.. هأنذا قد لصقت غلالتي بكل تفاصيلي.. ألست أنا هي؟ هي، هي، الأنثى، خميرة الأنوثة.. هل ترى الانتظام الرائع الذي يمتد من صدري إلى أسفل مباشرة، ركبتي، ساقي، رسغي، قدمي؟.. هل وجدت تناغما في هذا الخط في أي امرأة في الدنيا؟.. هأنذا قد أحضرت لك تجسيد ذاك الخيال. تعال، إنني أسمح لك أن تمسك يدي!

الشاعر: ستدفعني إلى الجنون دفعا بكذبة هائلة، ارجع إلى شكلك الحقيقي أيها الشيطان اللعين!..

المرأة: ما هذا الذي تقوله أيها الشاب الأحمق؟.. ألم أقل لك: تعال إلى جانبي وأمسك يدي؟.. ففي نفس اللحظة التي تمسك فيها بيدي، سيمتزج سر التلامس بدمك كأنه سم لذيذ.. ستشعر بتحلل اللون الأزرق الشديد الزرقة، والبنفسجي الخالص، والأسود الحالك. في دمك القاني! ألن تأتي، إنك لمراهق؛ أرى أنني أعجبتك كثيرا.. أعجبتك لدرجة أنك لم تستطع التحرك من مكانك. إن قلبك يخفق بسرعة، حتى إنني أسمع خفقانه في جسدي مثل حشرجة ديك مذبوح. رعشات القشعريرة تسري في مؤخرة عنقك نحو خصرك. وا أسفا عليك، أيها المراهق الساذج. يالك من مخلوق رقيق!..

الشاعر: اغربي عن فراشي، ارتدي ملابسك، استري نفسك، اذهبي!

المرأة: لا تخف مني!.. قلت لك: إنني المرأة التي تحلم بها.. المرأة التي لم يدرك عقلها أي شيء سوى سحر الأنوثة.. المرأة ناقصة العقل.. المرأة التي تفوقت على الدهاء بسذاجتها المفرطة.. أتعرف كيف تجد القطط الأعشاب المداوية لها في الحقول عندما تؤلمها رأسها، إني أجد الشيء الذي تحتاج إليه أعصابك المريضة، بنفس هذه الكيفية.

الشاعر: يا إلهي! المرأة التي بحثت عنها، تصف لي نفسها بكلماتي!

المرأة: إنني أصف لك نفسي، بلغتي أنا، يعني أن العمل الذي تقوم به أنت دائما، أحاكيه أنا لمرة واحدة فقط.. وإلا فما حاجتي لوصف نفسي؟.. هأنذا، تفضل. (**تتثنى وتتلوى في الفراش بشكل مثير ومدهش.. لحظة صمت**) عيناك مصباحان احترقا، وأصبحا رمادا تحت تأثير سريان تيار كهربائي يفوق تحملهما،.. انظر إلي، انظر بآخر بصيص نور في عينيك!.. هذه هي حساسية الإنسان؛ يدرك بعينيه المغمضتين الثاقبتين ما إذا كان ورق السيجارة التي بين أصبعيه، ورقة واحدة أم اثنتين.. لو كان في عينيك مقياس يعجز العلم والحساب عن الوصول إليه، فاعمل على أن تقيس أبعادي.

الشاعر: إني أختنق!..

المرأة: أتختنق؟! أتشعر بما أفرغته على مركز الاضطراب المفرط الحساسية الذي

في عقلك مثل نقطة من الرصاص المذاب. إنك تكمل حقيقتي الكبرى في مركز الاضطراب، هذا المركز الشديد الحساسية الذي في عقلك. وهناك، يتحد كل شيء فيّ، شعري هذا الذي يشبه الدخان، عيناي الطحلبيتان، شفتاي الممتلئتان الحمراوان، وساقاي المتناغمتان تناغما يفوق أخلد الأغنيات، أنا، أنا..

الشاعر: استمري، أيتها الدنيئة المتعالمة!.. استمري في قبحك!..

المرأة: (**قهقهة**) أنت ذلك الساذج الذي من السهل أن يصل به خداع الكلمات إلى حالة التنكر لفنه!.. لقد قلت كل هذا عن عمد وقصد؛ لكي أظهر لك إفلاس الكلمات.. ولم أكن قبيحة لأنني أنا تلك المرأة التي لا يمكن أن تكون قبيحة!.. وأنت دليلي على هذا.. يا لخداع الكلمات، إن هذه هي مسألة سحر!.. السحر، يلمع في السكون والظلام، ها.. تعال!..

الشاعر: لن آتي!

المرأة: بل ستأتي، إنك قادم، تعال!.. (**لحظة سكون**) أمسك هذه الشمعة بيدك!.. (**لحظة سكون**) إنك آت، ها أنت ذا أكثر رجال الدنيا سذاجة!.. ألست رجلا مكتمل الرجولة!.. تقدم! خطوة أخرى! خطوة أخرى!.. (**لحظة سكون**) ارفع تلك الشمعة إلى أعلى؛ لينتشر الضوء على جسدي.. أسرع.. لا تسمح لجسدي بإثارة مزيد من الظلال!.. قف، وسأقول لك شيئا! لماذا تسمرت تماما هكذا في مكانك!.. أجب: هل تستطيع بأطراف أصابعك ونار شفتيك أن تراني في الظلمة الدامسة، نورا ساطعا؟

الشاعر: نعم.

المرأة: إذا كان الأمر كذلك، فلتطفئ الشمعة!

الشاعر: أخاف أن أفقدك؟ سآتي إليك، هكذا..

المرأة: قف! إذا كنت لا تريد أن أتحوّل في لحظة إلى دخان وأطير، فلتقف لمدة ثانية واحدة! نعم بالضبط هكذا.. والآن أجب: ما رأيك إن صارت كل الكائنات وكل ما تملك في جانب، وأنا في الجانب الآخر؟..

الشاعر: لا أعرف، لا أستطيع أن أتكلم! دعيني آتي إليك!

المرأة: إذا تقدمت خطوة أخرى، فسوف أنسلّ وأهرب منك كالحلم عندما ينتهي!

الشاعر: أيتها الساحرة، قولي، مُري! هل آت؟ هل أهرب؟ هل أقف؟ هل أجري؟ قولي شيئا!

المرأة: لا تأت، لا تهرب، لا تقف، ولا تجر؛ فقط أجب عن هذا السؤال: الدنيا أم أنا؟..

الشاعر: لا أفهم هذا؛ إنني أدرك وكفى. هذا كل ما في الأمر!..

المرأة: أطفئ الشمعة، أطفئها بسرعة!..

(إطفاء الشمعة - ظلام - صوت خطوات - أنّات الفراش - صفير - صوت الأنفاس).

صوت الشاعر: أين أنت؟ لا أستطيع أن أراك، هل أشعل الشمعة؟

صوت المرأة: إياك! وإلا فقدتني إلى الأبد!

صوت الشاعر: يدي تضيع في كل موضع ألمسه. إنني سأموت!

صوت المرأة: اصبر! ستشعر بماهية اللذة التي تختلف عمّا هو مفهوم في هذه الدنيا.. ألم تُقبّل امرأة أبدا في الحلم؟ ألم تسقط في بئر التقبيل قطّ أثناء حلمك؟

صوت الشاعر: أنا على وشك الجنون؛ قولي، أين أنت؟

صوت المرأة: بإجابة واحدة..

صوت الشاعر: ما هي؟

صوت المرأة: العدم، العدم.. داخل كل شيء فراغ.. وَهْمٌ، وَهْمٌ.. عُمق السماوات، ركن الزمان، مركز الدائرة.. وَهْم وَهْم.

صوت الشاعر: وهل أنت أيضا وهم؟.. أقول لك: تعالي!..

صوت المرأة: كل شيء عداي وَهْم.. قل هذا لي!..

صوت الشاعر: كل شيء عداك وهم!..

صوت المرأة: قرّب فمك إلى شفتيّ! نعم!.. هل تشعر بشفتيّ والنار الصادرة منهما؟

صوت الشاعر: نعم أشعر!

صوت المرأة: قل، أيها الأبله، حقيقتي أنا، أم وهمه هو؟..

صوت الشاعر: وَهْمك أنت.. وهم كل شيء.. حقيقته هو.. حقيقته هو فقط..

صوت المرأة: (**قهقهة جوفاء**) إنك تعُضّ كتفي، احذر، ستطحن أسنانك!..

(قهقهة - صرير السرير الحديدي - الكبريت مشتعل - الفراش مبعثر تماما وخال تماما. في طرف الحجرة خيال أحدب - الشاعر منحن يشعل الشمعة التي على الأرض، وعندما يرفع رأسه يرى خيالا له لحية مدببة الطرف، وذقن حاد، وأنف مدبب، ورأس مدبب، وظهر محدودب، وفوقه وشاح أسود، وفي يده حقيبة سوداء).

الشاعر: أمرك يا سيادة السفير؟..

الأحدب: إني مُكلّف بعقد صفقة معك!

الشاعر: مثل ماذا يا سيدي؟

الأحدب: بصراحة تامة، وبدون مقدمات، وبدون تحايل، وبدون مزاح، مساومة صريحة.

الشاعر: وكيف؟..

الأحدب: أنت يا أكثر أهل المدينة إفلاسا، أيّ تضحية تلك التي تراها تعادل ثمن شراء المدينة كلها؟.

الشاعر: (**الشمعة في يده - يقف على قدميه - ويرتب بيده الأخرى شعره المشعث**) هيا نتحدث بصراحة أكثر!.. تقمّص الآن ما شئت من الشخصيات، وتقولب بالقالب الذي تريده، فلن تستطيع خداعي!.. فأنت هو أنت! أليس كذلك! طريد الله؟.. تظهر لي الآن في صورة يهودي أحدب!.. ماذا يعني وضعك هذا؟..

الأحدب: افترض ما شاء لك الافتراض؛ فعقلي لا يدرك الأحاديث الطوال.. الكلمة عندي أداة تنفيذ لعمل يسير.. وهي عندي ليست أداة لرسم لوحات تفتقد المعنى والمنطق

والنسبية مثلما يفعل الشعراء.. ولا جدوى من التفكير في من أكون أو ماذا أكون..؟!
فقد جئت إلى هنا لعقد صفقة صريحة معك؛ سأطلب منك شيئا وسأدفع ثمنه..
عليك فقط أن تقول لي: هل تقبل أو لا تقبل!.

الشاعر: (**يمد الشمعة التي في يده صوب وجه الأحدب**) من أين أتيت بهذه الرّقة المضحكة؟.. ألم نكن حتى هذه اللحظة نتكلم بالشكل المعتاد؟..

الأحدب: لم تَرُدّ عليّ بعد؟.. أريد شيئا وأدفع مقابله من النقود! (**يدخل يديه فجأة في جيبه، ويخرجهما وقد امتلأتا بألماس، ويمدهما أمام عينيّ الشاعر**) تفضل! ملء الكفين ألماسٌ! انظر، كم هو برّاق ولامع!.. في داخل كل واحدة منها آلاف من يراعات النار تحترق.

الشاعر: (**وعيناه على يدي الأحدب**) إنهما يداه! يدا الشيطان، ويدا المرأة! يُغيّر كل جزء فيه ولا يُغير يديه!..

الأحدب: لا تنظر إلى يديّ! إنهما مستعارتان. يداي الأصليتان مقطوعتان من المعصم.. انظر إلى الألماس،.. الألماس،!..

الشاعر: ماذا تريد مني مقابل هذا الألماس، وقد وصفتني بقولك: إنني أكبر مفلس في العالم؟

الأحدب: روحك!!!

الشاعر: لو أنني عرضت روحي للبيع في سوق الأشياء المستعملة فلن أجد من يشتريها، لن أجد من يدفع فيها نقودا تكفي احتياجات طفل غرير!

الأحدب: أما بالنسبة لي، فأنا مستعد لأن أدفع فيها نقودا يمكن أن تشتري الدنيا كلها!

الشاعر: لماذا؟

الأحدب: (**يُدخل الألماس إلى جيبه**) إنه سر المهنة! إنها مسألة لا تخصك.. أتقبل أم لا؟

الشاعر: روحي، روحي أنا، أهي قميص يجب أن أخلعه لكي أعطيه لك؟

الأحدب: إن خلعها أسهل من خلع قميصك وإعطائه لي.. إنني أريد الإيمان الذي يحتويك مثلما يحتويك هذا القميص!.. وبأي ثمن تراه.

الشاعر: وهل هناك ما يعادله؟

الأحدب: هناك بالطبع ما يعادله. إن كيلة القمح مثلا لها ثمن، وهذا الثمن المقابل هو السبب الوحيد لاستمرار هذيانك أربعا وعشرين ساعة في اليوم. وعلى هذا.. ألن يكون لهذيانك هذا ثمن، يعني: مقابل؟.. المال هو المقياس الحقيقي والوحيد للإنسان في الدنيا. إنه المقياس الذي يعتمده الناس، ويرونه، ويسمعونه، ويشمونه، ويتذوقونه، ويحسونه. نعم، فمهما كانت قيمة ما تنطق به روحك، وما تحس به، فإنها تتركز في المال، وهو المقاس الرائع الذي يضع كل شيء من هذا في موضعه، بل وهو الذي يجسد المقياس الذي ما بعده مقياس..

الشاعر: (**الشمعة في يده - يزيح بيده الأخرى إلى الوراء شعره المشعّث على الجانبين**) عليك اللعنة! يا إبليس..

الأحدب: (**وهو يلتوي التواءة ثعبانية**) توقف، يجب أن أخاطبك بلغتك الحمقاء! المال: النقود، ولكنها ليست أوراقك النقدية تلك التي تعرفها والتي أكل عليها الدهر وشرب. وليست أيضا قطع المعدن ذات البريق الوهّاج وهج الشمس ولها استدارة القمر.. فكل هذا لواحق لها.. لكنه المال.. النقود، إنها فوق كل هذا، فيها علاقة خافية ومجردة. وهي مقياس وحيد.. إنها ذلك الوجود المطلق الذي بحثت عنه عبثا!..

الشاعر: فليلعنك الله!

الأحدب: ومن هو ذاك أيضا؟ أنا لا أعرفه! لنرجع نحن إلى مسألة النقود! تلك القطعة الورقية التي اختلط عليها توقيع الوزير، وقبلة المتملق، ووحل حفّار القبور، ومساحيق وجه البغيّ، ومكواة الصرّاف، والتواء الجاسوس، ونَفَس مقيم الصلاة، وعرق الأجير، ورمز الأمة، ولوث المتسوّل، ودم الشهيد، وبصاق السكّير، وخدش ظفر القاتل، وصمغ حاجب المحكمة، وتلك النقود عليك أن تترجم للمستبد سطوته، وللثائر وسيلته، وللأب رحمته، وللطفل طاعته، وللحاكم مهابته، وللكاذب شهادته، وللفدائي تضحيته، وللمرابي نفوره، وللعالم حكمته، وللمريض علّته، وللرئيس هيبته، وللتعيس انطواءه.

فصداقة الصديق، وخيانة الخائن، وجنة الزاهد، وذلة المحتاج، وقوة الجيش، وشهوة الشيخ الفاني، وطلاقة لسان نائب البرلمان، ووصية الميت، وأمانة الوطن، وسفالة الكلام، وكفارة الذنب، وحقيقة الدنيا،.. إنها النقود التي تحتوي كل هذا.. ها هي ذي النقود التي تملأ فراغ كل بناء مادي ومعنوي، كل بناء، وهي الجنيّ الذي يتصاعد كالدخان من كل منفذ، هي الجنيّ الكبير..

الشاعر: أأنت؟ أأنت رجل الأعمال الصريح؟

الأحدب: يكفي الآن، يكفي هذا القدر من المعاناة! انظر، كيف أن كل مكوناتك المادية والمعنوية تتبدد أمام حقيقة المال، مثل الفقاعة؟ كفى، إنه نهم خبز الوهم الذي ملأت به بطنك الخاوية مع الأسف! والأكثر من هذا، ما حدث هذا الصباح، ذلك الأحمق الذي طلبت منه أن يُقرضك عشر ليرات، بعد أن ظل يعاني من سماع خطبك الحماسية عن ثورة المجتمع والفن، ألم يضربك بالخنجر الذي في ابتسامته؟ وقبل أربعة أيام جعلك مديرك في الإدارة الخاصة، ذو الوجه العبوس، تنتظره بضع ساعات أمام درابزين السلم الحديدي في الممر، وأنت ترجوه لكي يعيرك انتباهه للحظة. ترى بماذا سيصدر أمر سيادة الوزير الذي التفت إليك بعينيه. وأشار إلى يدك التي ترجوه، وهو غير مطمئن لأن تمتد يدك بالأذى وهي تتحسسه مع كل كلمة رجاء؟. فوظيفة المدرس صاحب المثل العليا راتبها ثلاثمئة وخمسون ليرة في الشهر، تلك الوظيفة التي طلبتها من هذا الذي فهم أن الوزارة جعلت لمن تركوا الفقر والزهد، فلو أنك وجدت وظيفة جامع قمامة براتب ثلاثمئة وخمس وخمسين ليرة في الشهر، وكنت أنت الذي تتصدق، هل كنت تلح في الرجاء هكذا؟

الشاعر: (وهو يكاد يبكي) كفاك كفرا!

الأحدب: الأصل أنه يكفيك ما تقترفه أنت بنفسك من كفر! دع حياة الساعات الأربع والعشرين لكبار السن المساكين، لقد كنت ضحية وهم غد لن يشرق أبدا فيما وراء الزمن، ألست أنت – في كل مرة – تقع أسير الحقيقة المؤلمة تلك، في الشمس وإشراقها كل صباح؟ ألم تألف تبديد رأس المال الذي لا ينفد، وأن ترمي في كل مرة

بملاليم الرحمة والاستهزاء التي تمتلكها في قبضتك، ترمي بها إلى الأوحال، كما لو كانت القيامة ستقوم في اليوم التالي، بينما أنت متعلق بشفق يوم لن يأتي؟ كيف ستنزع أيها الفاني، تلك الحلقة التي علقها في رقبتك بعلمهم البائس أولئك الذين يعرفون أنه لن يأتي صباح في المستقبل اللامتناهي. وأن الشمس ستشرق بعد يوم فحسب؟.. توقف، وتعال، فقد أحضرت إليك القيمة التي لن تبلغها الأعداد المتنامية، المشهد الذي لن تستطيع آفاق العقل المتوالية أن تبلغه، والحقيقة التي لن تستطيع الكتب المدرسية المكدّسة أن تكملها (**يضع يديه في جيبه ثم يخرجهما وقد امتلأتا بالألماس ويمدهما إليه**) خذ، رأس المال الذي لا ينفد، خذ!

الشاعر: (**وقد رفع الشمعدان إلى أعلى**) القيمة التي لن تستطيع الأعداد المتنامية بلوغها، والمشهد الذي لن تستطيع الآفاق العقلية المتوالية بلوغه، والحقيقة التي لن تستطيع الكتب المكدسة أن تكملها، هي اللّه، أقول: اللّه!!

الأحدب: (**يتراجع فجأة خطوة إلى الخلف**) طفل، إنك طفل، الطفل الذي يداعب ظله!.. حسبك أن تعطيني ذلك الذي نطقت باسمه، وذلك الإيمان الذي يملأ هذا الصندوق الممتلئ كذبا، وخذ في مقابله هذا الألماس كله!

الشاعر: (**وهو يضرب الشمعدان الذي في يده بصورة الأحدب**) خذ!! (**تطير الشمعة في الهواء بسرعة هائلة - ظلام دامس - الألماس يقع متدفقا على الأرض**).

صوت الشاعر: أيها الشيطان، ابتعد عني!.. إنك ترفع حصارا حول كل نقطة في ضعفي الذي عصرته!

صوت الشيطان: (**قهقهة**) ساذج!

صوت الشاعر: (**من خلال نشيجه**) إنني معلّق به، لن تنزعني منه!.. تعرف بأي مقابل وجدته! لقد حلّ الإيمان به روحي بعد أن جرّعني آلاما تفوق الموت والجنون. إن جهدك يضيع هباء، فلا المرأة، ولا المال والجاه، ولا إكسير الحياة يمكن أن تخبرني عن مكان واحد خارج سلطانه؟

صوت الشيطان: (**قهقهة**) متعصب!

صوت الشاعر: سجّان اللعنات. تعال لنرى، إن كان الأمر كذلك أم لا؟! اعرض عليّ طلبك مرة أخرى، وحينئذ سيكون من الواجب عليّ تجميد رأسك بالملح.

صوت الشيطان: إذا كان الأمر كذلك، فلتشعل الشمعة إذن أيها الجسور الغاضب. اشعلها ولتر، وانظر من سيكون لك الشرف بمقابلته!.

صوت الشاعر: أليس في استطاعتك أن تظهر في الظلام؟

صوت مبحوح: أليس في استطاعتك أن ترى في الظلام!.. قف، على الأقل يجب أن أشعل الشمعة..

(وقع أقدام. ضوضاء الأشياء.. صوت صندوق الكبريت المفتوح. ضوء. هيكل عظمي على رأسه تاج، وملفوف جيدا بمعطف أبيض. الهيكل العظمي يشعل الشمعدان)

الشاعر: إنهم يلعبون نفس اللعبة في نفس الفرق المسرحية البدائية.

الهيكل العظمي: مع فارق واحد، هو أن القبر في ديكوراتهم محكم الرسم للدرجة التي لا يسمح فيها بوجود صورة ذبابة.

الشاعر: وأنت.. ماذا كنت؟

الهيكل العظمي: **(بابتسامة سخرية مخيفة)** تشهد عظامي المبتسمة على أن اسمي هو: الوهم واليقين!.. لكن بمجرد أن أنزع معطفي بسرعة من على رأسي، أتحول إلى شيء مختلف تماما!

الشاعر: وما هو ذلك الشيء؟

الهيكل العظمي: إنه السلطة والجاه.

الشاعر: تفضل. إنني أنصت إلى خطبتك العصماء!

الهيكل العظمي: لقد عملت لك فيما مضى ثلاث لعبات. وأثناء لعبك بإحداها حملت كل كتبك وألقيت بها في النار، ثم أخرجتها من المدفأة بيديك المحترقتين.. أتتذكر هذا؟

الشاعر: نعم!

الهيكل العظمي: وكانت تلك لعبة اللغة!

الشاعر: ثم؟

الهيكل العظمي: ثم سلمت إليك اللعبة الثانية. وعندما دفعت لولب هذه اللعبة، جريت إلى النافذة بعينك التي اندفع لولبها ومددت يدك، وقمت لتطفئ مصباح منزل الصياد الذي يقطن في الشاطئ المقابل!

الشاعر: صحيح؟

الهيكل العظمي: وكانت هذه لعبة المكان!

الشاعر: وبعد.. ماذا بعد؟

الهيكل العظمي: ثم في النهاية أعطيتك أبرع الألعاب فنّا. هذه اللعبة التي عضّت أصابعك تلك العضة التي ظننت معها، أنه ليس من سبيل آخر في طريق الخلود سوى إطلاق الصرخة التي ترتفع كل لحظة إلى مالا نهاية.

الشاعر: يا إلهي! يا إلهي!

الهيكل العظمي: إنها لعبة الزمان.

الشاعر: (**وقد مدّ يديه في اتجاه الهيكل العظمي**) الشيطان، الشيطان!! اضغط عليّ كما تشاء من باب ضعف البشر الطبيعي!.. اضغط كما تشاء، لكن ارحمني في جانبي هذا!.. أيها الشيطان: إنني أرجوك ألا تلمس جانبي هذا.. إني أرى يديك!.. إنك تملك أدقّ يد في الدنيا رغم أصابعك العظمية! ألم ترَ قط أيدي الجنون؟.. إن الكلمات تعجز عن وصف دقتها. لقد حلّت هذه الأيدي ألياف مخّي واحدا واحدا، وفكّتها ثم ألصقتها واحدا واحدا بعد أن بصقتُ عليها من دمي.. يداك!! حذار!! لا تجعلها تلمس هذه النقطة فيّ!.. مُرْني بما تشاء، إلا هذا العذاب.

الهيكل العظمي: (**وهو يبحث بالشمعة التي في يده، عن التعبيرات التي في وجه الشاعر**) ماذا رأيت وأنت تلعب بلعبة اللغة؟.. مهما كان في الدنيا من كلمات، فكلها معدودة، ونسبها كلها تخضع للمقاييس.. هذا السر الذي اجتهدت لحلّه بحماقة في إحدى

كتاباتك، ألم يتضح لك من هذيان أفظع المجانين، وصولا إلى أعقد النظريات العلمية، أن خروج الكلمات عن كل تركيبات اللغة، المعروفة مسبقا، والموجودة من قبل، والمحدودة، مسألة غير ممكنة؟!..

ألم تدرك بعد وأنت مشدوه أن كل شيء بدءا من هذيان راع قبل الآن بعشرة آلاف سنة، وصولا إلى طريقة التفكير المطروحة على الورق لأي مهندس بعد ذلك بعشرة آلاف سنة، أنها كلها تقع داخل هذه الدائرة؟.. هذه الدائرة المسحورة؟.. هذه الحقيقة التي غرستها في حفرة دماغك مثل بلية مسمومة. هذه الحقيقة فقط هي الجدار الذي يحيط بك ولا يمكن تخطيه. الحدود التي يستحيل اختراقها، وأنت مكتف بإثبات العدم الذي وراءها. هب أنك وجدت الطريق إلى أفق مفتوح باطراد إلى خلود سقط حجابه.. إلى بلاد الحقيقة المطلقة التي وراءه.. ترى كيف تكون، كيف؟.. كيف تنقلب المئذنة فجأة إلى النقيض لتصبح بئرا؟

الشاعر: إنني أعرفه واحداً أحداً، إلهي واحد.

الهيكل العظمي: لقنتك بعد ذلك وهم المكان. لماذا يصبح الرجل الذي يتقدم مسافة عشرة أمتار، صغيرا بحجم إبهامك؟ هل المسافة هي التي جعلته صغيرا، أم مرض النسبة الذي في دماغك العنكبوتي؟ مع أنه إذا اتبعنا مقياس حقيقة لا تعرف أصل الأشخاص، نجد أنفسنا أمام سؤال؛ ترى هل يكون كل شخص وكل شيء تبعا لذاته، أم تبعا لموقع كل واحد من الآخر؟.. أيّ من هذين المقياسين هو الصحيح؟.. الصحيح أن الخوف الذي أوجد وهم المكان والمسافة، يكون عادة أكثر رهبة من سُمّ العقرب المرعب.. مدّ يدك.. مدّها. انبش بأظافرك في رماد مجمرة السماوات قبيل الصباح، وابحث عن شرارة نجم لتشعل سيجارتك!.. وأديت الأمر بحذر، وقفزت من هذا الهزال إلى جسم نادر.. قويّ.. كامل.

الشاعر: ماذا تريد أن تنزل بي بعد الألم والسحر والموت والجنون؟ اخرس ولا تقل. إنك يجب أن تقول كلمة أخرى.

الهيكل العظمي: ها هي تلك الكلمة! لقد طرقت رأسك بمطرقة الزمان. رأسك الذي عبر إلى ما وراء الموت والجنون.. طرقتها. ماذا كانت آخر كلمة قلتها؟.. طرقتها، أليس

كذلك؟.. أين الزمن الذي احتوانا أثناء نطق هذه الكلمة؟.. لقد طار ومضى، وسقط.. أليس كذلك؟!

الشاعر: (**يستدير كالصاعقة، ويمسك الكرسي الموجود في أحد الأركان ويرفعه إلى أعلى بكلتا يديه**) اسكت إذا كنت لا تريد أن أسحق عظامك.. اخرس!

الهيكل العظمي: (**في أعمق سكون وحزن**) ها هو ذا الزمان الذي رفعت فيه هذا الكرسي وقلت فيه: اخرس، لقد طار هو الآخر، مضى، انتهى، سقط. أيها الشاعر، دعك من نباح الكلاب هذا، وتعال بجانبي!.. اسند رأسك الذي أحرقه النار، على دماغي البارد كالثلج، ولنفكر معا ونتشاور في أمر الزمن!.. إنه بئر البستان الذي لا قرار له، والذي غمست فيه أقداحك الفارغة حتى وصلت إلى قراره، ثم سحبت أقداحك من قراره، فإذا هي فارغة!.. لنفكر في أمر الزمن، الزمن!..

الشاعر: (**ينزل الكرسي إلى الأرض ببطء، بينما الدموع تنهمر من عينيه**) ارحمني. أو اربط عيني بمنديل الموت. أو غطني بلحاف الجنون! لكن لا تلق بي في هذا الجب!

الهيكل العظمي: فكّر.. الزمن الذي عجز عن أن يعلق بضربة حربة واحدة لا حدود لسرعتها، فيما بين طرف له ببِرْجُل غير متناه في دقته وحدّته بصورة لا يمكن أن ينتجها أي خيال، وبين المائدة.. هذا الزمن سرعان ما أطاح بالبرُجُلِ على الأرض. وطار الزمن، ومضى وسقط. كلا، كلا، كلا، إنه ليس ضمن أي مقياس من مقاييس القرن، والشهر، والأسبوع، واليوم، والساعة، والدقيقة، والثانية،.. والثالثة.. يمكن أن يكون هناك هواء مكعب ومتجمد داخل ناقوس زجاجي.. يمكن أن يكون هناك شعر الميت فوق رأس مومياء مُحنّطة قبل ثلاثة آلاف سنة؛ لكن لا يمكن أن يكون هناك ذلك الزمن الذي كان قبل ثانية واحدة.. خطا مرسوما بنقاطِ وَهْمِ العدم فقط. فوق هذا الخط، الإنسان، والمجتمع، والحرب، والمبدأ، والفكر، والإيمان، وتحته أكثر ازدحاما من فوقه، وفوقه تراب أكثر حركة مما تحته.

(**لحظة سكون. الشاعر وقد أحنى رأسه إلى الأمام، يهتز وهو يبكي بنشيج**)

الهيكل العظمي: انفجرت عيناك وسقط أحد إنساني عينيك فوق ورق النشاف، وانتشر

مثل نقطة الحبر. وبحثت عن مكان في الدنيا يشبه الشرفة لتلقي بنفسك إلى الفراغ، وتنهار الذروة والسفح بسرعة الضوء.. ووقفت. حَسَنٌ، حسنٌ. هل أخرجتك «من، وماذا، وكيف؟» من هذا العدم، ومن الشتات، إلى الوجود الكامل، واليقين، والوحدانية؟

الشاعر: الله!! كل شيء على هذا النسق أصبح عدما، وبقي هو وحده!

الهيكل العظمي: (**يمد كلتا يديه بأصابعهما المتفرقة، ناحية الشاعر**) لا، لا، لا أريد هذه الكلمة!.. لقد جئت لك الآن بأفظع أفكار الوهم واليقين. في جيب هذا المعطف، داخل زجاجة.. إذا لم ترغب في أن أفتح غطاء هذه الزجاجة، فلا تستخدم هذه الكلمة مرة أخرى، لا تستخدمها مرة أخرى!.. عندئذ أتفاوض معك على مائدة الصلح الفخمة.. تأخذ الزجاجة الثانية التي في جيب معطفي!.. إنها إكسير السلطة والجاه.

الشاعر: أيُنتظر الخلاص من يدك أنت؟! ها هو ذا الزمن الطائر، الماضي، الساقط، إنه هو.

الهيكل العظمي: تخيّل رجلا له قلب وعقل أشد صلابة وأكثر بريقا من الألماس. تخيّل الزمان والمكان وكل شيء مربوط بحلقة في رقبته، ومربوط بوتد واحد! تخيل تأسيس سطوتك وذاتك، والوصول إلى درجة تسلية خالدة.. وعند الموت، تخيّل الوصول إلى عدم، لم يسبق مناقشة العدم فيه. إلى تلك الراحة الكبرى. عدم الخوف من الموت أبدا، يعني عدم الموت أبدا.. لكن تأسيس الجاه والسلطة وأنت على قيد الحياة. وتصور إعطاء نغمة شعر إلى ملايين البشر، والتفرج على أحجار القرميد من خلال عيون برونزية لتمثال في أكبر ميادين المدينة، في منتصف الليل بينما المدينة نائمة..

الشاعر: لا، لا!

الهيكل العظمي: (**وهو يمد الشمعدان الذي في يده**) خذ تلك الشمعة.

الشاعر: (**متوجسا وخائفا**) ماذا يحدث إذا أخذتها؟

الهيكل العظمي: لا شيء!.. سأريك شيئا!

(يأخذ الشاعر الشمعدان بطريقة خائفة - يخرج الهيكل العظمي من جيب معطفه زجاجتين صغيرتين).

الهيكل العظمي: **(وهو يشير إلى إحدى الزجاجتين)** انظر، ها هو ذا إكسير السلطة والجاه. تذوقه مرة واحدة، تذوقه وامتلك الدنيا! لم يبق في الدنيا عظيم عجزت عن أن أذيقه من هذا الإكسير على طول الخيط المفكوك من بكرة الزمان، أعني: الرجال الذين يصبحون عظماء بعد ذلك.

الشاعر: لا أريد.

الهيكل العظمي: ألا تريد؟!.. هل أنت غريب عن الانفعال بروعة النظام الذي يحسه كل الناس بما فيهم أطفال الحي الصغار أثناء مرور المجموعات العسكرية في الشارع، وقد تقدمها عازفو البوق والطبل، يعزفون أنغاما موسيقية مستوحاة من البرق، في نظام رتيب!.. ألا تريد أن يصبح هذا النظام منثورا تحت أقدام أنانيتك الهائلة، على امتداد وطن بأكمله، مثل بساط من الحرير؟.. سأجعل هذا المجتمع الضخم، كتلة من الخشب، وسألقي بها بين ذراعيك، وستنحتها كيفما تشاء؛ ستنحتها وتتحول إلى نشارة أخشاب بالاكتشافات المستمرة التي يقوم بها عقلك المتجلط. عقلك هذا مجرّة الجنون والطمع. وتثير ضحك المضطربين المتسكعين في الحانات؛ ألا تريد هذا؟.. أجب..

ألا تريد أن تتحول جثة المجتمع العارية تماما، والتي سأودعها ورشة تجديد الإرادة وتخرج منها عذراء مخدرة بالأفيون؟.. ألا تريد فتح جمجمتها مثل طبيب مجنون لكنه منقذ،.. عصر مخها مثل الخميرة بيد من حرير. فك أعصابها من المواضع التي تريدها، ثم ربطها من المواضع التي تريدها، وتستبدل أنت بأعضائها معادن جديدة تماما، وبأوتارها عصبا جديدا تماما، وبنسيجها نسيجا جديدا تماما. وتقطير أصل الشمس اللامعة وعلى طرف قلم متناه في دقته كالشعرة، زيت الحياة، على دقات الساعة التي في قلبها الذهبي.. و.. والقول لها.. «هيا، انهضي!»، «انهضي واستوي، تمطي، افركي عينيك، تنفسي، دوسي بقدميك الأرض المستوية استواء

خصلات شعرك، وكوني عاشقة لي! «ألا تريد هذا؟..» كوني عاشقة لي وافردي شعرك الذهبي في طريقي مثل البساط لأمشي فوقه.. أما زلت لا تريد؟!

الشاعر: يا مهرّج.. يا بهلوان لعبة الفناء.. يا ساحر العدم.. لا أريد.. لا أريد، أستعيذ بالله منك، أستعيذ بالله.. الله.. الله.

الهيكل العظمي: نفس الكلمة مرة أخرى؟!!.. (**يدخل إلى جيبه إحدى الزجاجتين اللتين في يديه، ويمد يده بالأخرى**) إذا كان الأمر كذلك، فخذ الزجاجة الثانية!.. (**يضع يده على غطاء الزجاجة**) في نفس اللحظة التي أرفع فيها هذا الغطاء، فإن ما بداخل الزجاجة سيهاجم العثة التي في عقلك، وكل وهم الدنيا، عثة اليقين والشك، وسوف تحترق أنت وتنتهي، وتنهدم ذرّة تلو ذرّة، وستبقى منك فقط ذرتك الوحيدة. وعندما يتجمع ضوء العدسات المكبرة، ويتركز في نقطة واحدة، فإن هذه الذرة ستختص بالصراخ والعواء والإحساس بالألم (**وبحركة تقرّبه من الشاعر أكثر، ممسكا بالزجاجة من أسفل بإحدى يديه، وبغطائها باليد الأخرى**) أفصح بسرعة، سأعدّ: واحدا، اثنين، ثلاثة، واحد: نعم أم لا؟

الشاعر: (**وهو خائف**) على أي شيء أقول: نعم أم لا؟

الهيكل العظمي: على تسليم روحك لي.. اثنان: نعم أم لا؟..

الشاعر: لحظة.. هل تمسك الشمعدان للحظة؟

الهيكل العظمي: هاته!

(يمد الشاعر الشمعدان الذي في يده إلى الهيكل العظمي، يتناوله الهيكل العظمي بيده اليسرى بينما الزجاجة في يده اليمنى. يجري الشاعر في قفزة واحدة إلى جوار الدولاب الصغير. يفتح الدرج بسرعة خاطفة. وبداخل الدرج يلف شيئا مخبأ ويغطيه).

الهيكل العظمي: (**اتسعت حفرتا عينيه أكثر من ذي قبل، وبصيحة مخيفة يطلقها على الشاعر**) مجنون!! دعك من هذا أو اتركه جانبا. (**يلف الشاعر الشيء المخبأ الذي أخرجه من الدرج لفة أخرى، وبينما يهم بالتحرك كما لو كان**

يريد العودة إلى الهيكل العظمي، ومعه ذلك الشيء، إذ بالهيكل العظمي قد نفخ الشمعة نفخة حادة، وأطفأها).

صوت الشاعر: (منطلقا من قلب الظلام) أيها الشيطان، خذ! يا إلهي، ماذا يحدث لي؟ (**لحظة سكون**).

صوت الشاعر: يا إلهي. إني محتاج إليك. لا تتركني!

صوت الشيطان: (**من بعيد وبنبرة وقورة**) أنت محتاج إليه.. ها!!

صوت الشاعر: هو فقط حاجتي.. إنه موجود في أفق ومنتهى وغاية وقلب مخاوفي، وأطماعي، وقلقي، وشكوكي.. (**لحظة سكون. صوت وقع أقدام ثقيلة**)

صوت الشيطان: (**أكثر قربا من ذي قبل**) هو، دائما هو.. كفَّ صوتك.

صوت الشاعر: مجتمعي هو هندسة الدوائر المرسومة في كل نقطة حول مركزه،.. نظامي هو مقياس كيفيته التي لا تعد ولا ترى بالعين.

صوت الشيطان: (**وقد أصبح قريبا منه تماما**) لقد كُسرت يداي، وكانتا ستقدمان لك كل ما تريد.

صوت الشاعر: إنك لا تستطيع أن تعطيني شيئا أبدا!.. لقد وجدت (رحمة) الله من شدة جوعي وليس من شبعي تحت كل إناء زينته لي، يوجد العدم، الكم، الزبد، العدد، البريق، الحدود.. وأنا أريد غير المحدود!.. إنني لا أشبع.. إنني جائع.. محروم من أجله.. ولأنني محروم، فإنني أملك كل شيء.. أريد الخلود!.. سعادتي في الأنشودة الواحدة، في النغمة الفريدة، في المصراع الفريد، وأنت لا تستطيع أن تقدم لي ما أريد. أنت سلطان عجزك؛ عجزك الذي أعطاك كل عزاء السلطة والجاه، وليس قوتك.. أنت لعبة.. وأنا أحتاج المحرك الذي يفرز شريط الزمن، وليست اللعبة هي ما أحتاج.

صوت الشيطان: (**بمنتهى الوقار، وبنبرة تتباعد باستمرار**) بشرط أن تترك هذا الذي في يدك، وانظر ماذا سأقول.

صوت الشاعر: لن أتركه.

صوت الشيطان: (**من بعد متناه، وهو يتلاشى**) لقد كُسرت يداي به!.. إنه ميراث الثروة المفلسة التي اختزنتها جدتك الميتة ووضعتها تحت وسادتها!.. ألا تشعر بالخجل وأنت تؤمن بهذه الأوراق.

(لحظة سكون. عود الثقاب الذي أشعله الشاعر. ومضة بريق ضوء للحظة.. يبدو ذو الوشاح الأسود من ظهره أمام الباب بيديه المكسورتين المتدليتين من المعصمين، وقد التوتا ناحية اليمين والشمال. يخرج ذو الوشاح الأسود من الباب)

الشاعر: (**في يده اليمنى كتاب ملفوف داخل منديل، وفي يده اليسرى عود الثقاب على وشك الانتهاء**) يا أيها الميراث الذي وجدته تحت وسادة جدتي الميتة!! إنك لن تنفد.. ولن تنتهي!

(ينتهي عود الثقاب. ظلام. نحيب عميق).

«ستار»

وصية أبي أيوب الأنصاري

بقلم: د. غازي مختار طليمات – سورية

(مسرحية شعرية)

المشهد الأول

(يكشف الستار عن قاعة كبيرة، يتصدرها فارس عربي الزي والسلاح، ويقف بين يديه رجلان مكتهلان، تكتنفهما الهيبة).

أحد الرجلين متجها إلى الفارس: إيه سفيان بن عوف، ما الخبر؟

فيم تدعوني؟

وتدعو ابن عمرْ

وكلانا زاهد في الأمرِ

سفيان بن عوف: لم تدعيا للحكم فالأمر أمرّ

الرجل: ألفتوى أم لبلوى؟

سفيان: بل إلى خطر ترهبهُ

عبد الله بن عمر: وأي خطرْ؟

أعنيت الغزوَ؟

(سفيان يهز رأسه موافقا)

ابن عمر: ما المرّ الذي فيهِ؟

سفيان: كأس الموتِ

ابن عمر: أهلا بالقدرْ!!

إنها الجنةُ

يا شوقي إلى من قضوا

قبلي في كرٍّ وفرّ

يا ابن عباس تجهزْ

الرجل الأول أي عبد الله بن عباس: جاهزٌ

حسبي الفيصل والمهر الأغرّ

ابن عمر: ومتى الغزوُ؟

سفيان: غدا نمضي إلى شاطئ البسفور في بحر وبرّ

جنة الدنيا

ابن عمر: وعدنا جنة غيرها

لم يرها قط بشرْ

ابن عباس: فإليها. لا إلى تلك الخطا

وهي لا الفوت من الموت الظفرْ

(يقتحم القاعة من باب جانبي شيخ يتوكأ على عصا. ويشده حارس ليخرجه من القاعة)

الشيخ: أيها الحارس، قد أوجفت كفي

لا تسر كالظل خلفي

دع يدي، قلت دعها

أين سفيان بن عوفٍ؟

سفيان: من؟ أبو أيوبَ؟

سفيان (**للحارس**): يا أرعنُ قد آذيتَ

ضيفي

عد إلى البابِ

ولا يدخل من القوم أحدْ

سفيان لأبي أيوب: مرحبا سيد الأنصارِ

ما حال البلدْ؟

أبو أيوب الأنصاري: مرجل، من تحته نار، وأعلاه زبدْ

أشعل النزو إلى الغزو هشيمي، فاتقدْ

إن روحي بنت عشرينَ

فلا تنظر إلى عمر الجسدْ

كيف تخفي خبر الحملة عني

كيف تخفي؟

سفيان: خفت أن أعنف بالشيخِ

أبو أيوب: هراءٌ

أي خوفٍ

أي عنفٍ

أنا ترب الحرب والزحفِ

فهل تنكر زحفي؟

ومتى خفت على مثلي؟

وهل أقعدني شيبي وضعفي؟

إن في الأمر لكيداً!!

سفيان: لا. فسفيان بن عوف لا يكيدْ

أبو أيوب: أنا لا أرميك، بل أرمي يزيدْ

(فجأة يدخل القاعة شاب موفور الصحة، أنيق الزي، وسفيان لا يراه)

سفيان: ويلتا!! ما قلتُ

يزيد (**وقد توسط القوم**): يرميني

سفيان: أترمي ابن أمير المؤمنينْ؟

يزيد بن معاوية: بم ترمينيَ يا شيخُ؟

أبو أيوب: بإبعادي عن الغزو، عن الفتح المبينْ

باطراحي في حمى جلق مفلول اليمينْ

إنني أقسمت أن أنفر ما عشتُ

خفيفا وثقيلا

يزيد: والثمانون التي تحملها!!

قلت: خفيفا وثقيلا

أبو أيوب: هي عمري

وجناحاي إذا رمت إلى الروم وصولا

وسواء أن أكون القاتل الظافرَ

والشلو القتيلا

يزيد: إن تحاملت على نفسك كي تقتل حملكْ

وتجاهلت الثمانين التي تلتف كالأقياد حولكْ

فلمن تترك أهلكْ؟

أبو أيوب: للذي يرزق من يخلقُ

لا ينسى عيالا ومعيلا

للذي من غير أن أوكلهُ

كان وما زال وكيلا

أتظن الناس كل الناس مثلكْ؟

يزيد: ما الذي تعنيهِ؟

أبو أيوب: قد رددت قولكْ

يزيد: أي قولٍ؟

أبو أيوب: أمُّ كلثوم بما أعنيه أدرى

عانق الزوجَ

ودعني أعتنق سيفا ومهرا

واترك الغزو لجند اللّهِ

هم بالغزو أحرى

يزيد: أنا لا أنكر ما قلتُ

ولكني ظننت الأمر سرا

وأبي أمطرني سخرا وتقريعا وزجرا

أفلا تغفرها لي؟

أبو أيوب: بلى، أغفر إن أبصرتُ فعلكْ

يزيد: ستراني يا أبا أيوبَ

أغزو الروم قبلكْ

فتأهبْ

أبو أيوب: قد تأهبتَ

إذن أعطيتَ سؤلكْ

وغدا تبصرنا الساحُ

فتدري أينا في الكر أضرى

المشهد الثاني

(يكشف الستار عن خيمة عسكرية، يرقد على سرير فيها جريح محموم معصوب الرأس، وهو أبو أيوب، وإلى جواره ابن عباس وابن عمر، وخلف الخيمة لوح كبير رسمت عليه معالم القسطنطينية سورها وقلاعها وكنائسها، وحول الخيمة خيام أخرى فيها جنود يصطلون ويشحذون سيوفهم قرب النار، ويظهر في المشهد عبدالله ابن عباس ممسكا بعضدي أبي أيوب، وهو يرتعد من الحمى).

عبدالله بن عمر: يا ابن عباس ترفق بأبي أيوبَ

فالشيخ عليلٌ

ابن عباس: إنه يهذي من الحمى

ابن عمر: ستخبو نارها عما قليلٌ

أبو أيوب (**بأنفاس متقطعة**): لا تردوا

موكب الهجرة عن داريَ

أهلا بالوفودْ

ابركي يا ناقة الوحي على بابيَ

والناس شهودْ

ابركي. وليرتحل عن يثرب الغراءِ

أحبارُ يهودْ

لفظتهم أرضنا عنها

فهم حيث يعيشون فلولْ

ابن عمر: بم يهذي

ابن عباس: ليتني أهذي بما يهذي

ابن عمر: أتدري ما يقولْ؟

ابن عباس: تتجلى لأبي أيوبَ أنوار الرسولْ

فيناجيه مناجاة خليلٍ لخليلْ

(**يدخل يزيد مترفقا وابن عباس يقول**): كالذي هيأ للرحلة عن عالمنا زاد الرحيلْ

يزيد: أتراه راحلا؟

ابن عباس: رحلة وامقْ

(**أبو أيوب يبسط يديه، ويتابع ابن عباس**): أبصر المحبوبَ

فامتدت يداه ليعانقْ

إنه، إن صدق الظن، مفارقْ

ابن عمر (**ويده على جبين أبي أيوب**): زايلته وقدة الحمى

صحا، أو كاد يصحو

يزيد (مشيرا إلى رأس أبي أيوب): يا أبا أيوب أين الكرُّ؟

هل أقعد ترب الحرب جرحُ

أبو أيوب (**يتناهض**): من؟ يزيد ابن أمير المؤمنينْ؟

يزيد: عائدا جئتك أستنصحُ

هل لي عندك الليلة نصحُ

صادعا بالأمر إن تأمرْ

معينا شيخنا إذ يستعينْ

مُرْ.. أُجبْ

أبو أيوب: استغفرِ الله، أتنسى الله رب العالمينْ

فهو الآمر، لا أنت، جميعَ الآمرينْ

وهو لا أنت المعينّ

يزيد: أوصني

أبو أيوب: أوصيك أن تدفن جسمي

يزيد: أين؟ في أرض البقيعِ؟

أبو أيوب: لا

يزيد: أفي مكة أم في القدس أم قرب الشفيعِ؟

أبو أيوب: لا،

أبو أيوب لا يطمع في تلك الربوعِ

يزيد: أولا تعصف بالشيخ إلى أحبابه ريح الحنينّ؟

أبو أيوب: كل يوم، كل حين غير أني نهب إعصار أشدّ

ليس في دفعه عن جسدي الموهونِ يدّ

عاصف يقذف آمالي إلى أفق بعيد لا يحدّ

كلما بلغني أفقا مديدا

لاح لي أفق أمدّ

يزيد: عادتِ الحمى

أبو أيوب يهذي هذيان الذاهلينّ

أبو أيوب: منذ أن شرفتِ الهجرةُ داري

لم تفتني قط هجرةْ

منذ قال الوحي للناسِ انفروا

أنفذت أمرهْ

فحياتي نفرة تعقب نفرةْ

فدعوني نافرا حيا وميتا

واجعلوا الهجرة قبري

بعدما حلت على بيتي بيتا

واسكبوا سؤر دمي

دون نار الغزو زيتا

يزيد: كيف يغزو المرء إن أصبح شلوا؟

وهوى عضوا فعضوا

أي لغز ذاك؟

أبو أيوب: لا ألغز، بل أطلب غزوا

أو ما قلت: أتوصيني وصية؟

يزيد: قلت، لا أنكر، لكن ما الوصية؟

أبو أيوب: هي ما قلتُ

يزيد: كفى هزءاً ولغوا

أبو أيوب: لست ألغو

ومتى كان اختيار القبر لغوا؟

إن أمت فامضوا بجثماني

يزيد: إلى أينَ؟

أبو أيوب: إلى الأرض الرضيةْ

يزيد: أإلى دارِكَ؟

أبو أيوب: لا، داري قصيةْ

يزيد: أإلى جلقَ؟

أبو أيوب: لا، جنبني؟

هي دار العاشقين العيشُ

لا مدفن عشاق المنيةْ

يزيد: فإلى أين إذن نمضي؟

أبو أيوب: إلى قسطنطينيةْ

يزيد: أعفني من مطلبٍ

ناجيتني في أمره أصعب نجوى

أعفني لست الذي يشهد في هذي الوصيةْ

أوص غيري

وسأوصي أن يخطوا في ثرى جلق قبري

يا ابن عباس، أبو أيوب يهرفْ

فهو يوصيني وصاة لا تشرفْ

ابن عباس: أنت لا تدرك مرماهُ

ومن يدركْه يعرفْ

يزيد: هاتِ، عرفني

ابن عباس: أبو أيوب ماض في الجهادْ

يزيد: أو بعد الموتِ؟

ابن عباس: بعد الموتِ، من غير ارتدادْ

درعه الأكفان والنعشُ الجوادْ

وسيغدو قبره حصناً

على كل حصون الروم يشرفْ

فإذا ارتد عن الساح جبانٌ

أبصر القبر فعادْ

صاعدا في كل طودٍ

هابطا في كل وادْ

مدركا ثأر أبي أيوبَ

مشبوب الحميةْ

أبو أيوب: يا ابن عباسٍ، أبو أيوب لا يطلب ثأرا

بل يمد الجسد الفانيَ للآتين جسرا

إن بدا اليوم ضريحي لبلاد قد فتحناها النهايةْ

فغداً يغدو البدايةْ

منه تمضي راية الفتح إلى أشرف غايةْ

يزيد: أيَّ فتح يا أبا أيوب تعني؟ أيَّ رايةْ؟

أبو أيوب: نشر نور الله خلف السور أو خلف المضيقْ

فإذا الخصم الذي يكره ما نهوى صديقْ

وإذا الأعداء إخوان وأعوان لنا في كل ضيقْ

يحملون الوحي للحمر وللشقر هدايةْ

يزيد: أتظن الروم يوما مهتدينْ؟

أبو أيوب: إن هُدينا يهتدوا

يزيد: ظنٌّ، وما جدوى الظنونْ؟

أبو أيوب: هبه ظنّا أو سرابا

فعلينا جعله عين اليقينْ

يزيد: كيف يغدو الظن حقا؟

ويفيض البرق ودقا

ومتى يصبح هذا الأمل المرجو صدقا؟

أبو أيوب: حين تحويه قلوب الصادقينْ

ويكون الهدف الأول للغزو انتصار المخلصينْ

وبذا يمسي أمير الدين والدنيا أمير المؤمنينْ

يزيد: أو ما للفتح حد من مكان وزمانْ؟

أبو أيوب: حده أن يسمع المشرق والمغرب ترجيع الأذانْ

وتظل الأرض كل الأرض راياتِ الأمانْ

حين ذاكْ

يترك الناس العراكْ

وترى السيف سوارا

وسهام الموت أعواد أراكْ

يزيد: ربما طال بما تأمل يا شيخُ الأمدْ

أبو أيوب: أنا لا آمل، بل أنقل وحيا لا يردْ

إن تهاوى والد في ساحةٍ هبَّ الولدْ

فليطلْ

قد فرض الفتح على أمتنا

حتى الأبدْ

إننا إن ننصرِ الله انتصرنا

يزيد: وإذا لم ننصرِ الله؟

أبو أيوب: انحسرنا واندثرنا

كلنا في قبضة الله رهينْ

يزيد: أولا يرعبك المصرع قبل الفوز بالنصر المبينْ؟

أبو أيوب: لا،

فإن أقض فلي الجنة من بعد الشهادةْ

أو أفز بالفتح، فالفتح إخاء لا سيادةْ

فيه أجني مع من أهديت إيماني أمانا وسعادةْ

أغريب أن يُرى قبري جسراً لعبور الزاحفينْ؟

ابن عمر: لا، وقد يغدو مناراً لسفين الفاتحينْ

ومزاراً، يلهم الأجيال حب الموتِ

حيناً بعد حينْ

يزيد: سوف يغدو ما تظنانِ

أبو أيوب: إذنْ؛ حققْ وصاتي

واطّرح تحت خطا الماضين للفتح رفاتي

يزيد: كيف أفتي وابن عباس هنا وابن عمر؟

أفتياني في وصاة الشيخِ

ابن عباس: لم يوص بِشَرّْ

ابن عمر: بل بخير أبديٍّ، وبهديٍ مستمرّْ

ابن عباس: أعطه ما شاءَ

يزيد: أعطيه وفي القلب التياعْ

كالذي يلقي رضيعا من بنيهِ بين أنياب السباعْ

أبو أيوب: ألقني وارجعْ فإني لن أراعْ

يزيد: لك ما شئت

أبو أيوب: إذن وجه إلى الغرب الأعنةْ

يزيد: لك ما شئت، نعم، من غير منةْ

أبو أيوب (**وهو يعود إلى مضجعه**): فدعوني أسلمِ الروحَ إلى اللّهِ

ونفسي مطمئنةْ

(**يرقد أبو أيوب**)

ابن عمر: ما الذي يكفل ألا ينبش الرومُ الضريحْ

ليهينوا الجسد الطاهرَ والرأس الجريحْ

ضاحيا تلفحه رمضاءُ أو تذروه في الآفاق ريحْ

يزيد: لأبي أيوب ما شاءَ

فطمئنهُ

ابن عباس (**وهو يهز أبا أيوب**): كأن الشيخ ماتْ

ابن عمر (**يتفحصه**): مات لكن بعث النخوةَ في الأرضِ المواتابن عمر

مات والنصر على عينيه وضاح السماتْ

يزيد: جهز الشيخ ابن عباسٍ

جهاز الشهداءْ

وجهاز الأمراءْ

فهو مبعوث الهدى العلويِّ

قد سافر يمحو الترهاتْ

ينشر الأنوار في الأسفارِ

يجتاح الجهاتْ

ابن عمر: والرسول الحامل الناقل للأعداء أضواء السماءْ

والسفير الميت الحي إذا عز لدينا السفراءْ

يزيد (**وهو على رأس أبي أيوب**): يا أبا أيوب، إن ترحلْ إلى القبر خفيفا

فلقد حملتنا عبئًا مدى الدهر ثقيلا ومخيفا

أترانا نعشق الزحف الذي تعشق أو نخشى الحتوفا؟

ابن عباس: ما لنا بد من العشق إذا اخترنا البقاءْ

ابن عمر: عشقه فرض وما في الفرض رفض أو حوار وانتقاءْ

فليكن قبر أبي أيوبَ في تاريخنا الطود المنيفا

ولنسرْ منه إلى أقصى الميادين ألوفا

نحملُ الراية للغاية حمل الأوفياءْ.

«ستار»

أضاعوني

بقلم: صالح محمد المطيري – السعودية

أشخاص المسرحية:

- أبو حنيفة
- حسان الإسكاف
- زينب امرأته
- حاكم البلد
- صاحب الشرطة
- أناس وجنود وآخرون

زمن المسرحية: أواسط القرن الثاني الهجري.

مكان المسرحية: البصرة

المشهد الأول

(الدنيا ليل... يزاح الستار فنرى على المسرح بيتاً متواضعاً من الداخل، يدل من نظرة واحدة على أنه بيت رجل فقير معدم، تتوسط المسرح باحة البيت الصغيرة نوعاً ما، يحتل نصفها فراش رث، يدخل حسان الإسكاف، رجل في الثلاثين من عمره، أقرب ما يكون إلى الطول، عليه زي الصناع، حاملا عدة صناعته على كتفه، إنه متعب، يبدو أنه قادم من مسيرة طويلة... يدخل إلى باحة البيت، ويقعد على الفراش الرث، واضعا عدته إلى جواره، ينادي...)

حسان: يا امرأة!

(... بعد لحظات تظهر امرأته زينب، أصغر من الثلاثين بقليل، في وجهها ملامح من كان يعاني النعاس، وبدا ذلك واضحاً في صوتها، وقد لفت كتفيها

بغطاء قديم، بدت خيوطه المهلهلة تموج ذات اليمين وذات الشمال، في محاولة لدرء برودة الثلث الأخير من الليل)

زينب: نعم، ها أنت قد جئت! لقد كاد الصبح أن يطلع ولمّا تأت.

حسان: (**بصوت مرهق**) اسكتي يا امرأة، هل نام الصبية؟

زينب: (**مستغربة**) أقول: كاد الصبح أن يطلع، وتقول: هل نام الصبية!

حسان: (**مغيراً لهجته**) ماذا أفعل يازينب! لقد كلّت رجلاي من طول المشي، فقد ذهبت اليوم إلى البصرة سيراً على قدميّ!

زينب: مربد البصرة! وما دعاك إلى الذهاب إلى هناك؟

حسان: إنه سوقٌ كبير، ينصرف إليه الناس من كل مكان، فلما أتيت سوق البصرة اليوم، مكثت طويلاً ولم يأتني أحد، فعلمت أن الناس قد ذهبوا إلى المربد.

زينب: (**تقعد على طرف الفراش**) وماذا فعلت بعد ذلك؟

حسان: لقد احتملت عدتي على ظهري وذهبت إلى هناك، فوصلت بعد الظهر، ومكثت فيه إلى قريبٍ من المغرب، حين انفض الناس وتقوض السوق، فكررت راجعاً إلى البصرة!

زينب: (**بدهشة**) منذ ذلك الوقت وأنت تسير؟ لهفي عليك يا حسان! ألم تجد مندوحة من كل هذا العناء؟

حسان: (**يميل على شقه**)نعم، إنه بعيد من البصرة، ولم أجد أحدا يحملني من هناك (**يضع عمامته**) منذ غابت الشمس وأنا أغذ السير، متلحفا السرى، فكنت أسير حتى أتعب، فأستريح قليلا ثم أواصل سيري.. ولم يخفني في هذا الليل مثل أن أقع في يد أحد أولئك الشطار والعيارين! ولكن الله سلم!

زينب: (**بشفقة**) فداك أبي وأمي! يا حسان، وماذا يريد منك اللصوص وأنت إسكاف مسكين لا تملك إلا مخارزك الصدئة وخرجك المبطن بأوضار النعال!

حسان: (**يحك رأسه**) أية خرجٍ وأية مخرزٍ يا امرأة؟ يكفي أن يروا خيال إنسان

يسير وحده الليل ليقتلوه ويسلبوا ما معه، مهما كان حقيراً. بالأمس قتلوا رجلاً من بني قشير ولم يجدوا معه إلا عصا فيها سيرٌ مبتورٌ نصفه! فسلبوه إياها وتركوه طعمة للغربان وطيور الفلاة!

زينب: أبعد الله عنك كل مكروه، وسلّمك لأهلك وعيالك! لابد أنك خفت أن يسلبوك ما أحرزت، بُعداً لهم وتعساً، قل لي بالله عليك: كم كسبت بعد هذه الرحلة الشاقة على قدميك؟ (**تقوم إلى طرف الباحة فتحضر إناءً فيه ماء**).

حسان: لا تسأليني: كم كسبت، بل قولي: كم خسرت! لقد كانت هذه الرحلة ضغثاً على إبّالة! (**يستوي فيضع رجليه في الإناء**).

زينب: (**تدلك رجليه مستسلماً**) وكيف ذلك؟ (**متعجبة**) ألم تذهب إلى هنالك لتكسب أكثر؟

حسان: (**مستريحاً لما تفعل**) آه، أحسن الله إليك يا أم عمرو، لقد تفطرت قدماي من المشي! (**مواصلاً كلامه**) لا، ليس الأمر كما تظنين، فما ذهبت إلى هنالك إلا لِما رأيتُ من قلة الناس في سوق البصرة، الذي أجلس فيه كل يوم ولم أحصل من ذهابي على شروى نقير!

زينب: وكيف ذاك يا حسان؟

حسان: (**يستند على ظهره**) لا أدري! ربما أن الناس يفضلون شراء حذاء جديد على ترقيع القديم، ومن العجب أني رأيت قوما يتأبطون نعالهم ويمشون حافين، خوفا عليها من البلى! فلم جعلت النعال إذن!؟ ولقد رأيت بعضهم يمشي حافيا عند تساقط النبق من الشجر، خوفا على حذائه من الضرر! سبحان الله! يشفقون على نعالهم ولا يشفقون على أقدامهم!

زينب: (**في ابتسامة قصيرة لما يقول**) هل تعني أنه لم يأتك أحد؟

حسان: لا، بل قد جاءني أحد، وليته لم يأتني ولم يقف علي! (**بحنق**) تبّاً لها تلك النعال اللعينة! لقد تكسرت معي ستة مخارز وأنا أحاول إصلاحها! ومن قسوة تلك النعال يخال المرء أنها قُدّت من الصوّان وليس من الجلد!

زينب: وكيف حدث ذلك؟

حسان: لقد جاءني بعدما وصلت إلى السوق رجل مروزيٌّ يريد إصلاح زمام حذائه الذي بلي من القِدَم، فتأملت العطب قليلاً من الوقت، ثم شرعت في محاولة رأب انقطاعه، ووصل أسبابه، ولقد تكسرت معي ستة مخارز وأنا أحاول جاهدا إصلاحه، ولكن دون جدوى. فلما وضعت المحاولة أوزارها، وعجزت وسائلي عن اختراقها، التفت إلى صاحبها، فقلت له: اتق الله يا رجل! نعلك هذه لا ينفذ فيها السيف الصقيل، فكيف بالمخرز الكليل! فنظر إلي وقال: مرة أخرى يعز علي فراقها، لن أرميها أبداً، لقد حججتُ بها! فسألته ضاحكاً: هل حججت بها أم هي حجتّ بك؟

قاتل الله أهل مرو! فإنهم لو استطاعوا لصنعوا من الصخر نعالاً! وذلك من شدة بخلهم وحرصهم على ألاّ يصيبها البلى والاهتراء! وهو مصيبها لا محالة!

زينب: (**قائمة**) لا عليك يا حسان، لقد بلغ منك التعب والجهد، لقد جاوزنا منتصف الليل، فأدرك ما بقي منه ونم هزيعاً وأرح جسمك قبل أن تغدو باكراً إلى صنعتك.

حسان: (**يقوم هو الآخر**) آه، صدقت - كم أنا في حاجة إلى النوم، بعد تلك المشقة التي احتملتها، ولم أخرج منها إلا بزيادة الخيبة والخسران.

(**يخرجان**)

المشهد الثاني

(لايزال المنظر في الليل... نرى المسرح مقسوما نصفين. نصف على اليمين يمثل بيت الإسكافي بوصفه السابق، والنصف الآخر يمثل جزءا من بيت أبي حنيفة، جار الإسكافي، حيث نشاهد فيه فناء صغيراً تحيط به أبواب الغرف القليلة، وأبو حنيفة، أشيب، قد ذرف على الخامسة والستين من عمره، تتوج وجهه لحية بيضاء وقور، وقد رسم التقدم في السن خطوطا متوازية على جبهته، وبمحاذاة صدغيه، متلفعا بطيلسانه الذي علقه على كتفيه، ومعتجرا عمامته، تدلت منها ذؤابة إلى

الخلف، متوسطا فناء بيته، مستقبلا القبلة، يصلي كما هو شأنه في ليله، ويسلم كل ركعتين. يدخل الإسكاف إلى بيته، فتسلط الأضواء عليه، يبدو عليه التعب كعادته، يضع عدته جانباً، وينتحي جانب الحصير الممدود في الباحة الصغيرة، يجلس)

حسان: (**لنفسه**) آه، ها قد جئت الآن، إلى بيتي لأنال شيئا من الراحة، وأريح جسمي المنهك، وقواي الخائرة، ثم أغدو صباحا برفقة مخارزي ومرقعاتي إلى مصطبتي لأرقع نعال العباد...

زينب: (**وقد بصرت به**) ها قد جئت ياحسان!

حسان: نعم وإني لمتعب وجائع فهل عندك ما يؤكل؟

زينب: (**تضرب كفا بكف**) ليس عندي إلا ما قد علمت!

حسان: (**يهز رأسه**) أعرف، خبز شعير يابس!! لا بأس! أحضريه الآن، فإنه أفضل من أن أنام خاوي البطن!

زينب: (**تذهب وتحضره**) ها هو ذا!

حسان: هذا نصفه! فأين النصف الآخر؟

زينب: كسّرته للصبية وبللته ماء وقدمته لهم، ولولاه ما ناموا.

حسان: (**للجمهور**) تبا للفقر يبخسنا حتى خبز الشعير اليابس!

(تذهب زينب وتحضر ما تبقى منه)

زينب: (**تضع أمامه قطعة الخبز في صحفة ومعها إناء ماء**) هذا هو يا حسان، كُلْ وتناول عشاءك! كيف عملك اليوم؟

حسان: (**يتناول كسرة من الخبز**) أبداً مثل كل يوم! تعب وشقاء وشمس، ومعاناة لأحذية الناس بكل ما فيها من أذى وقذارة! مقابل دوانق زهيدة لا تكاد تجزئ كل هذه السخرة!

زينب: (**تجلس قبالته**) أعانك الله يا حسان، هذه هي الحياة!

حسان: (**يمضغ كسرة أخرى**) نعم! هي كذلك ،لكن مادام هناك شيء يؤكل، مهما كان حقيرا، فهو أحسن من لا شيء بالتأكيد! (**يمكث ليتناول بقية ما أحضرته له، ثم يلتفت إليها ويقول بلهجة آمرة**) أقول لك يا امرأة: قومي إلى تلك الخابية في مطبخك، وأحضري لي قنينة وضعتها فيها البارحة.

زينب: (**بذعر**) حسان! يا ويلي ويا سواد ليلي! قنينة ماذا؟ ويلاه! أوَصِرْتَ تشربها بالقناني بعد أن أذهبت قوت عيالك في أسفاطها المهترئة!

حسان: (**بنظرة غاضبة**) اذهبي وأحضري ما قلت لك!

زينب: (**قائمة**) اتق الله يا حسان! وأبق لعيالك شيئاً من قوتك، وارحم رأسك المتعب وجسمك المنهك، أيسرك أن تسكر وتعربد وعيالك يتضورون جوعاً!

حسان: (**منفجراً**) أف، كفى! كفى! اغربي عن وجهي وكُفّي عن رقائقك وعظاتك، وانجحري إلى عيالك ودعيني أحيا ساعتي، بعد أن قتلني العمل، ونخرني الكد، وبلغ مني السعي وراء لاشيء! أبهذه الحال تقابلينني، وتبشين في وجهي!

زينب: (**محاولة تهدئته**) كل ما أرجوه أن أثنيك عما أنت منكفئٌ فيه من....

حسان: (**مقاطعاً، ومشيراً بقبضته**) سُحقاً لك وخُسْراً! تالله إنك للكَاع التي عناها الشاعر:

أُطوِّف ما أُطوِّفُ ثم آوي   إلى بيت قعيدته لَكاعِ!

زينب: (**دامعة**) سامحك الله يا حسان! أأنا لكاع! أأنا لكاع! أقوم على خدمتك، وأرعى شؤونك، وأسهر على راحتك، وأربي صبيانك، وأقوم ببيتك، ثم تقابلني بهذا الوصف الوضيع؟

حسان: (**مندفعاً**) أقصري أيتها المرأة! وإلا قمت وأدبتك! (**يهم بالقيام بسرعة، فتهرب المرأة وتدخل حجرة الصبية، تتبعها الإضاءة، تصفق على نفسها الباب وهي مذعورة، أحد الأولاد يشعر بها، من بين عدة أجسام منحشرة تحت لحاف خَلِق، فيقوم إليها ويقول.......**)

الصبي: (**متحسساً أمه**) مالك يا أماه؟ صفعتِ الباب وأنت خائفة! هل هناك لصٌّ بالبيت يتهددك؟!

زينب: (**تهدئ من روعها**) لا يابني ليس لصاً، ولا شيء هناك، نم يابني، ولا عليك!

الصبي: إذا لم يكن لصاً فلا يكون إذن إلا أبي! عجباً لماذا هذه الأصوات كل ليلة؟ ألا ينام في الليل مثل ما ينام الناس؟

زينب: (**زاجرة**) اسكت أيها الولد، نم، قلت لك: لا شيء هناك، هيا نَم ولا عليك.

الصبي: (**منصاعاً**) حسنٌ، سأنام، ولكن أبي لا يجعلنا ننام!

(يعود المنظر إلى باحة البيت، حسان قد أحضر قنينة الخمر بنفسه، بدأ يصب منها في كأسه).

حسان: (**متأملاً الكأس وفيها الشراب**) صهباء معتقة! اتخذت من قبل الطوفان بعشرة أعوام، وظلت حبيسة الدنِّ على كر السنين و القرون، ومع ذلك تبدو شابة فتانة، ولونها أصفى من عين الديك، ولها حبب يتطاير فينعش الروح قبل أن يخامر الروح، ولها دبيب في الجسم كدبيب البرء في السقم، وإن كان العكس هو الصحيح! (**ينظر إلى الجمهور بابتسامة ساخرة**) وتنفث خدرا لذيذا يسري في الجسم والمفاصل..

(ثم ينهي تأملاته الشاعرية بتجرع عدة كؤوس منها.. يضع الكأس جانباً، يبدو وكأنه يتنفس الصعداء، يميل إلى نمرقة ممزقة جواره فيتكئ عليها، يمكث هنيهة وهو متكئ.. بعد فترة من الوقت يبدو أن الخمر بدأت تعمل عملها، يرفع رأسه، وينظر نظرات حالمة، بجفون مسترخية، يغمض عينيه بشدة، ويفرك جبهته بيده، يبدو أنه يشعر بصداع عنيف، لحظات... تخف حدة الصداع، ويعود إلى حاله السابقة ونظراته الحالمة، وجفونه المريضة، يتمتم بكلمات مسموعة..)

حسان: (**لنفسه، متأففاً**) لحاها اللّه خَمرة يهود! (**يبصق**) رأيتها في القناني المشوقة فحسبتها أفضل من ذي قبل، عندما كنت أشتريها في تلك الأوعية القذرة المليئة بالشوائب والقذى، فإذا هي هي! نفس الطعم ونفس القذارة!

مغشوشة محلولة! اختلف الشكل والمظهر، لكن اتحد المحتوى والمخبر! (**يشير بيده**) ماذا أفعل؟ ما باليد حيلة! لم تمكني دوانيقي القليلة من سباء المطهمة العتاق، فانتكست إلى اقتناء الملوثة الزعاق! شلت يداك يا نسطاس الخمار! أنت وشرابك الرخيص المخلوط! اعتصرتك المنون! أنت وعصيرك الحار المجوج! تعطيني عصارة الحصرم وتستأثر بخلاصة الزبيب! ترتشف الرحيق ثم ترمي إليّ بالحثالة! (**يشير بوجهه**) آه، الآن فهمت! تريد أن تثأر لدريهماتك المتأخرة! وتنفس عن إحنك المترسبة! (**يشير بازدراء**) ولكن هيهات! لقد أبعدت مرماك، وجاءت الأمور عكس هواك! فلن تنال فلسا واحدا مني! خصوصا مع تدهور الأجور وتتابع الأزمة والثبور، نعم لتبق هكذا! تجتر غيظك علي، حتى ينضج قبلك منه! نعم! لتخسأ أيها القذر! آه، اسكت!.. أراك تبتسم في سخرية! آه ماذا تقول؟ تظن أني لا أستغني عنك، وأني لن ألبث أن أعود إليك، وأني سآتيك متضرعاً متذللاً أستقرضك بعض عصيرك، وأستمنحك بعض خمورك، وأنك ستطردني شر طردة، ولن تسلفني البتة! لا، لا لا يا أيها العلج! ليس الأمر كما ظننت! لن أحتاج إليك! ولن أقف على بابك! لأني عندها سأحل ضيفا على ذلك الراهب المعتصم بديره، آه نعم، عرفته إذن! نعم ذلك الراهب الذي يقطن بظاهر البلدة بجوار ذلك التل الصغير، يكفي فقط أن أنظف له حذاءه، أو أصلح بعض شأنه ليترعني بعدة أقداح، من تلك الراح، نعم! أنت لا تعرفني حق معرفتي، ولا تقدرني حق قدري! أنا حسان الإسكاف! كل الناس، صغيرهم وكبيرهم، غنيهم وفقيرهم، وجيههم ووضيعهم، ينحنون إلى مصطبتي في ذلة وخضوع، لكي أصلح لهم نعالهم! (**بغيظ**) تبا إن الناس لا تقدرني، ولا تدرك مكانتي ولا تعاملني بما أنا أهل له. (**بأسف**) حقا ياللضياع! ويالضيعة الموهبة والإبداع! صدقوا! لا كرامة لنبي في وطنه، ولا لمبدع في أهله! ولا لكريم في قومه!

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

واحسرتاه! (**يهز رأسه إلى جانبيه متأسفاً ويردد**)

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليـوم كـريـهـة وسـداد ثغر

(يردد بانسجام وتفاعل، يرفع صوته أكثر من ذي قبل، يبدو أن المقطع حاز إعجابه ووافق هواه، يواصل غناءه بترجيع وتلحين مختلط بالسُكار)

أضا..عوني..وأي فتى أضا...عوا ليـوم ك.. ريـهـة وسـداد.. ثغر

...كأني...لم أكن فيهم..وسيطاً.. ولم تك نسبتي في آل عَمرو...

(يضيء جانب المسرح الذي نرى فيه جزءًا من بيت أبي حنيفة...الصوت يصل إلى أبي حنيفة في بيته وقد فرغ لتوه من صلاته، يضم عباءته على نفسه، ثم يشرع في التسبيح والذكر الذي يتلو كل صلاة.... بعد وقت قصير ينتهي من تسبيحه...)

أبو حنيفة: (**بأسى**) لا حول ولا قوة إلا بالله! إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! لم يزل هذا دأبه منذ جاورته وعرفته، إذا جنه الليل وسكن إلى بيته بعد أن سكنت المخلوقات ونام الناس وهدأت الرِّجل يعمد إلى أم الخبائث وأصل الشرور، فيعكف عليها حتى يتحول إلى مجنون لا ينام الناس من صوته وزعيقه، ولا يهدأ الليل من غنائه وترجيعه! كان الله في عون زوجته وأولاده! إني لأتعجب كيف يتحملونه ويصبرون عليه وهو على هذه الحالة من مواصلة القصف والعربدة! إني لأرثي له ولأولاده!

(**يتأثر أبو حنيفة، ثم لا يلبث أن يرفع يديه بالدعاء...**) اللهم اهد جاري المسكين فإنه من الجاهلين! اللهم اهد جاري المسكين فإنه من الجاهلين! اللهم اهده إلى الصراط المستقيم. واكشف ما به من البلاء والمعصية. وأنقذه من أم الخبائث واصرف عنه خمارها وودها وأرشده إلى طريقك القويم، فإنه لا يعجزك شيء في السموات ولا في الأرض. يا رحمن يارحيم إنك على كُلِّ شيء قدير! (**ينتهي من دعائه، ثم يقوم و يخرج**)

المشهد الثالث

(أبو حنيفة كعادته يصلي ليله.. يبدو أن وقت الفجر قد قرب وهو في آخر صلاته.. يفرغ من صلاته ويسلم، يمكث وقتاً قصيراً يسبح ويذكر الله ويدعو بما شاء من دعائه، ينتهي من ذكره، يلتفت برأسه وكأنه تذكر شيئاً افتقده...)

أبو حنيفة: سبحان الله، مضى أسبوعان وأنا لم أجد لجاري حسا ولم أسمع له صوتا! وقد كان يمضي ليله في السكر والعربدة، ويزعج النائمين بغنائه وتخيلاته! حتى أصبحت له عادة لا تكاد تفارقه، عندما ينقلب راجعا إلى بيته! فلماذا انقطع عنها فجأة، إني لأعجب من ذلك، سبحان الله، إن له لشأنا!

(يُسمع أذان الفجر منطلقاً من مآذن البصرة.. بعد نهاية الأذان يقوم أبو حنيفة مستنداً إلى عصا بجواره فيصلي نافلة الفجر. ينتهي من صلاته ثم يمضي إلى المسجد ليؤدي فريضة الفجر) (يخرج)

(يبقى أبو حنيفة في المسجد بعد صلاة الفجر، حيث يلقي على تلاميذه درسا من دروسه اليومية، يستمر الدرس حتى طلوع الشمس، بعد ذلك ينصرف أبو حنيفة عائدا إلى بيته، تضاء أنوار المسرح على الجزء الخاص ببيت أبي حنيفة، يبقى الجزء الآخر الذي يمثل بيت الإسكافي مظلما. يدخل أبو حنيفة) أبو حنيفة: **(منادياً الجارية)** يامرجانة...

(تخرج مرجانة من إحدى الغرف)

الجارية: **(بصوت المستيقظ من النوم)** نعم يامولاي...

أبو حنيفة: هل استيقظ أهل البيت مبكرين؟

الجارية: نعم يامولاي، لقد استيقظوا مبكرين، هل لك من حاجة؟

أبو حنيفة: **(يتهيأ للجلوس)** نعم يا مرجانة لي حاجة أرجو أن تؤديها أنت بنفسك **(يستوي جالسا)** إن جاري هذا **(يشير بيده جهة بيت الإسكاف)** مضى أسبوعان بتمامهما ولم أجد له حسا، وله أولاد وزوجة بالبيت، فلو ذهبت إليهم لتنظري لي

ما حالهم، ولتستخبري لي عن أبيهم، فلربما أصابه شيء أو حدث له مكروه.

الجارية: سمعاً وطاعة يامولاي، ها قد ارتفعت الشمس، وسأذهب للتو.

أبو حنيفة: عودي إليّ هنا، فأنا منتظرٌ في البيت.

(يدخل أبو حنيفة إلى إحدى الغرف، تخرج الجارية، يظلم جانب المسرح الخاص ببيت أبي حنيفة، يضيء الجانب الخاص ببيت الإسكاف، يُسمع طرقات على الباب، تخرج زينب زوجة الإسكاف من إحدى الغرف ذاهبةً لتنظر من الطارق، تفتح الباب فإذا مرجانة، خادم أبي حنيفة)

مرجانة: (**بلهجة رزينة**) السلام عليكم.

زينب: (**باستغراب**) وعليكم السلام.. من أنتِ؟ وماذا وراءك أيتها المرأة؟

مرجانة: أنا مرجانة، جارية جاركم أبي حنيفة.

زينب: (**مطمئنة**) أهلاً ومرحباً، ما وراءك يامرجانة، هيا هلمي بالدخول، لن تظلي واقفة هكذا، ليس بالدار أحد إلا أنا والأولاد.

مرجانة: (**بطريقة مهذبة**) معذرة، إني في عجلة من أمري، لا أستطيع المكوث هنا، لقد بعثني سيدي أبو حنيفة لأنظر حالكم، وأستخبر له عن زوجك لأنه افتقده منذ مدة.

(الصِّبْية في الداخل كأنهم سمعوا الصوت الغريب، فخرجوا إلى باحة البيت حيث الأم والجارية مرجانة واقفتان لدى الباب، يأتون إلى أمهم ويتحلقون حولها ليستطلعوا هذه الزائرة الغريبة، وهم ثلاثة أولاد وبنتان)

زينب: (**متنهدة**) ماذا أقول لك يا مرجانة! لقد مر أسبوعان وزوجي غائب، لا أدري أين هو؟ وكان قبل ذلك لا يكاد يغيب يوما واحدا، لا في سفر ولا في غيره.. ولا أدري ما أصابه، وحدا به إلى مثل هذا الغياب. أبيت كل ليلة ساهرة أنتظره، لأنه يعمل سحابة يومه ولا يأتي إلا في الليل. ما أعظم ما أقلقني وبرح بي غيابه بهذه الفجأة.

مرجانة: (**مواسية**) لا حول ولا قوة إلا بالله، أعانك الله، وربط على قلبك، وردّ غائبك!

زينب: (**مواصلة بنفس اللهجة**) في كل مرة يسألني الصبية عنه، ولماذا غاب كل هذه المدة.

مرجانة: ألم يأتك خبرٌ عنه، ألم يخبركِ أحدٌ بشيء؟ ألم تبحثي عنه؟

زينب: لم أجد خبراً أكيداً عنه حتى الآن. ولقد بعثتُ إلى رفاقه الصُّنَّاع فلم يفيدوني بشيء عنه، وتجولت في السوق حيث كان يعمل فلم أجد له أثراً، وسألتُ أهل السوق عنه فقالوا: إنهم لم يروه منذ غيابه، ولا يدرون مصيره (**تطفر منها دمعة**) وأخشى ما أخشاه أن تكون اصطلمته جائحة، أو غرق به مركب، أو قتله اللصوص وهو ذاهب في بعض شأنه، (**ضارعة**) وازوجاه! فداك أبي وأمي! سلّمك الله من كل مكروه! (**مواصلة حديثها**) ولا أستطيع الخروج للبحث عنه في محالِّ البصرة، حتى يَقدم أهلي من الكوفة فيبحثوا عنه.

مرجانة: هل يعني هذا أنك لم يصلكِ خبرٌ عنه البتة؟

زينب: ليس هناك خبرٌ أكيد يقودني إليه، كل ما وصلني هو تخرصات وظنون من مثل تلك التي ذكرت، وكل ذلك زاد في همي وحزني، لقد بدأت أحس مرارة الفقد والثكل (**أصغر الأولاد ينحشر إلى حجر أمه وينظر ببلاهة إلى الجارية، الأم تمسِّد رأسه بحنان**).

مرجانة: هكذا إذن، كلها أقوالٌ غير مُطَمئِّنة.

زينب: هذا ماسمعت، وما خطر ببالي لأول وهلة! أرجو من الله أن تخيب كل هذه الظنون وأن يعود إلينا سالماً..... (**تسكت لثوان ثم تواصل كمن تذكر شيئاً**) لكني سمعتُ بأن...

مرجانة: (**باهتمام**) عجباً ماذا سمعتِ؟ هل وصلتك أنباء أخرى؟

زينب: (**بشيء من الحرج والتردد**) لقد سمعتُ.. عجوزاً البارحة.. تذكر أن.. ابناً لها أخذه العسس منذ... منذ أيام، وأخذوا معه اثنين أو ثلاثة آخرين. والذي

أعلمه جيداً أن زوجي ليس له علاقة بهذا الابن، ولا تربطهما معرفة، لأن زوجي إسكافي، وابنها نجار، بيد أني لا أعلم اليقين إن كان حقاً من أولئك النفر أم لا؟

مرجانة: فهمت... وكيف حالك وحال الأولاد؟

زينب: أما حالي فكما ترين وكما قلت لك، وأما الأولاد فقد تدهورت حالتهم من سيئ إلى أسوأ، بعد غياب أبيهم، وانقطاع القوت الذي كان يوفره لهم، ونفاد خبز الشعير الذي كنت أبلُّه لهم بالماء حتى يأكلوه.

مرجانة: حسنٌ، إني ذاهبة الآن، وأسأل الله أن يرد غائبك، ويطعم عيالك. وسأخبر سيدي بما قلت.

زينب: جزاك الله خيراً وأحسن إليك!

الجارية: (**منصرفة**) أستودعك الله، السلام عليكم.

زينب: وعليكم السلام، في حفظ الله ورعايته.

(تخرج الجارية من بيت الإسكاف، وتعود إلى بيت سيدها أبي حنيفة، أبو حنيفة جالسٌ في فنائه، مسنداً ظهره إلى جدار إحدى الغرف المطلة على الفناء، تدخل الجارية..)

الجارية: السلام عليكم يامولاي.

أبو حنيفة: (**بتلهف**) وعليكم السلام ورحمة الله، ها، هل جئت بخبر عن جاري؟

الجارية: نعم يا مولاي.

أبو حنيفة: هل هو موجود؟ هل هو مريض؟

الجارية: لا،ليس كذلك يامولاي.

أبو حنيفة: ما به إذن؟ أخبريني يا مرجانة؟

الجارية: إنه غائب منذ مدة.

أبوحنيفة: لقد صدق حدسي إذن! ليس بالدار.(**يصمت لحظة**) وأين ذهب؟ هل وجدوا له من خبر؟

الجارية: ليس هناك خبرٌ يقين عنه حتى الآن.

أبو حنيفة: عجباً، كيف اختفى بهذه الصورة المفاجئة!؟

الجارية: لكن زوجته تقول: إنها.....

أبو حنيفة: (**منتظراً**) نعم يا مرجانة هل سمعت شيئاً، مالكِ سكتّ؟ هل أسرَّت إليكِ بشيء؟

الجارية: (**بتحفظ**) لا لم تُسِرّ إلي بشيء، لكنها تقول: إنها سمعتْ أن العسس أخذوا نفراً من الرجال في بعض الليالي، ولا تدري إن كان زوجها في عدادهم أم لا.

أبو حنيفة: (**كمن بدأ يفهم**) آه، هكذا إذن، أحسنت صنعاً يامرجانة. وماذا عن أهله وأولاده بعد هذا الغياب؟

الجارية: (**تخبره بكل ما قالته المرأة عنها وعن أولادها**)

أبو حنيفة: (**مندهشاً**) يا ويح أبي حنيفة! صبيان جاري يتضورون جوعاً وفي بيتي شيء من مطعوم! (**مخاطباً الجارية**) هيا يامرجانة اذهبي إلى المطبخ واحملي ما تجدين فيه من طعام وخذيه إلى أهل جاري حسان، وأعيني المرأة على صنعه، وأصلحي من شأن الأولاد.

الجارية: (**ببعض الانشغال**) الآن يا مولاي!؟

أبو حنيفة: (**مستغرباً بلطف**) ومتى إذن؟ بعد أن يموتوا جوعاً! (**بلهجة هادئة**) هيا اصنعي ما قلت لك، وسأذهب أنا لبعض شأني.

(تذهب الجارية إلى المطبخ، ويخرج أبو حنيفة، ويسدل الستار)

المشهد الرابع

(المنظر في دار الإمارة بالبصرة، يزاح الستار عن ديوان كبير متوسط الفخامة، يحتل أنحاءه عدد من قطع الأثاث والرياش المختلفة، حيث بدا في الوسط كرسي الأمير تظلله ستارة مخملية، وإلى قريب منه اصطفت مقاعد عريضة إلى اليمين واليسار وهي مخصصة لجلوس حاشيته ومريديه، وفي المركز بين هذه المقاعد وضعت بعض المناضد الصغيرة، استقرت فوقها أوعية نحاسية من تلك التي تستخدم عادة في الخدمة إلى أقصى اليمين من ذلك كله نرى مدخل الديوان المفضي إليه، وقد انتصب إلى جانبه حاجب بزي المقاتِلة، معتمراً خوذته المعدنية ومعتمداً رمحه الطويل ومنتطقاً سيفه.. نشاهد الأمير جالساً على كرسيه، وهو رجلٌ ربعة من الرجال. ليس بالطويل ولا بالقصير، في حوالي الخمسين من العمر، موفور القوة، مجتمع الخلقة، توحي قسمات وجهه بأنه يتحلى بقدر من الحزم ورباطة الجأش، تغطي ذقنه لحية سوداء قصيرة، وتحيط بجبهته عمامة معصفرة، من قصب، مرتدياً بُردا من برود اليمن، وهو مشغولٌ في رُقعة يقرؤها، في حين انتظم على المقاعد أمامه جوقةٌ من حاشيته المألوفة لديه.. لعل من أبرزهم صاحب شرطته، الذي جلس عن يمينه.. نلاحظ علامات الاستياء والتمعر في وجه الأمير كلما أمعن في القراءة، الحاضرون ينتبهون لهذا التغير الطارئ بسبب هذه الرقعة التي بين يديه، ويستعدون لاستكناه ماجاءت به. يدفعهم الترقب إلى التفكير في ردود مناسبة تعقيباً على ماقد يكون في الرقعة من أخبار مقلقة لراحته.. بعد وقت قصير ينهي الأمير قراءته وينظر أمامه بنظرات غير مستقرة...)

الأمير: (**متأففاً**) تباً لهم من عصاة! ما إن ننتهي من خوارج بني مازن حتى يأتينا لصوص بني أسد! (**يشير بالرقعة**) ها هو ذا صاحب الخبر ينبئني عن هجوم زمرة من قطاع الطرق على السابلة في الليل وقتلهم لرجل طمعوا فيما معه، ياللهوان! أليس لهؤلاء الفساق من يؤدبهم ويكبح جماحهم ويقطع أذاهم؟

صاحب الشرطة: (**محرجاً**) مولاي، لقد جردتُ عليهم رجالي في أكثر من موقعة، ونصبنا الكمائن في كل مكان، ولكنهم في كل مرة نباغتهم يتفرقون في مسالك

الأرض وتبتلعهم مجاهل الصحراء.. ولقد طلبناهم مرة لمدة ثلاث مراحل كاملة حتى وصلنا رمال بني سعد، وكدت أهلك أنا ورجالي في تلك المفاوز التي لا ظلَّ فيها ولا ماء، ولا عَلمَ ولا دليل. يضيع فيها الخرِّيت، وتتقطع من ظمئها الإبل.

الأمير: قاتلها الله زمرة الباطل، وأعوان الشيطان! سأتولاهم أنا بنفسي، وسأردهم إلى جحورهم التي خرجوا منها في مضارب الريان تباً لأولئك الأعراب أما لهم من رادع؟

أحد الحضور: (**معقباً**) لا تحمل هماً أيها الأمير، سيستأصل الله شأفتهم ويقطع دابرهم ويريح الناس من شرهم، ويشفي قلوب قوم آخرين.

الأمير: سأشرع إن شاء الله من الغد في تدبير خطة للقضاء عليهم وجعلهم عبرة لغيرهم.

(أقصى يمين المسرح نشاهد أبا حنيفة وهو يهم بالدخول، ويكلم الحاجب الواقف لدى الباب)

أبو حنيفة: السلام عليكم.

الحاجب: وعليكم السلام ورحمة الله.

أبو حنيفة: قل لي، رحمك الله، هل الأمير موجود في ديوانه الآن؟

الحاجب: نعم.

أبو حنيفة: إذن فقل له: أبو حنيفة يستأذن بالدخول.

(يذهب الحاجب فيدخل إلى ديوان الأمير، ويقترب من مجلسه في انضباط وثبات)

الحاجب: مولاي الأمير!

الأمير: (**ملتفتاً نحوه**) نعم، ماوراءك أيها الحاجب؟

الحاجب: بالباب أبو حنيفة الفقيه، وهو يستأذن مولاي بالدخول.

الأمير: من؟ أبوحنيفة؟.. أبو حنيفة بالباب؟ وماذا تنتظر أيها الحاجب؟ هيا اسمح له بالدخول. **(أبو حنيفة يدخل إلى الديوان في وقار وجلال محتفظاً بهيبته ومشيته)**

أبو حنيفة: السلام عليكم أيها الأمير.

الأمير: وعليكم السلام يا أبا حنيفة.

أبو حنيفة: كيف حالك أيها الأمير؟

الأمير: بخير والحمد لله، لقد شرفت دار الإمارة ومن فيها بحضورك وقدومك علينا، وإنها لساعة عظيمة أن نراك هنا في زيارتنا يا أبا حنيفة.

أبو حنيفة: جوزيت خيراً أيها الأمير، هذا من طيب معدنك وكمال شمائلك.

الأمير: تفضل بالجلوس يا أبا حنيفة. **(يجلس أبو حنيفة)**

أبو حنيفة: بارك الله فيك، لن أطيل جلوسي أيها الأمير، فقد...

الأمير: **(مقاطعاً بتؤدة)** كيف تقول ذلك يا أبا حنيفة؟ إنها فرصة كبيرة بالنسبة لي أن تكون في مجلسي وإني لمغتبط جداً أن أكون موجوداً في مجلسٍ يضم أبا حنيفة، فقيه عصره وعالم زمانه.

أبو حنيفة: **(مبتسماً)** غفر الله لك ورحمك، ما كلُّ هذا الإطراء؟ فإنما أنا رجلٌ من عرض الناس وسوادهم!

الأمير: **(يشير بيده)** لا يا أبا حنيفة، ليس الأمر كذلك، إن للعلم مكانةً ومنزلة بين الناس كما تعلم أنت.

أبو حنيفة: **(محتفظاً بابتسامته)** أرجو أيها الأمير أن تدعنا من هذا الآن، لقد جئتُ إليك في حاجة تخص...

الأمير: **(مقاطعاً)** حوائجك مقضية يا أبا حنيفة قبل أن أنظر فيها، وقبل أن تشرع أنت في عرضها.

أبو حنيفة: بارك الله فيك، إني لم أتم كلامي بعد..

الأمير: ليكن ذلك في علمك من البداية يا أبا حنيفة.

أبو حنيفة: أيها الأمير، والله ما جئت إلى بابك لحاجة لنفسي أو لخاصتي، لأن حوائجي أحتفظ بها لنفسي وأبوح بها لمن هو أعلم بحاجتي وفقري مني.

الأمير: (**متأملاً الكلام برهة**) أعلم ذلك جيداً يا أبا حنيفة (**يهز رأسه موافقاً**) إنما نحن خلقٌ ضعاف..

أبو حنيفة: (**متماً كلامه**) ولكنها حاجة من صبية صغار وزوجة مسكينة ينتظرون عائلهم الغائب، متى يرجع إليهم.

الأمير: آه فهمت الآن.. (**يصمت**).. وأين عائلهم يا أبا حنيفة؟

أبو حنيفة: لقد اختفى منذ أكثر من أسبوعين، وبحثت عنه زوجته كل هذه المدة ولم تجد له أثراً، وأخيراً تناهى إلى سمعها أن العسس ربما أخذوه ليلاً وأودعوه السجن.

الأمير: وكيف عرفتَ ذلك يا أبا حنيفة؟

أبو حنيفة: إنه جاري لصيق داري، واسمه حسان.

الأمير: (**إلى صاحب الشرطة**) هل أودعتم أحداً السجن منذ تلك المدة ياصاحب الشرطة؟

صاحب الشرطة: نعم يامولاي، لقد قبضنا على حفنة من الصُّنّاع وجدناهم مجتمعين في سقيفة بأطراف البلدة، وذلك بعدما أصدرتم أمراً يقضي بحظر الدَّلَج.

الأمير: لك ذلك يا أبا حنيفة.. (**للحاجب**) أيها الحاجب! (**يأتي الحاجب**)

الحاجب: (**بكل خضوع**) لبيك يا مولاي..

الأمير: أطلق كل من قُبض عليه في تلك الليلة إكراماً لأبي حنيفة ومجيئه إلينا بنفسه.

أبو حنيفة: بارك الله فيك وأصلح شأنك، هذا ما أمّلته فيك ورجوته من قدومي عليك.

الأمير: كيف لا أنزل عند رغبتك وأنا أعلم أنك ما جئت إلا لخير الناس قبل خير نفسك؟

فو الله ماجاءني غيرك إلا ويريد أن يكسب لنفسه شيئاً قبل غيره، ينتظر مالاً أرفده به، أو جاهاً أخلعه عليه، إلا أنت يا أبا حنيفة.

الحاجب: (**يدخل**) سيدي الأمير، ها قد أفرجنا عن أولئك النفر السجناء.

الأمير: هل بينهم رجلٌ يدعى حسان؟

الحاجب: نعم يا مولاي. ها هو ذا حسان صاحب أبي حنيفة.

الأمير: حسنٌ أيها الحاجب، ائذن له بالدخول.

(يخرج كل من على خشبة المسرح ويبقى أبو حنيفة في مجلسه)

المشهد الخامس

(أبو حنيفة جالساً، يدخل حسان الإسكاف)

حسان: (**في مشهد درامي مؤثر**) من؟! أبو حنيفة!!

أبو حنيفة: (**هاشاً**) مرحباً يا حسان، كم أنا سعيد بإطلاقك!.

حسان: (**تكاد الدهشة تعقد لسانه**) أنت أبو حنيفة؟ أكاد لا أصدق ما أرى.

أبو حنيفة: (**مبتسماً**) ولَم لا تصدق؟ أنا جارك أبو حنيفة، حمداً لله على سلامتك.

حسان: هل جئتَ إلى هنا لإطلاقي؟

أبو حنيفة: ما جاء بي إلا هذا رحمك الله، والآن دعنا نترافق إلى البيت.

حسان: يا للدهشة!!

أبو حنيفة: عجباً لك ياحسان، ولَم الدهشة؟ وأنا جارك ولصيق دارك، هل في الأمر غرابة؟

حسان: هل أنت متأكدٌ أنك ما جئت إلى هنا إلا لإطلاقي؟

أبو حنيفة: (**صابراً**) آه ياحسان، مالزوم كل هذا الجدل! أخبرتك بالأمر سلفاً، هيا يا بني لنذهب إلى البيت، فزوجتك وأطفالك على أحر من الجمر في انتظارك.

حسان: (**يجثو على ركبتيه متأثراً**) يالي من مجرم! يالي من فاسق أثيم! ياللعار!

أبو حنيفة: (**يلحظ تأثره، ويتوجه إليه مهتما**) ما هذا يا بني!!

حسان: (**متابعاً**) كم أنا مجرمٌ وأثيم! أنت تعرف أني ماجيء بي إلى السجن إلا لأنني فاسق سكّيرٌ عِربيد!

أبو حنيفة: (**مُطمئناً**) على رِسْلِكَ يابني، اهدأ واضبط نفسك، ولا داعي لمثل هذا الكلام الآن، أنت رجل كبيرٌ وعاقل، ولابد أن يكون لديك شيءٌ من الحزم والرزانة.

حسان: (**بألم**) إني لا أتصور أن تأتي لتسعى في إطلاق سراحي بعدما كدرت عليك صفاء ليلك، وأفسدتُ عليك خلوتك ومناجاتك وعبادتك.

أبو حنيفة: (**بضحكة خفيفة، كمن يريد أن يداري شيئاً**) إيهٍ يابني، رحمك الله، إني لم أجد منك إلا كل خير! لا تُحمِّل المسألة أكثر مما تستحق. لم يكن هناك لا خلوة ولامناجاة ولاصلاة تُذكر، وطوال نومي لم أسمع من جهتك شيئاً.

حسان: (**مشيراً بأصبعه**) أنت آخر شخص بالبصرة أتوقع أن يأتي لإخراجي!

أبو حنيفة: (**مستفهماً**) عجباً، سبحان الله! وكيف ذاك؟ هل فعلتُ شيئاً بحقك؟ مما قد يغيِّرك نحوي أو يلحق بك أذى؟

حسان: لا، ليس ذاك، ولكني، كما تعلم أنت، سكير، عربيد، زنديق...

أبو حنيفة: (**مقاطعاً**) حسان!.. بالله عليك تمالك نفسك، ما هذا الذي تقول؟!!

حسان: (**مواصلاً بنفس اللهجة**) نعم هذا ما أقوله! أنا سكير عربيد زنديق، وأنت رجلٌ شريف وعالمٌ وفقيه! كيف تأتي لإخراجي من السجن وقد علمتَ ذلك من قبل؟!

أبو حنيفة: عجباً ياحسان! ماكلُّ هذا الإطراء لشخصي، والتنقص والتشويه لشخصك؟!

حسان: هذه هي الحقيقة، أليس كذلك؟

أبو حنيفة: (**مشيراً بيده**) أرجوك ياحسان، أنت رجلٌ مؤمن، أقلع عن هذه الأفكار والوساوس! ثم ألسنا جيرانا منذ زمن طويل؟ ألسنا نتقابل كل يوم في نفس الطريق، وعند الباب، عندما نعود في المساء؟ أليس داري لصيق دارك، وبابي رصيف بابك، وعيالي أتراب عيالك؟ أنسيتَ ذلك يا حسان؟

حسان: لا، أفهم ذلك كله، لكني فقط أريد معرفة شيء واحد؟

أبو حنيفة: (**متنهداً**) لا إله إلا الله، وما هو ياحسان؟

حسان: كيف تتجشم المجيء والتماس إطلاق سراحي وأنت تعلم علم اليقين ما أنا عليه من الموبقات ومعاقرة المسكرات، وإقلاق راحتك كل ليلة عندما تخلو إلى ربك؟

أبو حنيفة: سبحان الله يا حسان! إذن مادمت مصراً، فلتعلم أولاً أنك جاري، والجار وخصوصاً القريب له حقوقٌ كثيرة على جاره، لعل من أيسرها ما قمتُ به، ثم ما ذكرته عن نفسك ليس نهايةً في حد ذاته!

حسان: (**منتبهاً إلى الملاحظة الأخيرة**) وكيف ذاك يا أبا حنيفة؟

أبو حنيفة: (**مؤكداً**) أقصد في ذلك، وأرجو أن تفهمني جيداً، أن رحمة الله ومغفرته أوسع مما تظن بكثير.. (**يصمت قليلا**) .. بإمكانك التوبة والإقلاع عما كنتَ عليه، يجب أن تعلم يابني أن الله يقبل التوبة عن عباده، وباب التوبة مفتوحٌ للمرء إلى أن يختم عمله وتخرج روحه، ولا تيأس من ذلك أبداً، يمكنك بدء حياة جديدة، وطيّ صحائفك السابقة، لأن التوبة تجبُّ ما قبلها، كما ثبت ذلك. هيا يا بني، لتذهب إلى زوجتك وأطفالك، فهم في أشد الشوق إلى لقائك.

حسان: (**ينهار إلى الأرض منتحباً**) لشد ما أشعر بالإثم والخطيئة لما فعلته في حقك!

أبو حنيفة: (**منحنياً إليه**) ما هذا يابني! لاحول ولاقوة إلا بالله، إنما أنا مخلوق من عرض مخلوقات الله! وإن كان هناك شيء فيجب أن تستغفر مما فعلته في جنب الله وتطلبه الصفح والعفو عن ذلك.

حسان: (**محاولاً تقبيل يده**) سامحني عما فعلته إزاءك، من إزعاجك في بيتك، ثم عنائك ومجيئك إلى هنا بسببي.

أبو حنيفة: (**بعطف وهدوء**) اطلب السماح والعفو من الله سبحانه، فإنه وحده هو الغفور الرحيم.

حسان: (**رافعاً رأسه**) إذن لتسمعني يا أبا حنيفة، ها أنذا أعاهد الله أمامك ثم أعاهدك على ألا أعود إلى شرب الخمر أبداً، وأن يكون آخر عهدي بها ما أُخذتُ بسببه.

أبو حنيفة: (**مبتهجاً**) بارك الله فيك ياحسان! هذا ما أمّلته فيك ورجوته من مجيئي إليك، ثبتك الله على ذلك.

حسان: (**ممتناً**) جزاك الله خيراً وشكر لك! سأطوي صفحة سوداء من تاريخ حياتي بفضل الله ثم بفضلك.

أبو حنيفة: اقبر تلك الأيام وابدأ حياة جديدة من الآن، وفقنا الله وإياك إلى صالح الأعمال! هيا يا بني، عيالك في انتظارك منذ غيابك المفاجئ لأكثر من أسبوعين.

(يخطوان بضع خطوات إلى الخارج.. يتوقف أبو حنيفة ويلتفت إلى حسان، ويقول بلهجة محببة، متوجة بابتسامة..)

أبو حنيفة: والآن، هل أضعناك يا فتى؟

حسان: (**يفهم الإشارة، وبلهجة واثقة**) لا، بل حفظتَ ورعيتَ، فجزاك الله لقاء ما صنعت يا أبا حنيفة!

(يخرجان)

المشهد السادس

(بيت حسان الإسكاف.. نشاهد باحة البيت الصغيرة الآنفة الذكر، نسمع طرقاً على الباب، تخرج زينب لفتح الباب، وإلى صدرها صغيرٌ كانت ترضعه، تصل إلى الباب وتسأل..)

زينب: نعم، نعم، من الطارق؟

(لا إجابة... تفتح الباب فإذا حسان...)

زينب: (**مندهشة**) واربّاه! حسان! زوجي العزيز!

حسان: زينب!! (**يحتويها**) لشد ما افتقدت رؤية هذا المحيا الجميل.

زينب: (**ناظرة إليه بعيون دامعة**) أكاد لا أصدق أنك عدت بعد هذا الغياب.

حسان: الحمد لله على ذلك! ها قد عدتُ الآن!

زينب: لكم أقلقني وعذبني غيابك، الحمد لله على رجوعك إلينا سليماً معافى من كل مكروه.

حسان: وأنا كذلك يازينب، لكم برّح بي بُعدي عنك وعن الأولاد، (**يأخذ الرضيع منها فيقبله**) لكم اشتقتُ إليك أنت أيها المزعج الصغير.. أين بقية الأولاد؟

زينب: في الدار. (**تناديهم**) عمرو.. سمية.. عديّ.. هيا يا أولاد هذا أبوكم قد جاء!

(**يأتي الأولاد جميعهم وهم يتخافتون**)

الأولاد: (**بصوت مختلط يشع بالبهجة**) يا إلهي! لقد عاد أبي! ها هو ذا أبي! ها هو ذا أبي!

حسان: (**منحنياً لهم**) آه، مرحباً يا أولادي، آه، الحمد لله! لقد قرت عيني برؤيتكم أخيراً بعد هذه المدة (**يأخذهم إلى صدره فيقبلهم**) مساكين لقد تسببت في معاناتكم (**يحيطون به. أحدهم يحاول تسلق ظهره، بينما ظلت البنت الصغيرة تتشبث بثوبه لكي يأخذها إليه**)

عمرو: (**أكبرهم**): أين ذهبت يا أبي كل هذا الوقت؟ لماذا لم تخبرنا أنك ذاهب؟ لقد خفنا عليك كثيراً، خاصة بعدما رأيت أمي تندبك بحسرة وتقول: واحساناه!

(**حسان ينظر إلى زينب بامتنان وإكبار، بينما بادلته نظرات ملؤها الوفاء وأومأت برأسها بأسى**)

عدي: سألت أمي عنك يا أبي فقالت: إنك سافرت إلى جدي بالكوفة. لماذا لم تأخذنا معك إذن؟

حسان: (**منتبهاً لسؤال الصبي**) آه، لا تقلق يا عدي، سآخذكم كلكم المرة القادمة إن شاء الله لتروا جدكم هناك.

(**بعد قليل ينصرف الأولاد**)

زينب: لم تخبرني ياحسان، أين اختفيت طوال هذه المدة؟

حسان: ألم يصلك خبر؟ لقد كنت في السجن، قبض علي العسس في تلك الليلة مع زمرة اجتمعتْ على باطل.

زينب: آه، لقد صدق ما سمعتُ إذن!

حسان: وهل سمعتِ عن ذلك؟

زينب: مجرد كلام يجيء ويذهب عن جماعة قليلة أخذهم العسس وصلني عرضاً أمس عندما كنتُ أواصل السؤال والبحث عنك في السوق.

حسان: (**يقترب منها ويقبل رأسها**) زينب، أرجوكِ سامحيني في كل ما أذنبته في حقك، لقد قدَّمتِ لي الكثير ولكني لم أقابل ذلك بالإحسان..

زينب: (**تتأمله**) حسان....

حسان: (**بحُرقة**) لقد أخطأت كثيراً، وتهجمت عليك مراراً، وقابلت نصحك بالسباب والشتيمة والكلام البذيء، خاصة عندما كنت أقارف تلك الخبيثة، الخمر.

زينب: حسان..

حسان: (**متوسلاً**) أرجوكِ اغفري ما ألحقته بك من أذى نفسي وجسدي، اغفري ما يتعلق بجانبك، فقد سويت ما بيني وبين الله وتبت إليه من السكر ومعاقرة الشراب. أرجوك سامحيني يا زينب. عفا الله عما سلف. لقد عزمت أن أحيا حياة جديدة.

زينب: (**بدموع الفرح**) حسان! هل صحيح ما أسمع وما تقول! الحمد لك يارب، لا إله إلا الله، سبحان الله ما أوسع رحمته وأبدع قدرته، إنه على كل شيء قدير!

حسان: (**بلهجته السابقة**) والآن أرجوك سامحيني، لن أرتاح حتى يطيب خاطرك تجاهي، وتندمل جروح نفسك من سوابقي.

زينب: حسان.. كيف أحمل عليك شيئاً وأنت زوجي وشريك عمري ورفيق دربي؟ (**تغالب دموعها**) كيف لا أسامحك وقد قضيت معك تسع سنين شاطرتك فيها مر الحياة وحلوها، ونعيمها وبؤسها، وسعدها وشقاءها (**تخنقها العَبرة**) لن تهون العشرة ياحسان...

حسان: (**يضمها إليه بحنو، ويقطع كلامه التأثر الشديد**) كنت أعلم، يازينب.. كنت أعلم أنك ستدفنين كل ما سبق، أنتِ.. أنتِ تيار من الحنان لا ينضب.. أنت نبعٌ صافٍ من الحب والمودة والسكن والتسامح، أنتِ رمز للرحمة والشفقة في هذا البيتِ الصغير. (**يرفع ذقنها الصغيرة بيده**) لأمرٍ ما يازينب.. لأمرٍ ما جعلك الله أمّاً!

زينب: يا الله، إنه يوم من أيام حياتي عندما عدت إليّ وإلى أولادك سالماً بعد أن كاد يقتلني الخوف على مصيرك الذي لم أكن أعلم عنه شيئا.

حسان: (**يمسح وجهها بيده**) كفكفي دموعك ياعزيزتي (**يصمت**)..... أتدرين كيف خرجت من السجن؟

زينب: (**تحاول استعادة لهجتها**) ماذا، هل جاءكم عفو من الأمير؟

حسان: لا، ليس عفواً من الأمير.

زينب: ماذا إذن يا حسان؟

حسان: لقد جاء شخص بعينه لإطلاقي من هناك! أتدرين من هو؟

زينب: يا للعجب، ليس لك أحد ذو بال في البصرة! من يا تُرى؟ أيكون الأمير بنفسه؟

حسان: لا، ليس الأمير، وستدهشين، إنه جارنا أبو حنيفة!

زينب: (**كمن تذكرت شيئاً**) آه، سبحان الله، فعلاً، لقد أرسل الجارية بالأمس لتسأل عنك، وتستطلع خبر غيابك، عجيبٌ حقاً، أيمكن أن يكون هو؟ أسعَى بنفسه لإطلاقك؟

حسان: نعم، يازينب، بكل هيبته ووقاره وورعه ودينه!

زينب: غريب! ولكن كيف أحس غيابك وأنت ليس لك صلةٌ به؟

حسان: (**بنظرة ذات مغزى**) ألا تعرفين؟ لقد افتقد أذاي وإزعاجي له كل ليلة!

زينب: أتساءل، إذا كان الأمر كما تقول، فيجب أن يرتاح لانقطاعك واختفائك!

حسان: هذا ما أراه فعلاً، لكن، لابد أن له مغزى كبيراً من حضوره لإخراجي! إنه رجلٌ عالمٌ فقيهٌ بعيد النظر، ولقد كادت الدهشة تعقل لساني عندما رأيته أمامي بشحمه ولحمه، يهشّ لي ويبشّ، وكأني صفيّه وخليله، ولست مجرد إسكافٍ سكيرٍ حقير! ولقد لمستُ منه سروراً عظيماً عندما أعلنت له توبتي.

زينب: جزاه الله بما هو أهله، إنه رجل صالح، وما جاء إليك إلا لينقذك من الخمر قبل أن ينقذك من السجن.

حسان: الحمد لله الذي أنقذني منها، وشكراً لله سعي أبي حنيفة في ذلك، وجعله هادياً للخطاة أمثالي!

زينب: الحمد لله أولاً وآخراً!

«ستار»

الهِمْيان

بقلم: د. وليد قصاب – سورية

(مسرحية من فصل واحد بثلاثة مشاهد)

المشهد الأول

(حي في قرية. المطر ينهمر غزيراً. والساعة متأخرة من الليل وإلى جانب الطريق انكبّ رجل في أواسط العمر فوق إناء قد تحطم شظايا، وانكفأ ما فيه من لبن على الأرض، وكان الرجل يتأمل اللبن المسفوح بوجه كاسف حزين، وهو يحوقل ويُرَجِّع).

الرجل: (**وهو يشير بيديه كأنه مذهول**) لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا حول ولا قوة إلا بالله، يارب، ما هذه المصائب التي تلاحقني من مكان إلى مكان؟ أكُتب عليّ أن يظلّ النحس مواكباً لي حتى آخر العمر.. اللهمّ لا اعتراض لحكمك وإني راضٍ بابتلائك.. ولكن ماذا أصنع الآن من أجل المرأة المريضة؟ من أين أحضر لها ما تتقوى به؟ ليس في جيبي قرش واحد، شريت لها بجميع ما ادخرته اليوم هذا اللبن الذي انسفح على الأرض.. (**تُفتح فجأة نافذة صغيرة من أحد البيوت المطلّة على الطريق ويبدو منها رجل وقور، سمع الجلبة في هذا الليل السّاكن، فأطلّ يستطلع الخبر.. فرأى الرجل على وضعه الغريب، وهو يغمغم بحسرة**).

الرجل: اللهم، قضاؤك لا يُرَدّ.. ساعد عبدك الفقير وهيّئ له من الأمر رشداً.

صاحب المنزل (**من النافذة وقد استبان له الرّجل**): ويحك أيها الرجل! ما بك؟ من أنت؟ وما هذه الضجة بعد منتصف الليل؟

الرجل (**يتنبّه مذعوراً إلى الصّوت، فيرفع رأسه باتجاهه**): من أنت؟

صاحب المنزل: أنا صاحب هذا البيت الذي أقلقت راحة أصحابه..

الرجل: إني آسف أيها السيد الكريم لا تؤاخذني، سأنصرف في الحال (**ينهض من إكبابته، ويهمّ بالانصراف**).

صاحب المنزل: ولكن ما بك يا أخي؟ ما قصتك؟ إن أمرك مريب، هل أصابك مكروه؟

الرجل: دعك الآن مما أصابني، وادخل بيتك لتنعم بالراحة والهدوء، بعدما سببّت لك ما سببّت من الإزعاج..

صاحب المنزل: حقاً.. إن أمرك غريب أيّها الرجل.. أخبرني يا أخا الإسلام: ماذا جرى لك.. لعلي أصنع لك شيئاً.

الرجل (**وهو يتطلع إلى صاحب المنزل في نافذته**) تصنع لي؟ ماذا تصنع لإنسان تعس يلازمه سوء الحظ أينما سار؟

صاحب المنزل: أيها الرجل! لقد شغلت بالي، وأثرت فضولي، وإني أقسم عليك لَتخبرنّي ما قصتك؟

الرجل: (**يطرق ولا يجيب**).

صاحب المنزل: إني نازل إليك. (**يختفي من النافذة، ثم يظهر بعد قليل أمام باب بيته**): تعال يا أخي.. كيف أطقتَ الخروج في هذا الجو البارد الممطر، لابد أن أمراً ذا بال حملك على ذلك، تفضل يا أخي..

(**يتردد الرجل قليلاً، ولكن صاحب المنزل يسحبه من ذراعه، فيدخل**).

المشهد الثاني

(صاحب المنزل والرجل في غرفة واسعة ذات فرش وثير توحي بيسار الحال، وقد جلس الرجلان متقابلين).

صاحب المنزل: أهلاً بك يا أخا الإسلام.. أرجو أن يكون رُوعك قد هدأ..

الرجل: (**على استحياء**) أشكرك أيها الرجل الطيب.. وأعتذر إليك مرة أخرى عن كل ما أحدثته لك من إقلاق في هذا الليل..

صاحب المنزل: لا تقل هذا يا رجل.. الناس للناس.. والآن أَرِحْ نفسك، وانفض عنها بعض ما يقلقك من الكرب..

الرجل: (**وقد انشرح صدره بحفاوة صاحبه**) أشكرك يا سيّدي، والآن دعني أنصرف، فقد تركت ورائي امرأة مريضة تنتظر عودتي على أحرّ من الجمر..

صاحب المنزل: (**بدهشة**) امرأة مريضة؟

الرجل: نعم، يا سيدي، إنها زوجي، خرجتُ ألتمس لها شيئا تتبلّغ به بعد أن نفد ما عندنا.

صاحب المنزل: (**مقاطعاً**) ها.. وماذا حصل؟

الرجل: خرجت بدانق ونصف، ما عندي غيرهما ألتمس لها شيئا من لبن بعد أن ساءت حالها واحتاجت إلى الغذاء.. ورحت أخبط في الظلمة والمطر حتى وافيت بائعاً أشفق عليّ، وأعطاني بتلك القطع بعضاً من اللبن.. وأعارني إناءً من الفخار جعلت ذلك فيه، ورحت أنطلق نحو زوجتي والدنيا لا تكاد تسعني من الفرحة.. وما إن وصلت إلى قرب منزلك حتى انزلقت قدمي ووقعت على الأرض، فانكسر الإناء.. وانكفأ جميع ما فيه..

صاحب المنزل: ما أعجب الدنيا حقاً.. أكل هذا الحزن الذي يطلّ من عينيك بسبب بعض اللبن؟

الرجل: أجل يا سيدي، بعض اللبن أحمله لامرأة مريضة هي في أمسّ الحاجة إليه، فقد أصابها الضر والجوع.. وأنا لا أملك من النقود إلا ما شريت به هذا اللبن، بل أنا الآن مدين للبائع بثمن الإناء الذي انكسر..

صاحب المنزل: حسناً يا أخي.. هوّن عليك.. سيحدث الله من بعد عُسر يُسراً.. والآن قل لي.. كأنك غريب عن هذه القرية!

الرجل: أجل ياسيدي، أنا غريب عنها.. لقد تركت بلدة سوء بعد عام نحس تتابعت عليّ المحن فيه..

صاحب المنزل: عام نحس!..

الرجل: نعم والله، لقد كنت امرأ موسراً، كنت تاجراً من التجار الكبار، ذا أموال كثيرة، وبضاعة عظيمة، فقصدت في بعض الأعوام إلى الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان معي في رحلتي تلك هِيمّان فيه دنانير كثيرة، وجواهر وفيرة تساوي ثلاثة آلاف دينار أو أكثر..

(**يتوقف الرجل عن الكلام**)

صاحب المنزل: (**مستحثاً وقد بدأ العجب يأخذ منه**) هيه.. ثم ماذا أيها الرجل؟

الرجل: فلما كنت في بعض الطريق نزلت لأقضي حاجة من حاجاتي فانحلّ الحزام الذي كنت أربط به الهِمّيان إلى وسطي، وسقط مني من غير أن أشعر به، ولم أتنبه إلى سقوطه إلا بعد أن قطعت بنا القافلة مسافة بعيدة جداً.

صاحب المنزل: (**وهو مايزال في دهشته**) أكمل أيها الرجل.. ثم ماذا؟

الرجل: لم أبال بثلاثة آلاف الدينار التي ضاعت مني على ضخامة هذا المبلغ وعظمه لأنني كنت موسراً وعندي من ذلك الكثير، ولم أفكر في الرجوع للبحث عن الهميان خشية أن أتأخر في الطريق فيفوتني الحج.

صاحب المنزل: (**في استغراق ودهشة**) هميان فيه ثلاثة آلاف دينار؟ إن ذا والله من العجب.

الرجل: أجل ياسيدي، لم أبال بهذا الهميان يَوْمَذاك، فقد كان عندي مال كثير وتجارة عريضة.. استدنت بعض المال من بعض رفقائي في الرحلة، فقضيت حجّي وعدت إلى بلدي.. وأمر الهميان أهون الأمور عندي.

صاحب المنزل: أهون الأمور! عجباً.. تقول كان فيه ثروة تقدَّر بثلاثة آلاف دينار؟

الرجل: نعم، كأنك لا تصدِّقني.. كأنك لا تصدِّق أن هذا الرجل البائس الذي رأيته يبكي منذ لحظات على إناء لبن انكفأ منه كان يملك في يوم من الأيام مثل هذه الثروة.

صاحب المنزل: (**في استغراقه**) أنت صاحب الهِمّيان إذن؟

الرجل: أجل يا أخي.. وإنك لمعذور إذ لم تصدّق.

صاحب المنزل: وما صفة هذا الهميان؟ هل تتذكر؟..

الرجل: (**باستغراب**) نعم، مازلت أتذكر.. كان هميانا من ديباج أسود..

صاحب المنزل (**يصيح بدهشة**): هميان (**من ديباج أسود**)؟ يا إلهي..

الرجل: عجباً لك يا أخي.. مازلت تأبى أن تصدقني.

صاحب المنزل: أبداً.. أبداً.. ولكنني مستغرب من أمر هذا الهميان.. والآن قل لي: ماذا حصل لك بعد ذلك؟

الرجل: تتابعت عليّ بعد عودتي إلى بلدي سنوات نحس، كسدت التجارة، وتلاحقت الخسارة، ورحت أفقد ثروتي شيئاً فشيئاً وكنت كلما عضتني الشدة في بلدة تحولت إلى أخرى لعلها تكون أكثر بركة وخيراً.. ولكن من غير فائدة، فقدر الله لا مهرب منه، وهو يلاحقني من مكان إلى مكان.. وأخيراً صرت إلى هذه القرية.. وقد ساءت أحوالنا كثيراً، مرضت زوجي مرضاً شديداً، ولم أعد أملك من حطام الدنيا شيئاً إلا دانقا أو دانقين أكسبهما في اليوم الواحد أحياناً.

صاحب المنزل: (**مبتسما**) والهميان.. أمازلت تفكر فيه؟

الرجل: لم أعد أفكر إلا في مرض امرأتي.. وأدعو الله لها بالشفاء.. والآن أستودعك الله يا سيدي.. لقد أزعجتك بصخبي في الليل، ثم بالحديث عن همومي وأحزاني (**يتحرك للنهوض**).

صاحب المنزل: (**يوقفه**) انتظرني قليلاً أيها الرجل (**ينسلّ إلى داخل المنزل تاركاً الرجل وحده مطرقاً بحزن، ثم يعود بعد لحظات حاملاً بيده صرة**) خذ هذا يا أخي فتدبّر به نفسك..

الرجل: ما هذا؟

صاحب المنزل: إنه بعضٌ من دين قديم.

الرجل: (**باستغراب**) دين!

صاحب المنزل: أعني أنه دين تردّه عندما تتيسر أمورك.. خذ يا رجل، ولا تتردد.

الرجل: (**يمد يده باستحياء**) شكر اللّه لك.. وأكثر من أمثالك..

صاحب المنزل: لا تشكرني يا رجل.. والآن.. هيا بنا نحضر امرأتك إلى هنا لتعنى بها النساء، فهن أخبر بشؤون بعضهن.

(يخرج الرجلان لإحضار المرأة المريضة)

المشهد الثالث

(الرجل وصاحب المنزل في الغرفة نفسها بعد مرور ثلاث سنوات على تلك الحادثة).

صاحب المنزل: والآن يا أخي.. نحن صديقان، منذ ثلاث سنوات.. وأنت اليوم تاجر كبير كما كنت في صدر حياتك.. ولّت أيام الشدّة وفرّج اللّه عنك.. فأجرى الخير في يديك.. وقد رأيت أنه آن الأوان لنتحدث في الدين القديم..

الرجل: (**مستغربا**) الدين القديم؟.. ماذا تعني؟

صاحب المنزل: عد بالذاكرة يا أخي إلى أيام زمان.. وحاول أن تسترجع بعض الأحداث.

الرجل: أيّ أحداث تعني؟

صاحب المنزل: الهميان..

الرجل: الهميان!

صاحب المنزل: أجل.. كنتَ في رحلة إلى الحج، وكان معك هميان فيه دنانيرك وجواهرك الثمينة.. أليس كذلك؟

الرجل: (**في حالة استغراب**) بلى..

صاحب المنزل: وكان الهميان من ديباح أسود.. أليس كذلك؟

الرجل: بلى.. بلى.. ولكن.

صاحب المنزل: (**مقاطعا**) ضاع منك الهميان في تلك الرحلة؟

الرجل: أجل.. أجل.. ولكن ما لنا وهذا الحديث.. وما علاقته بدين سويناه منذ مدة؟

صاحب المنزل: الهميان دين لم نُسَوِّه.

الرجل: الهميان.. الهميان.. إنك لا تفتأ تتحدث عنه بين الحين والآخر.

صاحب المنزل: كان من ديباج أسود.

الرجل: ذلك عهد مضى.. ما الذي أذكرك به الآن؟

صاحب المنزل: (**يمد يده إلى صدره فيخرج شيئاً**) أنا لم أنسه يوماً، خذ هذا وانظر إليه، أليس هو هميانك القديم المفقود؟..

الرجل: (**يتأمل مذهولاً في هميان دفعه إليه صاحب المنزل**) بلى والله! إنه هو.. أهدتنيه أمي ذات يوم، وهذا أول حرف من اسمي عليه.. يا إلهي.. أهذا معقول؟ أيكون هذا همياني الذي فقدته منذ سنين؟

صاحب المنزل: إنه هميانك يا أخي.. عثرت عليه منذ سنوات بعيدة، ولم أقصر في البحث عن صاحبه.. ولكن من غير جدوى.. فاحتفظت بقسم مما فيه عندي، واستثمرت القسم الآخر في التجارة حتى ربا ونما وصار ببركة الله ثروة طائلة...

الرجل: (**غير مصدّق**) ماذا تقول؟

صاحب المنزل: حتى كانت تلك الليلة التي التقينا فيها.. وحدّثتني ما حدّثتني من أمر الهميان وصفته فعرفت أنه هميانك، وعرفت أنك الرجل الذي أبحث عنه منذ سنين كي أدفع إليه حقه..

الرجل: (**وهو مأخوذ من الدّهشة**) ولماذا لم تحدثني بذلك عندما التقينا منذ ثلاث سنين؟

صاحب المنزل: كدت أفعل.. بل هممت أن أدفع إليك مالك وقد رأيت ما رأيت من سوء حالك، ولكني خشيت أن تقتلك الفرحة الزائدة وأنت في هذا الكرب، كما خشيت أن يكون سوء الطالع مايزال ملازماً لك، فيذهب المال بَدَداً.. فآثرت أن أدفع

إليك شيئاً وراء شيء حتى عرفت أن وجه الدهر بدأ يبتسم لك، وأن فرج الله قد عاد يغمرك من جديد.. والآن يا أخي! هذا هميانك بارك الله لك فيه.. ولك في تجارتي حظ كبير أقسمه لك..

الرجل: (**مذهولاً**) اللهم لك الحمد.. أهذا معقول؟

صاحب المنزل: كل شيء معقول.. أحمدُ الله أنْ ردّ عليك ما ضاع منك، وأحمدُ الله أن أعانني على حفظ الحق وردّه إلى صاحبه..

«ستار»

الرضا

بقلم: فيصل يوسف غمري – السعودية

(مسرحية من فصل واحد ومشهدين)

المشهد الأول

(حجرة الطعام ذات أثاث فخم ينم عن ثراء أهل المنزل..«سليم» الأخ الأكبر – وهو شاب في السابعة والعشرين من العمر – جالس يتناول إفطاره بمفرده.. يوجد باب آخر ناحية اليسار.. الوقت قبل الظهر بقليل)

سمير: أخيرا استيقظت حضرتك؟ هل تعلم كم الساعة الآن؟

سليم: يا أخي ألق السلام أولا ثم قل: صباح الخير.

سمير: صباح الخير يا سيدي.. (**يسحب أحد الكراسي ويجلس عليه**)

سليم: أين السلام؟ أين تحية الإسلام؟

سمير: يا ساتر على العقد والرجعية التي تغرق فيها، يعني ما هو الفرق بين صباح الخير والسلام عليكم؟ كلها تحية .(**يقولها بسخرية**)

سليم: لا، طبعا هناك فرق بينهما، ثم أنا حذرتك مرارا من السخرية بالأمور الدينية والنظرة إليها بعين السخرية وإن كانت صغيرة في نظرك.

سمير: هل لي أن أعرف متى سوف تنتهي هذه المحاضرة؟

سليم: لن تنتهي حتى تتعلم أمور دينك..

سمير: أمور ديني؟ مباشرة سميت هذه التوافه أمور ديني؟ هل أنا مفرط في ديني لمجرد أني لم ألق السلام على حضرتك؟

سليم: أولا هذه ليست توافه، ثانيا أن من لا يهتم بصغائر أمور الدين لن يهتم بكبيرها.

سمير: كل هذه المواعظ لأني سألتك لماذا تأخرت في الاستيقاظ اليوم؟ طيب يا سيدي لا أريد أن أعرف. (**يهم بالخروج من الغرفة**)

سليم: انتظر قليلا ولا تغضب.. تأخرت في الاستيقاظ لأني كنت سهرانا إلى ساعة متأخرة من الليل.

سمير: ما شاء الله.. يعني حضرتك سهران طوال الليل، وعندما يكلمك أحد تجيبه بالمواعظ! أين كنت طوال الليل يا أستاذ مواعظ وحكم؟

سليم: (**بحزم**) يا سمير لا تنس أني أخوك الكبير، وينبغي لك أن لا تكلمني بهذه اللهجة.

سمير: (**بضيق مع سخرية**) حاضر، أين كنت يا أخي الكبير يا قرة عيني؟

سليم: (**يجيب مباشرة وكأنه لم يفطن لأسلوب السخرية**) كنت في المطار.

سمير: في المطار؟ لماذا؟

سليم: كنت في وداع أبينا. فهو لم يسافر إلا في ساعة متأخرة.

سمير: ماذا؟ أبي سافر؟ أين؟

سليم: طبعا، وكيف لك أن تعلم وأنت طوال الليل والنهار خارج المنزل. على أي حال أبي سافر ليتمم صفقة تجارية خاصة بالشركة.

سمير: يعني المفروض أن أظل جالسا في البيت لا أبرحه، وأراقب كل فرد في البيت: من الذي سافر، ومن الذي لم يسافر، أليس كذلك؟

سليم: لم أقل ذلك. لكن ينبغي أن لا تظل أكثر أوقاتك خارج المنزل خاصة مع هذه الصحبة السيئة..

سمير: (**بغضب وحدة**) أعتقد أني لست قاصرا، ولست بحاجة إلى النصح من أحد.

سليم: أنا لست أحدا.. أنا أخوك الكبير، ويهمني مصلحتك.

سمير: (**بتذمر**) أف.. أخي الكبير.. أخي الكبير!!

سليم: (**ممازحا**) ماذا تفعل؟! هذا قدرك أن تولد بعدي بعامين.

سمير: (**يبدو مستغرقا**) القدر.. هذه الكلمة.. لو أن لي تغيير القدر..

سليم: استغفرِ الله العظيم، ما هذا الكلام الذي تقوله؟

سمير: هه.. لا شيء.. لا شيء

(يسيطر الصمت هنيهة من الوقت على المكان)

سمير: هل يستطيع الإنسان أن يغير من مجرى حياته؟

سليم: لا أفهم! ماذا تقصد؟

سمير: أقصد هل أستطيع أن أصنع شيئا يجعلني شخصا آخرا.. سمير.. لكن بشكل آخر.

سليم: لا أفهم!!

سمير: (**بعصبية**) أنت لا تعرف سوى كلمة لا أفهم؟

سليم: هل تقصد أنك اكتشفت أخيرا أنك كنت مخطئا في طريقة حياتك وفي اختياراتك لأصدقائك، وتريد أن ترجع إلى الطريق الصحيح؟ والله لنعم الرأي هو.

سمير: (**ينظر إليه شزرا وكأنه يتهمه بالغباء**) قلت لك مرارا: ليس لك شأن بحياتي الخاصة وتصرفاتي الشخصية، فأنت لست وصيا علي. أنا لم أقصد هذا بالمرة، وإذا أردت أن أفعل ما قلت فلن آخذ منك المشورة.

سليم: حيرتني معك.. ماذا تريد أن تقول إذن؟

سمير: اسمع.. ألسنا إخوة أشقاء؟

سليم: أعتقد هذا!

سمير: بدون سخرية لو سمحت.. أجبني ألسنا أشقاء؟

سليم: نعم

سمير: جميل جدا.. هل نحن متشابهان؟

سليم: أعتقد هذا..

سمير: ثانية!!

سليم: أقصد نعم، بيننا شبه كبير.

سمير: (**يهب واقفا**) لا. نحن لا نشبه بعضا.. تعال وانظر بنفسك (**يأخذ أخاه ويقفان أمام المرآة**) صحيح أن بيننا ملامح مشتركة ولكن انظر للون بشرتك..

سليم: بيضاء..

سمير: وأنا؟

سليم: سمراء..

سمير: وأنت شعرك بني، وأنا شعري أسود فاحم، وليس بجودة وجمال شعرك..

سليم: (**.. كالمشدوه من كلام أخيه لا يعرف كيف يرد عليه!!**)

سمير: هل بإمكانك أن تخبرني ما سبب ذلك؟!

سليم: (**ينظر إلى أخيه والدهشة ما زالت مستقرة على وجهه**) أعتقد من الطبيعي جدا أن يكون هناك أخوان أحدهما أسمر والآخر أبيض خاصة إذا كان الوالدان كذلك، فأنت إذاً كنت أسمر لأنك أخذت لون الوالد.

سمير: ولماذا لم يحدث العكس؟

سليم: ماذا تقصد؟

سمير: (**بسخرية**) ماذا أقصد؟ أقصد لماذا لم تكن أنت صاحب البشرة السمراء وأنا صاحب البشرة البيضاء؟ أي لماذا لم تكن أنت أنا وأنا أنت؟!!

سليم: لأن الله عز وجل أراد ذلك. ثم قل: منذ متى والرجل يقيم بلونه أو بشكله؟ الرجولة تقاس بالخلق الفاضل والشخصية القوية المتزنة، والأهم من هذا وذاك تقواه وخوفه من الله عز وجل. ثم إن مسألة الألوان والأشكال هذه بيد الله وحده، ليس لنا فيها أي تصرف أو محاولة للاعتراض.

سمير: كلام.. كلام.. لا آخذ منك سوى الكلام والنصائح فقط.

سليم: ماذا تريدني أن أقول لك إذن؟

سمير: قل لي إني أستطيع أن أغير لون جلدي إلى البياض مثلا..

سليم: (**يضحك**) لا أدري لماذا أنت مهتم بهذا الموضوع كل هذا الاهتمام!؟

سمير: لماذا تضحك بهذا الشكل؟ هل في كلامي ما يضحك؟

سليم: لل، ولكن شر البلية ما يضحك..

سمير: هل أنا بلية؟

سليم: لا، ولكن البلية هي طريقة تفكيرك.

سمير: غدا سوف ترى أن طريقة تفكيري هذه والتي تسميها أنت بلاء ما هي إلا التفكير الملائم للعصر الحديث، عصر العلم، غدا سوف ترى أن الإنسان بالتقدم العلمي سوف يغير الكثير من المفاهيم التي ورثتها وترددها بلا عقل، غدا لن يقف أي شيء أمام العلم والتقدم.

سليم: (**غاضبا**) استغفرِ الله العظيم، سمير هل جننت؟ ما هذا الهذيان؟ إن العلم والتقدم بدون إرادة الله لن يفيد الإنسان بأي شيء، والعلم لن يكون له أي قيمة إذا تجرد من الدين والأخلاق، وعندها سوف يكون نقمة على بني آدم لا نعمة.

سمير: (**بامتعاض**) عدنا للكلام مرة أخرى.. والله لا أدري من منا الذي يهذي.

سليم: أستغفر الله العظيم.

سمير: استغفر أنت كما تشاء، وأنا سأفعل ما أشاء.

سليم: أستغفر الله العظيم.

المشهد الثاني

(عيادة طبيب أمراض جلدية، الدكتور المعتز بالله أحمد، سمير نائم على السرير والدكتور معتز يكشف عليه خلف الساتر القماشي، لوحة معلقة على الحائط مكتوب عليها الآية الكريمة ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾، الوقت: الساعة الخامسة مساء، باب العيادة من الناحية اليمنى من المسرح.)

د. معتز: (**يظهر من خلف الساتر متجها نحو مكتبه**) تفضل يا سمير تستطيع أن تأتي إلى هنا.

سمير: (**يظهر من خلف الساتر كذلك وهو يصلح من هندامه**)...

د. معتز: ما شاء الله صحتك في حالة جيدة، وكذلك جلد بشرتك في أحسن ما يكون.

سمير: لكن يا دكتور أنا أشكو من جلدي.

د. معتز: تشكو؟ تشكو من ماذا؟ هل تحس أنك ترغب في هرش جلدك باستمرار؟

سمير: لا.

د. معتز: هل عندك حساسية من طعام معين؟

سمير: لا.

د. معتز: من رائحة معينة؟

سمير: لا.

د. معتز: (**يبتسم**) إذن ما الذي جاء بك إلى هنا؟

سمير: (**ينظر برهة وهو صامت**).. دكتور.. ألست صديقا لوالدي منذ زمن؟

د. معتز: هـه.. فهمت، أنت هنا كي تسلم علي، والله، جزاك الله كل خير، لكنك لو أخبرتني من قبل لكنت وفرت عليك مشقة الصعود إلى سرير الكشف والنهوض عنه، ولكنت أرحتني أنا أيضا (**يضحك**).

سمير: طبعا يسرني رؤيتك والسلام عليك، لكني جئت إليك اليوم لسبب آخر غير السلام فقط.

د. معتز: خير إن شاء الله.

سمير: لم ترد على سؤالي.. ألست صديقا لوالدي منذ زمن؟

د. معتز: منذ مدة ليست بالقصيرة وأنا أعرف والدك، والحق هي معرفة خير يفخر الإنسان بها.

سمير: إذن تعرف عنه كل شيء تقريبا، أليس كذلك؟!

د. معتز: انظر يا سمير، مهما كنت صديقا حميما لشخص ما لا بد أن يكون هناك أشياء لا يحب هذا الشخص أن يظهرها لك. فلا يوجد إنسان يفضل أن يكون كتابا مفتوحا للجميع.

سمير: أنا أعرف هذا بالطبع، ولكن أقصد أنك تعرف أنه تاجر ناجح، ويمتلك ثروة كبيرة.. أليس كذلك؟!

د. معتز: نعم، ما شاء الله تبارك الله.

سمير: الإنسان يستطيع شراء أي شيء بالمال.. صحيح؟!

د. معتز: ليس كل شيء.. هناك أشياء لا تشترى بالمال. كالسعادة مثلا، لا يستطيع الإنسان الحصول عليها بالمال، ولكنها تتحقق بالرضا.

سمير: (**يتمتم**) يا ساتر! إنه يتكلم مثل سليم.

د. معتز: ماذا؟

سمير: لا شيء.. لاشيء. (**دقائق صمت يبدو فيها سمير مطرقا يفكر**)

سمير: أنت طبيب أمراض جلدية.. أليس كذلك؟

د. معتز: (**مبتسما**) ما رأيك أنت؟

سمير: أقصد بما أنك طبيب أمراض جلدية أريد أن أستشيرك في أمر بخصوص الجلد البشري.

د. معتز: تفضل.

سمير: هل يستطيع الإنسان أن يغير لون جلده؟

د. معتز: (**يبدو كأنه لم يستوعب السؤال**) ماذا؟

سمير: أعني هل يستطيع الإنسان الأسمر أن يصبح أبيض، والأبيض أسمر؟

د. معتز: في الحقيقة.. مع التقدم العلمي والتقني المذهل في مجال الطب أصبح ذلك ممكنا علميا لكنه أمر مكلف ماديا.

سمير: وإذا وجدت السيولة المادية الكافية؟

د. معتز: يأتي هنا دور الضمير والأخلاق.

سمير: (**ساخرا**) ما دخل الضمير والأخلاق بلون جلدي؟

د. معتز: (**ينظر إليه مستنكرا عليه الطريقة التي تكلم بها**) كيف تقول ذلك؟ إن الجسد ما هو إلا أمانة أعطانا الله عز وجل إياها فينبغي علينا المحافظة عليها وعدم العبث بها، والإنسان الذي يغير في جسده بلا ضرورة يعتبر قد خان الأمانة.

سمير: ألم تقل منذ قليل: إن العلم تقدم وأصبح الإنسان قادرا على فعل ما لم يستطع فعله سابقا.

د. معتز: هذا صحيح.

سمير: وإن المشكلة فقط في التكلفة المالية..

د. معتز: لا، أنا لم أقل هذا، أنا قلت: إننا حتى لو استطعنا تجاوز عقبة المال فلن نستطيع تجاوز الضمير الحي الذي هو المحرك والقائد لكل شؤوننا، فالعلم مهما تقدم ومهما بلغت براعة الإنسان سيظل مرتبطا بالضمير والأخلاق. وأما إذا انفصل عنهما فيكون قد وصل إلى قمة الجهل والضلال.

سمير: (**يبتسم بخبث**) إذن الحل أن ينسى الشخص ضميره.. أو يقتله ويرتاح. المهم أن يصل إلى مبتغاه.

د. معتز: (**مندهشا من الكلام الذي يسمعه**) هذه قضية أخرى، فإذا انعدم الضمير فقل: على الدنيا السلام!.

سمير: (**لا يبدو عليه الاقتناع بما يسمع**)..؟؟

د. معتز: لكن لماذا أنت مهتم هكذا بهذا الموضوع؟

سمير: (**متلعثما**) لا.. لا شيء.. لا شيء. (**صمت**)

سمير: لكن يا دكتور: لو عرض عليك شخص ما مبلغا كبيرا من المال مقابل أن تقوم بتغيير لون جلده بدون أي سبب من الأسباب التي تسميها حتمية.. فقط لأنه يريد تغيير لونه، هل تقوم بذلك؟

د. معتز: بالطبع لا، فأنا لو قمت بذلك أكون قد خنت ديني ورسالتي الطبية، وكما قلت لك: الإنسان لا يستطيع شراء كل شيء بالمال ومنها الضمائر الحية.

سمير: (**يطرق مفكرا ولكن ما زالت علامات عدم الاقتناع مرسومة على وجهه**) لكن العلم في خدمة الإنسان وتحت تصرفه.

د. معتز: نعم، لكن العلوم والإنسانية كلها تحت تصرف الضمير والمبادئ الإسلامية التي تحرم العبث في خلق الله.

سمير: (**يبتسم**) يعني لا فائدة..؟

د. معتز: لا فائدة من ماذا؟

سمير: لا شيء.. أعتقد أني مضطر للسفر للخارج كي أغير.. آآ.. هواء!

د. معتز: متى؟

سمير: لا أدري.. ربما غدا أو بعد غد.

د. معتز: تسافر وتعود بالسلامة إن شاء الله.

سمير: مع السلامة.. (**يودعه ويخرج**).

د. معتز: (**يفكر بصوت مسموع**) غريب جدا أمر سمير هذا، إنه يفكر بطريقة تدعو إلى القلق.

(يظلم المسرح تماما ثم بعد قليل يضيء نور خافت ويظهر سليم و د. المعتز بالله.. لا يوجد أي أثاث على المسرح، فقط خلفية سوداء مظلمة).

سليم: لقد مات..

د. معتز: لم يحتمل جسده سرطان الجلد.

سليم: لقد مات..

د. معتز: كان عنيدا في آرائه لا يستمع لكلمة ناصح.

سليم: لقد مات..

د. معتز: لقد أخبرته أن الإنسان لا يستطيع شراء كل شيء بالمال فلم يستمع لي.

سليم: لقد مات..

د. معتز: لن يفيد الكلام الآن.. الله يرحمه ويغفر له.

سليم: لقد مات.. (**يرتفع صوته في البكاء وهو يردد**) مات.. مات.. مات.. (**صمت.. ويظلم المسرح تماما**).

(**صوت مقرئ للقرآن يرتل الآية الكريمة:** ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ (البقرة).

«ستار»

الغلام الصدوق

بقلم: حيدر مصطفى – سورية

(منظر الوالد مع ولده في غرفة متواضعة)

الوالد: هل أحضرت كتبك وأمتعتك يا بني؟أسأل الله لك التوفيق والسداد. لاتنس يابني أن تأخذ معك هذه الآية التي كتبتها بخطي

الغلام: اللّه ما أروعها..!!(**يقرأ الآية**) ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ (طه)، (**ينشد**):

رب زدني منك علماً	واحبني فضلاً وفهماً

الوالد: ولاتنس ذكر الله أينما كنت، ففي ذكره أمان لروحك واطمئنان لقلبك (**يتلو الآية**):﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ (الرعد).

الغلام: سيكون ذلك دأبي إن شاء الله يا أبت، (**ينشد**):

وكما علمتني منذ الصغر	عن إلهي خالقي رب البشر
سوف أدعوه بقلب خاشع	دامع الليل إذا الليل اعتكر

الوالد: هذا عهدي بك يابني(**ينشد**):

ياوقاك اللّه ربي	في النوى من كل كرب
ورعاك اللّه دوماً	سالماً من كل خطب

(**ويتابع**) هذه أربعون ديناراً، لتستعين بها في حلّك وارتحالك.

الغلام:

شكراً على ما قدمتَ	لي في الزمان يداكا
من مازن بين الورى	من مازن لولاكا

الوالد: (**في ساعة الوداع، ولحظة الفراق**) سافر في أمان الله يابني، وعاهدني ألا تعمل عملاً يفسد عليك دينك ودنياك، وإياك والكذب فإنه بئس الخلق (**ينشد**):

احـــذر مـــن الـكـــذب والــلـــهـــو والــلـعـــبِ
واصـــدق بـقـولـك، كم في الـصـدق مـن أدبِ
وانـــبـــذ هـــوى الـدنـيـــا ومـــراتـــع الـطـــربِ
فـــزخـــارف الـدنـيـــا تـفـضـي إلى الـعـطـبِ
وكـــذاك أنـفـسـنـــا تـهـفـو إلى الـريـــبِ

الغلام: (**يعاهد أباه ويشد على يده**) سأكون عند ظنك يا أبت، (وينشد):

كـيـف لا أحـفـظ عـهـداً كـيـف لا أصـدق وعـدا؟
كـي أرى خـيـراً عـمـيـمـاً وأرى الإيمـــان شـهـدا

المشهد الثاني

(ينطلق الغلام مع إحدى القوافل المسافرة إلى البلدة التي سيتعلم فيها. القافلة في الصحراء. صوت رياح تهب عاصفة من كل جانب).

أحد المسافرين: رأيتك بيننا منذ بداية رحلتنا، فإلى أين تزمع السفر يابني..

الغلام: أطلب العلم في مظانه ياعم..

المسافر: أنت لازلت صغيراً!.

الغلام: صحيح، ولكن؛

الـعـلـم في الـصـغـرْ كـالـنـقـش في الـحـجـرْ
والـعـلـم في الـكـبـرْ كـالـرقـم في الـنـهـرْ

الـــعـــلـــم أنــــــــوار	تحـيــا بــهــا الـبـشــــرْ
والجــــهـــــل لايـبـقـــــي	شــــيــئـــاً ولايـــــــــذرْ

ثم إن الإنسان ياعم لا يقاس بجسمه، أليس كذلك؟.

المسافر: آه.. حقاً حقاً .. إنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه.. ولكن قل لي: ما العلم الذي تطلبه؟.

الغلام: حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المسافر: نِعْمَ ماطلبت (**يتجه بنظره إلى السماء**) اللهم وفق هذا الغلام..

الغلام: أشكرك ياعم، وحفظ الله لك أولادك وجعلهم من الصالحين.. (**يسمعان صياحاً وجلبة**) ماهذا؟ ماذا جرى؟.

المسافر: إنهم لصوص.. حسبنا الله ونعم الوكيل.

نـحـن نـحـيـا ـفي زمـــان	مــــارأت عـيـنـاي مـثـلَــهْ
عـصـرنـا عـصـر غـريـب	أيــن عـصـر الـطـهـر قبلَهْ
يـــوم كـنــا ـفي أمـــــان	نـلـبـس الإيمـــــان حـلَــهْ

(**اللصوص يحيطون بهم من كل جانب وفي أيديهم السلاح..**)

أحد اللصوص: قفوا، وإلا أتينا عليكم جميعاً، لا أحد يتحرك!.

أحد المسافرين:

أيــهـــا الـــقـــوم رويــــدا	قــد رأيـــت الأمـــر جــدا
عـصـبـة لـلـشـر جـــاءت	تـبـتـغـي نـهـبـاً وكـيـــدا
وبـنـــا هـــا قـــد أحـاطـت	ضـربـت بـالـظـلـم سـدا
أحــدقــت فـيـنـا وإن لــم	نـحـكـم الأمـــر سـنـردى

اللص: (**يتقدم قليلاً**)، ماذا لديكم من مال ومتاع؟ هاتوا كل ماعندكم..

المسافر: ليس لدينا شيء تأخذونه!!.

اللص:

أيــهــا المــســكـين لا تنــ　　　طــق بــذا الــيــومِ جزافــا

فــتــبـصــر نــحــن لسـنــا　　　أغــبــيـــاء أو عــجـافــا

هـــات مـــاعــنــدك عـجــل　　　إن أردت الإنــصـــرافا

(ويقترب من الولد، ويشير إليه مستصغراً شأنه وسنه ويقول:) وأنت أيها الغلام ما معك؟.

الغلام: معي أربعون ديناراً..

اللص: هيه! طفل صغير عنده أربعون ديناراً.. ياللعجب..!

أنـــت لا تــعــرف مـــا يجــ　　　ــــري يمــيـنــاً وشــمــــالا

ربمـــا ذقـــت عــلـــى الأيـــ　　　ـــــدي وبــــــالا ونــكـــــالا

(وينصرف وهو يهزأ بالولد)

لص آخر: أصحيح أن معك أربعين ديناراً؟.

الغلام: نعم، معي أربعون ديناراً..

اللص: تعال معي إلى زعيمنا..(**يخاطب الولد**)

كــدت تـخـفـي الحــق لكن　　　أنـطـق الخــوف لســانَـكَ

إن في قــولــك مــايغــ　　　ــري فــزدني مـن بيــانِـكَ

الغلام: (**يمشي معه مرفوع الرأس وهو ينشد**):

الـــرؤى كـانـت لعيـنَـيَّ تـلـوح　　　وبقـايا العطر مـازالـت تفوحُ

أنـــا يــا ربــاه طـفـل وفــؤادي   بعظيم الـكـرب يــارب يبــوحُ

اللص: (**مخاطبا زعيم العصابة**) إن هذا الغلام يملك أربعين ديناراً (**وينشد**):

أتــــرى جـــاوز حـــدا   زاعــمـــاً حـصــراً وعـــدا

فـــادعـــى مــــالاً كـثـيــراً   وافـــترى إفـكـــاً مـعــدا

زعيم العصابة: ياغلام! أتقول حقاً؟.

الغلام: (في جرأة):

أنــــا لا أكــــذب يـومــــاً   أو أخـــاف الـنـاس ظلما

لـسـت أخـشـى في إلـهـي   مـن مـقـال الـنـاس لَوْمـا

وأبــــي عـــاهــدت قبـــلاً   أن أقـــول الحــق دومـــا

(**ويتوجه إلى زعيم العصابة خاصة منشدا**)

هــــــددوني أرهــبــونــــــي   أطـفـئـوا نـــور الـعـيـــون

ازرعـــوا الــرعــب فـأنـتــم   دون أخـــــلاق وديـــــن

فـــمـعـــي رب قـــديـــر   إن ذا لـــب يـقـيـنـــي

زعيم العصابة: (**ينظر إلى صاحبه**) عجيب أمر هذا الغلام، (**ويشير إلى الغلام ساخراً**): فأين هي الدنانير إذاً؟.

الغلام: هذه هي في جيبي (**يخرجها من جيبه ويمسكها بحزم، ويبدي عدم ارتياح للسؤال**):

أيــهـــا الــلــص تـدبـــر   بـــالـــذي تـنـويـه واحـــذر

إن رب الــكـــون أقـــوى   مـــنـــك يـــالــص وأكـبــــر

(**يندهش الحاضرون بما فيهم زعيم العصابة، ويتهامسون فيما بينهم**) يا له من

غلام شجاع..! يا له من غلام شجاع..! يا له من غلام شجاع..!..

زعيم العصابة: أيكون معك هذا المال وتخبرنا به؟ ما الذي حملك على هذا؟! أما كان بوسعك أن تكذب لتنجو؟!

الغلام:

إنما الصدق نجاة للورى وبه نعلو على هام الذرا

فلنقل صدقاً نفز في جنة هكذا رب الورى قد أخبرا

ولقد عاهدت أبي ألا أكذب أبدا..

إنما أخشى إلهي فهو عوني وهو جاهي

وهو عنوان خلاصي في الدنا رغم الدواهي

(يهتز زعيم العصابة لكلمات الولد ويقشعر جلده لها، ويظهر على وجهه التأثر، وعلامات الندم، وتملأ الدموع عينيه)..

(يتابع الغلام): أيها الرجل:

لاتكن مثل الطغاة الجائرينْ أو تكن مثل العصاة الغافلينْ

واحذر المولى تكن في الصالحينْ أو غير الله رب العالمينْ؟

زعيم اللصوص:

أيها الطفل أجبني ومن القرآن زدني

اسقني الكأس مليا وإلى ظلك خذني

(يقبل إليه تائباً)

آه لو تعلم ما عا نيت في دربي الطويلْ

آه لو خففت حملي ذلك الحمل الثقيلْ

(**ويتابع**):

في حيـاتـي صـفـحـات   مـن حـكـايـات الـشـقـاءِ

لـيـتـنـي يـاطـفـل أغــدو   في عــداد الــسـعــداءِ

(**ويكمل منشدا**):

يــا لــهـا رحــلــة عـمــر   قــرحــت جـفـنـي طـويـلـةْ

تـعـسـت تـلـك الـدنـايـا   والأمـــانيُّ الـهـزيـلــةْ

الغلام: (**وعلى ثغره ابتسامة الفرح**):

أيها العائد إن الله أولى أن يطاعا   اهزم اليأس تقرب لترى ذاك الشعاعا

(**ويتابع**):

واتـــق الله وأقـبـــلْ   تجــد الــكــون رواءَ

إن نـــور الله ربــي   أيـنـمـا كـنـت أضـــاءَ

زعيم اللصوص: (**وهو ينظر إلى عصابته**):

إن هــذا الـطـفـل حقـاً   لم يخن في الغيب عهـدَهْ

وأنــا مـن أخـلـف الآبــا   ء والأجـــداد وعـــدَهْ

ومـشـى في الــدرب حتى   أبـصـر الـتـيـار ضــدَهْ

(**يبكي وينشد**):

رب واشـمـلـنـي بعفـوك   وتــداركــنــي بـلـطـفـكْ

صـوت يـتـلـو: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ (الزمر:٥٣).

زعيم اللصوص:

يالها من ساعة نالّ قلبي ... في ثنايـاهـا مــرادَهْ

ذاق فيها كل طعم مستطاب ... سيما طعم السعــادَةْ

الغلام:

ذلك الفضل من اللّه علينا ... وعلى الناس جميعا

فاز واللّه بجنات خلود ... من أتى اللّه مطيعا

اللص التائب:

ليت شعري كيف عشت ... الدهر في بحر الضياعِ

تاه في لجة هذا الـ ... عمر ياصحبي شراعي

أنا لولا اللـه ربي ... ما اهتدى للنور قلبي

ثم هذا الطفل من بيـ ... ن جميع الخلق صحبي

(يلتف الجميع حول الغلام):

ذاك أن الطفل صادقْ ... لم يداهن أو ينافقْ

أو يخف لومة لائمْ ... لو هوى من فوق شاهقْ

الغلام:

أحمد اللّه تعالى أن هداني ... لطريق الخير دوماً في زماني

الجميع:

ولك اللهم حمدا

خالصاً قبلاً وبعدا

خالصاً قبلاً وبعدا

«ستار»

السعادة.. وبائع الوهم

بقلم: علي محمد الغريب – مصر

(مسرحية من فصل واحد..)

(في دوامة السباقات العلمية المحمومة، هل تتفوق المادة على الروح؟ وهل سيقنع الإنسان عند وصول نقطة معينة؟ أم أنه سيكون كالذي يشرب من ماء مالح فما يزيده ذلك إلا ظمأ؟!)

المنظر: (سوبر ماركت «كل الإنسان» لبيع قطع غيار الإنسان.. المكان يعج بالزبائن يقلبون في البضائع دون كلام.. نرى أناسا يدخلون ويخرجون طوال العرض دون كلام.. في ركن من المسرح نجد محصلاً جلس خلف مكتبه وأمامه حاسبة النقود، ليحاسب المشترين. نرى أحد البائعين أمسك (ميكروفوناً) وأخذ في عرض ما لديهم من البضائع).

* * *

البائع: قرِّب، قرِّب، تعال هنا عندي.. قرب، قرب، تعال، لا تفكر ولا تحتار، عندي أروع تشكيلة وصل إليها العلم الحديث في تكنولوجيا صناعة الإنسان، بأرخص الأسعار، قرب، قرب، كل ما تريد ستجده عندي، عقلة في إصبع، كف في ذراع، كوارع، ركبة.. وصلنا أجمل تشكيلة من العيون العسلية والعيون الخضراء، والعيون السوداء، والعيون الملونة، وعيون القطة مشمشة، وعين الصيرة. أما أحبابنا الأطفال فلهم ألف تحية، وألف لسان، وصلنا مجموعة ألسن حديثة وجميلة يستطيع طفلك أن يقلد الزرافة، أو القطة أو الفأرة أو السحلية، كل ذلك في عبوة «الولد أبو لسان ونصف» **(يدخل رجل بسيط في ثياب رقيقة الحال)**.

الرجل: أعطني قطعتي غيار سعادة أصلي يا بائع الوهم **(يضحك ملء رئتيه)**.

البائع: (**ينهره**) اخرج من هنا أيها القذر، اخرج.. المكان معقم وليس لأمثالك ارتياده (**يخرج الرجل**).

البائع: قرب، قرب.. خصم خاص على جميع المعروضات.. شعارنا الأمانة، هدفنا خدمة الإنسان.. لو أنفك مزكوم غيّره، لو عينك «مدغششة» افقأها ولايهمك، سوبر ماركت «كل الإنسان» يقدم لك كل ما تحتاج إليه الأمس واليوم، والغد وبأرخص الأسعار، وأحسن «الموديلات»، اشتر يدا واحصل على الأخرى مجانا.

(**يدخل أحد الزبائن متوجهاً نحو البائع**)

الزبون: أنت يا أخ.. أنت أيها النصاب!

البائع: قرب، قرب.. نعم يا أفندم، أي خدمة؟

الزبون: اشتريت من عندكم يداً ولكنها.. لكنها..

البائع: لكنها ماذا يا أفندم.. تفضل.

الزبون: لكنها حرامية.. تسرق، يعني.. كل ما أروح إلى مكان تمتد رغماً عني وتسرق وتسبب لي إحراجا شديداً.

البائع: يا سلام يا أفندم كفاءة عالية جداً.. إن شاء الله تكون مرتاحاً معها يا أفندم!!

الزبون: أبداً، أبداً، أنا رجل محترم، ولم يسبق لي أن مددت يدي لحرام، أتصدق أنها سرقت مصاغ زوجتي.. أرجوك ساعدني في تعديلها.

البائع: للأسف لا نستطيع، إلا إذا كنت تريد أن تعيش دون يد.

الزبون: كيف؟!

البائع: (**مؤكداً**) تعيش دون يد.. أظن هذه مسألة واضحة.

الزبون: وهل يمكن ذلك؟

البائع: إذا كانت يدك لا تعجبك فأنت حر.

الزبون: (**يشير لليد الصناعية**) يدي!! تقصد أن هذه يدي؟!! لا ليست يدي.. أرجوك خلصني منها ومن شرها.

البائع: يا أفندم، البضاعة المبيعة لاترد ولاتستبدل.

الزبون: وما العمل إذاً؟!

البائع: اشتر واحدة، واحصل على الأخرى مجاناً.

الزبون: هل ترى أن ذلك أفضل؟

البائع: هذا هو الحل الوحيد.

الزبون: (**يشير لليد الصناعية**) وهذه المصيبة ماذا سنفعل بها؟

البائع: اتركها لنبيعها لك مستقبلا على أنها مستعملة.

الزبون: لكني أخاف أن تؤذي أحداً بأفعالها.

البائع: سنجد من يشتريها، فهي مطلوبة جداً.

الزبون: أشكرك.. اعطني واحدة جديدة.

البائع: (**يسحب كيساً به يدان**) خذ هذه واحدة، والأخرى مجاناً.. معها «دليل» يشرح كيفية استعمالها وتركيبها لكن لابد من الترفق بها بادئ الأمر، فهذه اليد كانت لأديب عالمي.

الزبون: أديب عالمي!! إذا فالسارقة لمن؟

البائع: للص عالمي أيضاً.. نحن لا نتعامل ولا نتاجر إلا في العالمي.

الزبون:وكيف بعتموني إياها مع أنكم تعلمون أنها سارقة؟

البائع: لأنك طلبت أكفأ يد.

الزبون: لا حاجة لي بها من اليوم.. سأرسلها لك بعد فكها وتركيب اليد الجديدة.

البائع: نحن في خدمتك يا أفندم.

الزبون: شكراً (**يخرج**)

الرجل: (**يدخل**) أعطني قطعتي غيار سعادة أصلي يا بائع الوهم (**يضحك ثم يخرج**)

البائع: قلت: اخرج أيها المجنون، نحن لا نتاجر في الأشياء التافهة. و (**ينادي**) قرب، قرب.. أسرع قبل نفاد الكمية، لدينا أرقى وأحدث الأنوف الحساسة، والآذان المرهفة التي تسمع دبيب النملة.. قرب، قرب كن معنا الرجل المثالي، نحن نوفر لك جميع قطع الغيار من أظفار قدميك حتى شعر رأسك، لا مشكلة بعد اليوم، نحن نسعى لسعادتك (**يدخل أحد الزبائن ويبدو حزينا مهموماً**).

البائع: (**يستقبله في حفاوة**) أي خدمة يا أفندم، تفضل، تفضل، عين، يد، رجل، أنف، أذن، كل شيء تحت أمرك.

الزبون: أنا عميل لكم منذ مدة، وقد أنفقت الكثير من أموالي، واشتريت كل ما هو معروض عندكم.

البائع: المحل محلك.

الزبون: أنا أثق فيكم وفي محلكم، ولكنني بحاجة إلى قطعة غيار مهمة لم أعثر عليها، فهلا ساعدتني؟

البائع: نحن نوفر لك كل ما تحتاج إليه من، أظفار القدمين، حتى شعر الرأس.

الزبون: كل ذلك اشتريته من عندكم، ولكني بحاجة إلى سلعة هامة.

البائع: ما هي؟ نحن في الخدمة.

الزبون: أريد السعادة.

البائع: ألست سعيداً بكل ما لديك، من أعضاء حديثة؟

الزبون: لم أحس بالسعادة ولو للحظة واحدة.. أرجوك.. أعطني السعادة وخذ ما شئت، كل أموالي ملك لك.

البائع: ليتني أملكها يا سيدي.. إنني أشكو مما تشكو منه، لكننا على استعداد، أن نوفر لك كلّ ما يلزمك من الأعضاء البشرية.

الرجل: (**يدخل**) أعطني قطعتي غيار سعادة يا بائع الوهم (**يضحك ملء رئتيه**)

البائع: اخرج من هنا أيها الحقير.. لا توسخ المكان.

الرجل: انظر لنفسك لترى أنها أوسخ من أي شخص آخر، تعال ننزع قشرتك البراقة، وقشرتي البسيطة، ثم انظر لنفسك وانظر لي، ستجد نفسك مقبرة ترعى فيها الديدان، أما أنا فستجدني أحيا وأنعم في بستان سعادتي.. ما رأيك لو أني بعتك قطعة غيار سعادة، لكنك لا تستحق، ابق كما أنت لتبيع الوهم للناس (**يضحك في طريقه للخروج**).

الزبون: (**في لهفة**) انتظر يا هذا!!

البائع: دعك منه يا سيدي.. إنه رجل مجنون.

الزبون: نحن والله المجانين.. ما اسمك يا رجل؟

الرجل: ماذا تريد؟

الزبون: أريد أن أسمع منك ما قلته منذ قليل.

الرجل: تريدني أن أحدثك عن مقبرة الديدان هذه؟!(**يشير للبائع**)

الزبون: بل أريدك أن تحدثني عن السعادة.. لقد أنفقت كل ما لدي بحثاً عن السعادة، ولكنني لم أجدها، فأين السبيل إليها؟!

الرجل: السعادة لا يدركها إلا الراضون المتوكلون على الله، السعادة أن ترضى بما رزقك الله، و أن تسلم قلبك لله الخالق، وأن تطهر نفسك وتزكيها، وأن تجاهد نفسك ما استطعت، إن السعادة في مخالفة الهوى، واعلم أن منتهى سعادتك يوم انتصارك على نفسك، وتجردك لله (**يهم بالخروج.. عند يجتمع الزبائن من كل مكان في المحل على صوته**).

الزبائن: انتظر.. انتظر يا هذا.

الرجل: ماذا تريدون؟

الزبائن: نريد أن نعرف سبب سعادتك.

الرجل: سبب سعادتي بسيط.. بسيط جداً، إنني لا أحمل هم رزق كفلنيه ربي، ولا أجل آت في ميعاده، أنام ملء جفوني.. راضياً عن ربي.. راضياً عن نفسي وعن الناس، أحب الخير لكل الخلائق.

الزبائن: وإذا لاحقتك الهموم؟

الرجل: عليّ بالصبر والصلاة ومناجاة الله في السر والعلن (**يخرج**).

الزبائن: انتظر.. خذنا معك.. خذنا معك (**يخرجون خلفه**).

البائع: (**يبقى وحده**) لا عليكم منهم، إنهم يخرفون..قرب، قرب.. وصلتنا أروع تشكيلة من الأرجل اليابانية و.. (**تنزل الستارة والبائع مازال يعرض مالديه**).

«ستار»

المكافأة

بقلم: علي محمد الغريب – مصر

مسرحية.. من فصل واحد

المشهد الأول

(يرفع الستار عن سجن ببغداد.. في عهد الخليفة المأمون.. نرى رجلاً مقيداً بالسلاسل، ويبدو عليه التعب والإرهاق.. يدخل المأمون ومعه العباس صاحب الشرطة وبعض الجنود).

المأمون: (**لأحد الجنود**) هل قدمتم له طعاماً؟

الجندي: أطعمناه ياسيدي.

المأمون (**ينادي**): عباس.

العباس: لبيك يا أمير المؤمنين.

المأمون: (**يشير للرجل المقيد**) خذ هذا فاستوثق منه، واحتفظ به، وبكِّر به إليَّ في الغد، وخذ حيطتك وحذرك.

العباس: أمر مولاي.. الجنود يقومون بحراسته، فلا يهمنك أمره.

المأمون: لا.. أريدك أن تستوثق منه بنفسك، فهذا مجرم خطير.. هل سمعت؟

العباس: كما ترى ياسيدي. (**يخرج المأمون**)

العباس: (**للجنود**) اسمعوا.. لاتبيتوا خارج السجن الليلة.. تناوبوا حراسته حتى الصباح.

الجندي: لن يستطيع الهروب ياسيدي، فقواه خائرة.

العباس: نفذ ما سمعت دون كلام.

الجندي: أمرك ياسيدي.. ولكن.. يعني..

العباس: قلت: تناوبوا حراسته.. اثنان بعدهما اثنان (**بعد تفكير**) اسمع، سأحمله معي إلى داري ليكون تحت نظري.

الجندي: ستحرسه بنفسك ياسيدي!

العباس: ألم تسمع ما قاله أمير المؤمنين.. هيا احملوه إلى داري.. هيا (**الجنود يقودون الرجل وهو مكبل في قيوده ثم يخرجون.. يظلم المسرح تدريجاً.. ظلام**).

المشهد الثاني

(**حجرة في دار العباس صاحب الشرطة**)

الرجل: (**مازال مقيداً**) هل تسمح لي بماء؟

العباس: هل تشرب؟

الرجل: سأتوضأ.

العباس: انتظر (**ينادي**) ياهمام.. ياهمام (**يدخل الجندي همام**).

همام: لبيك ياسيدي.

العباس: هات طستاً وماء، حتى يتوضأ الرجل.

همام: (**يخرج ثم يعود بطست به ماء فيتوضأ الرجل من خلال قيوده في صعوبة**).

العباس: سنتركك لتصلي.

الرجل: أشكرك.. لقد أديت ما عليّ من صلاة، ولكن أحببت أن أتوضأ لأتخفف من همومي.. آسف إذا كنت قد سببت لكم إزعاجاً.

العباس: هذا حقك.. (**لهمام**) خذ الطست ياهمام.

همام: أمرك ياسيدي (**يخرج بالطست**).

العباس: هل أنت بغدادي؟

الرجل: لا.. دمشقي.

العباس: (**في لهفة**) أحقاً من دمشق؟

الرجل: نعم.

العباس: جزى الله دمشق وأهلها خيراً.. فمن أنت من أهلها؟

الرجل: عمن تسأل؟

العباس: هل تعرف عليّاً الدمشقي؟

الرجل: من أين تعرف ذلك الرجل؟

العباس: وقعت لي معه قضية.

الرجل: ما كنت بالذي يخبرك عنه حتى تعرفني قضيتك معه.

العباس: ويحك.. قلت لك: كانت لي معه قضية.

الرجل: لو أخبرتني بها.. لأخبرتك عنه.

العباس: كنت مع بعض الولاة، بدمشق فبغى أهلها، وخرجوا علينا، حتى إن الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه، أما أنا.. (**يظلم المسرح تدريجياً ثم ينتقل المشهد إلى دمشق آنئذ.. نرى علي الدمشقي جالساً أمام داره يقضي بعض شؤونه.. يدخل العباس مضطرباً، بادياً عليه الإرهاق والخوف**).

العباس: أغثني أغاثك الله.

علي: ماذا هناك؟ لا روعك الله يارجل!!

العباس: (**وهو يتلفت حوله**) إنهم يبحثون عني.. يبحثون عني!!

علي: من هم؟!

العباس: خبئني قبل أن يدركوني.

علي (**يشير بيده إلى داره، ومازال مندهشاً**) ادخل هنا ولا تخف (**يرفع صوته منادياً**) مكان الضيوف يا أم البراء.

(**يدخل رجلان..يبدو أنهما يبحثان عن العباس**).

الأول: لم يبرح هذا الحي.. لكني لا أعرف كيف اختفى؟!

الثاني: إنه رأيك الذي أفسد علينا القبض عليه (**لعلي**) ألم يمر عليك رجل من هنا؟

علي: لا، لم يمر عليّ أحد.

الأول: بل مر من هنا.

الثاني: هيا.. لا تضع الوقت علينا.

الأول: قلت لك: إنه بهذا الحي، وإني لأقسم إنه عند هذا الرجل (**يشير لعلي**).

علي: وما شأني به، فتشا داري إذا شئتما!!

الأول: أجل فلنفتشها (لصاحبه) تعال من خلفي.

الثاني: أف.. يا لك من عنيد.

الأول: تعال ولا تتكلم (**يدخلان الدار.. يُسمع صوت امرأة الدمشقي من الداخل**)

المرأة: قبحكم الله.. أو تدخلان عليّ الدار دون مراعاة حرمتها؟! إليكما عني وإلا شكوتكما لأمير المؤمنين. (**يخرج الرجلان**).

الأول: (**لعلي في إصرار**) ومع ذلك فأنا مصر أنه عندك.

الثاني: (**يتقدم صاحبه وهو يجري**) هيا.. هيا لا تفوت علينا الفرصة (**يخرجان**).

(**عوداً إلى دار العباس.. يبدو العباس وهو يتكلم وعيناه شاخصتان كأنه يرى ما يرويه**).

العباس: خرج الرجلان وهما يتميزان غيظاً من الدمشقي وامرأته التي نهرتهما، وراحا يجوبان الدروب بحثاً عني (**يتوقف ثم ينظر للدمشقي**) يبدو أنك تعبت من كثرة الكلام.

الرجل: لا لا.. أكمل أكمل.

العباس: إن كان ذلك يزعجك فليس لي عليك سلطان، إنما حقي هو أن أتحفظ عليك فقط.

الرجل: أنا الذي أحب أن أسمع، أكمل فلعلك تهون عليّ ما أنا فيه.. أكمل أرجوك.

العباس: أين توقفنا؟

الرجل: عندما خرج الرجلان وهما يتميزان غيظاً من الدمشقي وامرأته.

العباس: آه.. بعدما خرج الرجلان دخل إليّ صاحب الدار، ثم أمنني قائلاً: لا تخف، لقد صرف الله عنك شرهم، ومازال يحسن إليّ، وأفرد لي مكاناً في داره، ولم يسألني عن اسمي، وما كان يناديني إلا بالكنية، وذلك لمدة أربعة أشهر، وبعدما هدأت الفتنة عزمت على التوجه إلى بغداد، فجهزني كأحسن ما يجهز المسافر، ثم انصرفت إلى بغداد، وأنا أتتبع خبره لأفي بعهدي له وأكافئه، فانشغلت بأمير المؤمنين ولم أتفرغ، ولهذا أنا أسألك عنه.

الرجل: لقد مكنك الله تعالى من الوفاء، ومكافأة الرجل على ما فعله ومجازاته على صنيعه ولا كلفة عليك.

العباس: كيف ذلك؟

الرجل: أنا ذلك الرجل، وإنما الضر الذي أنا فيه، هو الذي بدل حالي وغير شكلي.

العباس: (**مندهشاً**) أنت هو هو؟

الرجل: نعم.

العباس: (**ومازال مندهشاً**) يالله.. أعطني علامة أعرفك بها!

علي: أو تذكر ليلة أن أتيتك في السحر، وقلت لك: استعد فإن القافلة ستتحرك بعد قليل؟

العباس: أعطني علامة أخرى!

علي: أو تذكر عندما جئتك وامرأتي (ببقجة) من الملابس وخفين وسيف، ومنطقة شددتها في وسطك؟

العباس: (**يبكي من شدة الفرح والألم معاً**) ياسبحان الله (**ينهال عليه تقبيلاً ثم يفك قيوده ويأخذه إلى داخل الدار، ثم يعود معه وقد أهداه ثياباً جديدة**) اصدقني القول ياسيدي، ما الذي صيرك إلى ما أرى؟

علي: (**يتنهد في ألم**) هاجت بدمشق فتنة كالتي كانت في أيامك، فنسبت إليّ، وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد، وأخذت أنا وضربت إلى أن أشرفت على الموت، وقيدت وبعث بي إلى أمير المؤمنين، وهو قاتلي لا محالة، فإن رأيت أن تجعل من مكافأتك لي أن ترسل من يحضر غلاماً لي خرج من خلفي وهو نازل عند أحد الوراقين، حتى ينصرف إلى أهلي بخبري، فإن أنت فعلت فقد جاوزت حد المكافأة، وقمت لي بوفاء عهدك.

العباس: يصنع الله خيراً (**ينادي**) ياهمام.

همام: (**يدخل**) لبيك ياسيدي.

العباس: جهز الفرس الأبلق، وبغلين، واحملوا عليهما أربعة صناديق، واملؤوها بالهدايا، ثم خذ الرجل ورافقه حتى يخرج من حدود المدينة.

علي: إن ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم، وخطبي جسيم، وإن أنت احتججت بأني هربت، بعث أمير المؤمنين في طلبي ثم قتلني وآذاك.

العباس: انج بنفسك، ودعني أدبر أمري.

علي: والله ما أبرح بغداد حتى أعلم ما يكون من أمرك.

العباس: اسمع ياهمام، اذهب معه إلى حدود المدينة، فإن سلمت في غداة غد أعلمته، وإن أنا قتلت، فقد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه، وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم، واجتهد في إخراجه من بغداد سالماً.

المشهد الثالث

(مجلس أمير المؤمنين.. يدخل العباس حاملاً كفنه على يديه)

العباس: السلام عليكم يا أمير المؤمنين.

المأمون: (**مندهشاً**) وعليكم السلام.. ما هذا الذي بين يديك.. ثم أين الرجل الذي استودعتك إياه أمس؟

العباس: لا يتكلم.

المأمون: ويحك.. أين الرجل؟

العباس: ياأمير المؤمنين أرجو أن تسمع مني.

المأمون: لله علي عهد، لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك.

العباس: لا والله ماهرب ياأمير المؤمنين، ولكن اسمع حديثي ثم افعل ما تريد أن تفعله في أمري.

المأمون: قل .

العباس: ياأمير المؤمنين.. هل تذكر الفتنة التي كنت سأروح ضحيتها في دمشق من قبل سنوات مضت؟

المأمون: نعم أذكرها جيداً.

العباس: وهل تذكر الرجل الذي حدثتك أنه أنقذني؟

المأمون: نعم أذكره.

العباس: هو نفسه الرجل الذي استودعتني إياه أمس، ولهذا الرجل دين في عنقي، وأردت أن أكافئه على ما فعله معي، فقلت: أنا وسيدي أمير المؤمنين بين أمرين، إما أن يصفح عني فأكون قد وفيت وكافأت، وإما أن يقتلني فأقيه بنفسي.. وقد تحنطت، وها هو ذا كفني ياأمير المؤمنين، فالأمر لك.

المأمون: ويلك.. لا جزاك الله عن نفسك خيراً، إنه فعل معك ما فعل من غير معرفة، وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لاغيره؟!.. هلا عرفتنا خبره لنكافئه عنك، ولا نقصر في وفائك له.

العباس: ياأمير المؤمنين، إنه ها هنا قريب، وقد أقسم ألا يبرح حتى يطمئن إلى سلامتي، فإن احتجت إلى حضوره حضر.

المأمون: وهذه منه أعظم من الأولى.. اذهب إليه الآن فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته.

العباس: (**لا يعرف ماذا يفعل من شدة الفرح، فيترك كفنه على الأرض وينطلق.. ثم يعود بعلي الدمشقي**).

المأمون: (**لعلي**) والله إنك لمن خير العباد، وقد رأيت أن أستعملك على دمشق.

علي: حفظ الله أمير المؤمنين.. أرجو أن تعفيني.

المأمون: نريد أن نوفيك ونكافئك.

علي: عفوك عني هو أعظم مكافأة.

المأمون: (**للعباس**) جهزوا عشرة أفراس بسروجها ولجمها، وعشرة أبغال بآلاتها، وعشرة آلاف دينار، وعشرة مماليك بدوابهم، ليرافقوا الدمشقي حتى يصل إلى دمشق آمناً مطمئناً بإذن الله.

«ستار»

الفارس اللاحق

بقلم: محمد مراح – الجزائر

(المنظر: ساحة من ساحات المدينة المنورة المائجة بحركة غير اعتيادية، الناس يبدو على وجوههم وفي تصرفاتهم الجد والصرامة، اجتمع ثلاثة من الفتيان)

حامد: إن المسلمين يجمعون قواهم تلبية لنداء النبي ﷺ.

الزبير: (**مقاطعا في دهشة**) هل نادى رسول الله ﷺ المسلمين لأمر؟

حامد: (**ساخرا**) أحسبك لم تستيقظ من نومك – بعد – يا أخي.

(يضحكون جميعا)

جابر: أراك نسيت الخبر الذي ذاع في المدينة عن نية الروم في القضاء على الإسلام والمسلمين.

الزبير: أجل، بلغ هذا الأمر النبي ﷺ فأمر المنادي بالانطلاق في المدينة ينادي المسلمين للاجتماع به في المسجد.

جابر: علم المسلمون أمر النبي، فانطلقوا لا يلوون على شيء، كل يبغي الاستعداد قبل الآخر.

الزبير: لقد... بدأت أفهم... أجل لقد سمعت أبي يُسرُّ لأمي أمراً يحاولان إخفاءه عني، فارتفعت أصواتهما، فلم أفهم شيئا سوى قول أمي في صرامة: سأنطلق إليه في الغد بنفسي لأعرض أمر خروجنا جميعا؛ أنت وأنا والزبير.

جابر: أما أبي فقد أمرني بالاستعداد ليعرضني على رسول الله أملا في خروجي معهم

حامد: (**في حسرة**) لكن هل يقبل رسول الله ﷺ ذلك؟ فأنا سأقدم نفسي له، يقولون: إن المسافة شاسعة، والجو كما ترون حار، فلا يقوى على السير إلا من أوتي إيمانا عميقاً وتحملاً شديداً.

(يدخل أسيد)

أسيد: السلام عليكم.

الأطفال: (**معا**) وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أسيد: هل علمتم خبر الاستعداد للقاء الروم؟

جابر: أجل علمنا ذلك، وكلنا نريد الانضمام إلى الجيش.

أسيد: (**فرحا**) رعاكم الله، لقد وافق رأيكم رأيي، هيا بنا نمض فترة تدريب أولا قبل أن نعرض أنفسنا على رسول الله.

الزبير: لكني لا أرى في أيديكم غير أعواد لا تغني شيئا!

حامد: (**رافعا عوده**) بمثل هذا تشتد السواعد التي تمسك السيوف الصوارم.

(ينطلقون مكبرين)

المشهد الثاني

(المنظر: حديقة غناء يفوح أريج أزهارها فتنتشي له النفوس، أغصانها منسدلة تميس لهبوب نسائم عليلة، طيورها مغردة، وماؤها رقراق، يرى «أبو خيثمة» وقد انزوى في ناحية من نواحيها مسندا ظهره إلى أصل الشجرة، أطلق بصره يشق الحجب)

أبو خيثمة: (**يحدث نفسه**) أيها اليوم السعيد، كم أنا مشتاق إلى نسمة من نسماتك، أين ذاك الشوق الجارف يوم مددت يدي مبايعا رسول الله على الطاعة في المنشط والمكره، إني أهفو للانطلاق عبر الزمن لأبلغ الماضي الحبيب لعلِّي أجد ما يملأ نفسي شوقا ورغبة للانضمام لجيش المسلمين.

(يدخل أسيد وهو يقفز فرحا وسرورا)

أسيد: أبي، أبي... أثبتُّ قدرتي على القتال اليوم.

أبو خيثمة: (**يبتسم ابتسامة مصطنعة**) كيف يا بني؟

أسيد: (**يلوح بسيفه الخشبي**) استطاع هذا السيف الإطاحة بسيوف كل الأقران في منازلتنا الطويلة.

أبو خيثمة: (**يقبل على ابنه متلطفا**) مازلت دون ذلك يا بني، إن مؤهلات القتال لا تتأتى بهذه السهولة، فانصرف راشدا.

أسيد: (**وقد سقط سيفه الخشبي منه**) ما عهدتك هكذا يا أبت!

أبو خيثمة: (**في صرامة**) ما هكذا أمرك الله ورسوله في معاملة والديك يا بني.

أسيد: لكن يا أبت ماذا سيقول عني أقراني إذا اجتمعوا في صلاة المغرب ولم يجدوني بينهم لنعرض أنفسنا على رسول الله ﷺ؟

أبو خيثمة: رعاك الله يا بني وحفظك.

(**يخرج أسيد وكل شيء فيه ينطق بالجد والصرامة**)

أبو خيثمة: (**يحدث نفسه**) ليت أمك لم تلدك يا أبا خيثمة، هل بلغ الهوان أن يتقدم الصبية يعرضون أنفسهم على رسول الله ؛ وتركن أنت للراحة.

(**يخرج منكسر البال**)

المشهد الثالث

(المنظر: بيت أبي خيثمة الحافل بالفرش الوثيرة، المحفوف بكل مظاهر الراحة، ترى فاطمة زوجة أبي خيثمة مشغولة.)

(**يدخل أسيد**)

أسيد: (**والدموع تنهمر من عينيه**) مضى جيش المسلمين دون أن تكون أحد جنوده يا أسيد.. إنك دون ذلك... هكذا قيل لك... امكث إذن بين أحضان أمك.

فاطمة: ويحك يا بني، هذا أمر رسول الله، أتقدم بين يدي الله ورسوله؟ كف عن هذا الهراء، وإلا أخبرت أباك.

أسيد: (**يبتسم ساخرا**) إنه هو الآخر قعد عن الانضمام إلى جيش المسلمين.

فاطمة: (**تنهره**) كف عن هذا، لقد كان أبوك في طليعة جيش المسلمين، دائما، هيا انصرف واستغفر ربك.

(يخرج أسيد ثم يدخل أبو خيثمة)

فاطمة: أهلا بك، شرفت بيتك وأهلك.

(أبو خيثمة مطرق الرأس، شارد الفكر)

فاطمة: أراك مفرق النفس، شارد الذهن يا أبا خيثمة، لعلك قلق إذ لم تجد من يجمع لك غلة الموسم؟

أبو خيثمة: هل نفسك صافية لمثل هذا يا امرأة؟

فاطمة: من كانت في كنفك لا يعرف الكدر إلى نفسها سبيلاً.

أبو خيثمة: الكدر صار لا يفارقني منذ انطلق جيش المسلمين.

فاطمة: أذهب الله همك، وعافاك في نفسك ومالك وولدك وأهلك.

(تدخل هند جاريته)

هند: بالباب مناد يا سيدي.

(يخرج أبو خيثمة مسرعاً)

فاطمة: جعله الله منادي خير، فأنباء جيش رسول الله ﷺ انقطعت عنا منذ أيام.

هند: أرى انشغالك بشؤون زوجك وبيتك صرفتك عن تتبع الأخبار.

فاطمة: تقصدين أن أخبارا وردت عن رسول الله وجيشه؟

هند: أجل، فقد لاقى المسلمون شدائد عظيمة في طريقهم.

فاطمة: لهف نفسي عليك يا رسول الله!

هند: كيف تكون حال أبي خيثمة وقد علم أخبار الجيش؟

فاطمة: آه، الآن عرفت مصدر همه.

(ينادي أبو خيثمة بإفساح الطريق، فتخرج هند وفاطمة، ثم يدخل مع صديقه التاجر)

أبو خيثمة: قلت: إنك التقيت ببعض سرايا المسلمين؟

التاجر: أجل، وعلمت أنهم لا يكادون يخرجون من عسرة حتى تستقبلهم أخرى.

أبو خيثمة: لهف نفسي عليك يا رسول الله.

التاجر: إيه.. إن رقابهم كادت تنقطع عطشا، فاستأذنوا رسول الله أن يأذن لهم في بقر بطون الإبل واعتصار ما فيها من ماء.

أبو خيثمة: أعزت عليك نفسك يا أبا خيثمة حتى ضننت بها على الله ورسوله؟!

التاجر: هيا بنا ندرك الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ.

(يخرجان)

المشهد الرابع

(المنظر: زوجة أبي خيثمة وجاريته تعدان البيت).

فاطمة: طال غياب أبي خيثمة، ليس من عادته التأخر، وألسنة الشمس تلهب كل شيء!

هند: إن حاله تزداد كل يوم سوءاً... غاضت ابتسامته، عاف الطعام، كثر صمته.

فاطمة: إنه لا يكف عن ترديد الأخبار الواردة عن جيش رسول الله ﷺ.

هند: سمعته يسميه (**جيش العسرة**).

فاطمة: إن الأهوال التي لاقاها المسلمون أكبر من أن يحتملها وصف الواصفين.

(يدخل أبو خيثمة، فيجيل نظره في بيته ؛ فكل شيء فيه يغري بالراحة، فتتغير ملامحه)

أبو خيثمة: مرحى، مرحى، متى باتت النفس سيدة الموقف،أَرَسولُ الله في الضح والريح، والحرِّ والنصب الشديد، وأنت يا أبا خيثمة ماض في اقتناص الراحة والنعيم؟ فلا نامت أعين الجبناء.

(يخرج مسرعا)

المشهد الخامس

عبد اللّه: من الفارس يا ترى؟

قيس: لا أحسب أن بصري يخادعني، إن قلت: إنه أبو خيثمة.

عامر: صدق رسول اللّه إنه هو... أبو خيثمة، إذ ما كاد يرى خياله يتراءى من بعيد حتى قال:«كن أبا خيثمة».

أبو خيثمة: آن لجوادك أن يصهل صهيل كرائم الجياد يا أبا خيثمة.

عامر: وحق لأبي خيثمة أن يفرح معنا بنصر اللّه.

قيس: مرحى، كذب إيمانك الظنون يا أخا الإسلام.

عبد اللّه: واكتملت الثلاثون ألفا بنجم من نجومها المتألقة.

عامر: أبشر يا أبا خيثمة إن رسول اللّه يدعو لك بخير.

أبو خيثمة: الحمد للّه الذي أتم عليَّ نعمته، وأبلغني رضى رسوله.

(يتعانقون)

«ستار»

أيام يضيئها الإسلام

بقلم: سميح سرحان – فلسطين

الفصل الأول

المشهد الأول

المدخل: السلاجقة:

يفتح الستار على القائد السلجوقي (ألب أرسلان) وحاشيته وهم في كامل عتادهم ولباسهم الحربي في ذلك الزمن.

المكان: آسيا الصغرى (نيقية)، المعركة ملازكرد.

الزمن: ١٠٧١م.

رجل أول: الله أكبر، أيها القائد.

رجل ثان: إنها معركة قوية، تلك التي خضناها مع الروم البيزنطيين.

القائد: نعم.. إنها الأولى.. الحمد لله.. أيها الرجال لنكن على حذر من الأعداء، لأن شيمتهم الغدر!

الرجل الثالث: إن فضل الله عظيم علينا.. ألحقنا بهم هزائم وخسائر فادحة!

القائد: أحسنتم.. أحسنتم يا رجال.. بارك الله فيكم.. ووفقكم إلى النصر المستمر.

الرجل الثاني: الله أكبر.. نحن الآن قرب عاصمتهم أيها القائد!

القائد: لقد تمكنا الآن بحماية الله ورعايته أن نتقدم بجيوشنا السلجوقية إلى عمق الأراضي البيزنطية.

الرجل الأول: لقد طاردناهم.. وتمكنا منهم!

القائد: صحيح.. إلا أن هزيمتهم، جعلتهم يرسلون إلينا أن نهادنهم وقبلنا الهدنة!

الرجل الثاني: بارك الله في الجهود النبيلة المسلمة.

القائد: علينا أيها الرجال أن نرعى ما أخذناه من أرض، ونحافظ على كل شبر منها، وأن نكون حذرين من الفاطميين في مصر، حيث تحالفوا مع أعدائنا النصارى ضدنا.

الرجل الأول: اللّه أكبر! كان الله في عوننا جميعا!

(يخرجون ثم يعودون).

الرجل الثالث: أيها القائد.. إن البيزنطيين يظنون أننا ضعفاء، بسبب الهدنة التي رضينا بها.

الرجل الثاني: هم الذين طلبوها ويهدوننا؟! ماذا قالوا؟!

المراسل: (**مع الحاشية**) ومعه رسالة يقرأ منها:

أيها القائد يقول الإمبراطور البيزنطي: لا هدنة إلّا بالري.

القائد: (**بعصبية**) أو يقول هذا؟! أي لن يتوقف إلا في مدينة الري أيها الرجال.

الجميع: فلنكن على حذر.. وعلى استعداد دائم!

القائد: لنكن مستعدين جميعا.. فالقتال القتال.. وعلى بركة اللّه.

الرجل الأول: فلتبدأ المعركة.. ولنتقدم.

(تطفأ الأنوار.. وبدأت المعركة..) (مؤثرات صوتية)

الرجل الأول: اللّه أكبر.. اللّه أكبر.

الرجل الثاني: لقد تمكن الجيش السلجوقي من أسر الإمبراطور رومانوس الرابع.. ديوجنيس.

الرجل الثالث: يا اللّه.. إن البيزنطيين يتقهقرون!

الرجل الأول: إنهم ينهزمون.. اللّه أكبر.. يقتلون.. قضينا على معاقلهم.. استولينا على عديد من مدنهم.

الرجل الثاني: لقد أصبحت نيقية في يدنا!! الله أكبر.. الله أكبر، لقد انتصرنا على بيزنطة.

الجميع: الله أكبر.. انتصرنا على بيزنطة!!

(يخرجون)

(يدخل راويان: يسلط على كل واحد منهما الإضاءة)

الأول: فتحت هذه المعركة أبواب آسيا الصغرى للسلاجقة.

الثاني: أخذوا يوسعون ممتلكاتهم على حساب الأراضي البيزنطية.

الأول: استولى سليمان بن قتلمش على الكثير منها.

الثاني: وتوج ذلك باستيلائه على أنطاكية (عام ٤٧٧هـ).

الأول: ناهيك عن الأراضي التي استولى عليها الأمراء الأقل شأنا من سليمان.

الثاني: ومن بينها قلاع ومدن مهمة، ومن بين أولئك الدانشمند، وشاكا..

الأول: وخوشك وغيرهم.. فكان لا بد أن يعمد الإمبراطور البيزنطي ألكسي كومنينوس إلى الاستنجاد بالغرب النصراني.

الأول: فرفع النصارى شعار نجدة البيزنطيين الأرثوذكس ضد المسلمين.

الثاني: فاتحين بذلك حروبا، وعرفت فيما بعد بالحروب الصليبية، ودامت مئتي عام..

المشهد الثاني

(يدخل أحد المقدمين: والآن أيها الإخوة الكرام، نتابع مشاهد أيام يضيئها الإسلام. المشهد الثاني عنوانه: الصليبيون)

صوت من داخل الجمهور: (**يصرخ**): قف.. قف!

المقدم: (**يتساءل**) مَنْ؟ هناك؟!

شخص بجانبه: من الذي يزعج هدوء مسرحنا؟

رجل من الجمهور الذي صرخ: (**يقترب من خشبة المسرح**): هذا المسرح ليس ملكا لكم!! إنه ملك الجمهور الحاضر كله!

رجل ثان يخرج مع الأول: نعم.. علينا أن نفهم كل كلمة تقال منذ البدء.. وتوضحون لنا ما نسأل؟!

المقدم: وماذا تريدون أن تسألوا؟

الأول: من هم الصليبيون؟

المقدم: نِعْمَ السؤال سؤالكم، يا حسام الدين أخبر القوم من هم الصليبيون؟ وما أسباب مجيئهم إلى بلادنا؟!

(يفتح الستار على ثلاثة من الرواة..) (تلاحقهم الإضاءة):

الأول: امتدت الفتوحات الإسلامية إلى آسيا وأفريقيا و أوروبا واستخلصت الأراضي من النفوذ النصراني..

الثاني: صار الناس في دولة السلاجقة يعيشون حياة بذخ وخيلاء..

الثالث: فصار الضعف يدب في هذه الدولة، حيث مات القادة الكبار وخلفهم من كان يحكم بالسلطة والدنيا، فضاع ما بناه الأجداد وأهدر ما استشهد من أجله الأتقياء.

الأول: حقد النصارى على الإسلام والمسلمين نتيجة لذلك..

الثاني: فاستنجدوا بالدول النصرانية المجاورة..

الثالث: وتحمس رجال دينهم.. من أساقفة ورهبان، وتجسد حماسهم في سلب بيت المقدس من المسلمين.. ثم الحد من الزحف الإسلامي المستمر الذي كاد أن يعم العالم.. وتوقيفه.

الأول: غفران ذنوب وخطايا كل من يشارك في حملة حروبهم التي بدؤوا يستعدون لها..

الثاني: ظنوا أن الأراضي المقدسة في فلسطين تفيض.. لبنا.. وعسلا!

الثالث: فاجتمع الإقطاعيون.. والتجار، والأمراء من جنوب فرنسا وشمالها.. وإيطاليا.

الأول: فالتقى الجميع في القسطنطينية، ووجدوا دربهم مفتوحا أمامهم فتغلغلوا فيما لم يكونوا يحلمون به.

الثاني: فعبروا آسيا الصغرى.

الثالث: اعترضهم الجيش السلجوقي.. وجرت معارك كبرى.

الأول: تقدم من خلالها النصارى.. متجهين إلى أنطاكية وحاصروها ثمانية أشهر واستولوا عليها.

الثاني: ساروا إلى بيت المقدس.. حاصروه شهرا.. ثم.. سقط بأيديهم.

الثالث: فعلوا ما تأباه الأديان.. من فظاعة، وشناعة، وانتهاك!

الأول: بلغ عدد القتلى في ذاك الوقت، ما يزيد عن سبعين ألفا.

الثاني: سالت الدماء أنهارا في المسجد الأقصى.. وفي الحارات والدور..

الثالث: سبوا النساء وقتلوا الأولاد..

الأول: نهبوا الأموال، وحرقوا الدور..

الثاني: هتكوا الأعراض كما يحلو لهم.. وحولوا المساجد إلى كنائس! ودور العلم إلى خمارات!

الثالث: استقر الصليبيون في البلاد الشامية، وأسسوا إمارات عديدة.

الأول: امتدت هذه الإمارات: من خليج الإسكندرونة، إلى عسقلان،.. ومن خليج العقبة، إلى شمال الرها.. شرق تركيا!

(في هذه الأثناء يدخل شاعر من شعراء العصر المعروفين.. ويلقي أبياته المصورة لوحشية الصليبيين):

أحل الكفر بالإسلام ضيما ... يطول عليه للدين النحيـــبُ

فحق ضائع وحمى مبـــاح ... وسيف قاطع ودم صبيـــبُ

وكم من مسلم أمسى سليبا ... ومسلمة لها حرم سليـــبُ

وكم من مسجد جعلوه ديرا على محرابه نصب الصليبُ

أتسبى المسلمات بكل ثغــر وعيش المسلمين إذن يطيبُ؟!

أما لله والإسلام جنـــــد تدافع عنه شبان وشيـــــبُ

فقل لذوي البصائر حيث كانوا أجيبوا الله ويحكم أجيبــوا

(ويشيع الحزن والقهر في هذه الأمة وتمضي مئتا عام في ذل وخنوع واستبداد إلى أن هيأ الله رجالا صادقين يرفعون راية الجهاد مدافعين عن دينه.. أمثال عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود والقائد الملهم صلاح الدين الأيوبي الذي حرر بلاد المسلمين من رجس الصليبيين..)

الجميع: الله أكبر.. الله أكبر..

الفصل الثاني

الأيوبيون

(يفتح الستار على صلاح الدين الأيوبي.. القاضي بهاء بن شداد. ابن أخ صلاح الدين / تقي الدين عمر القائد العسكري / مظفر الدين كوكبري. مع رجالات آخرين.. بملابس حربية..)

صلاح الدين: الحمد لله لقد أسس عماد الدين زنكي حركة الجهاد الإسلامي ضد الإفرنج في وقت عصيب!

القاضي: حقا، فقد تمكن من توحيد سورية وآسيا الغربية..

تقي الدين: لقد سخر كافة موارده وقوته في خدمة الجهاد في سبيل الله ضد الإفرنج.

مظفر: لقد علمنا دروسا عظيمة حيث أنشأ مدارس الدعوة الإسلامية التي افتقدناها..

صلاح الدين: الحمد لله.. لقد تمكن من تحرير مملكة الرها من الصليبيين بعد حصارها ثمانية وعشرين يوما.. وكانت ضربة عنيفة وموجعة.. ولأول مرة يقوم للمسلمين قوة ضد النصارى.

الجميع: الحمد لله والشكر لله.. الله أكبر.

صلاح الدين: لكن.. استشهد عند أسوار (قلعة جعبر) دون أن يحقق ما أراد ضد النصارى.

القاضي: الحمد لله أن ابنه نور الدين تابع خطاه.

صلاح الدين: نعم، ولقد تمكن من توحيد العالم الإسلامي في الجزيرة وبلاد الشام.

القاضي: لقد ضم دمشق نهائيا إلى حكمه.

صلاح الدين: تمكنت مع عمي أسد الدين عندما استنجد به (شاور السعدي) وكنت معه سندا له.. وضممت مصر بعد ما تسلمت وزارة عمي أسد الدين بعد وفاته.

مظفر: حمدا لله أنك تمكنت بتوفيق من الله أن تضم مصر بعد وفاة الخليفة الفاطمي العاضد..

صلاح الدين: نعم.. كان ضعيفا، ولم يقاومني أحد.. رحم الله نور الدين محمود! يا رجال!! إننا الآن نتابع المهمة الملقاة على عاتقنا.. ادعوا الله أن يوفقنا بنصره..

تقي الدين: يا عماه!! أيها القائد!! بارك الله لك فيما تحكم.. فقد تمكنت الآن من ضم: مصر، وبلاد النوبة، وشمال أفريقيا، والحجاز، واليمن، وسورية.

صلاح الدين: الحمد لله.. كونوا متيقظين جميعا.. لقد خضنا كثيرا من المعارك.. لكن الآن..

القاضي: أيها القائد: لقد مكثت ست سنوات وأنت ترتب الأوضاع الداخلية في مصر والشام.. من أجل معركة فاصلة مع النصارى المعتدين..

صلاح الدين: هو استيلاء هؤلاء الكفرة على بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى وثالث المسجدين الشريفين.. أيها القاضي بهاء.. يتحرشون بنا.. ونصبر على مضض!

مظفر الدين: نحن طوع أمرك أيها الأمير.. لقد حاول (أرناط) حاكم الكرك الصليبي أن يعبر البحر الأحمر ليسيطر على مكة والمدينة ويتحكم بطريق التجارة والحجيج على الرغم من الهدنة التي بيننا!!؟

صلاح الدين: أعلم يا مظفر لقد اعتدى على قافلتنا.. وقد استهتر أيضا بديننا ونبينا، وأقسم بالله لأقتلنه.. يا ابن أخي!!

تقي الدين: أمرك أيها الأمير.

صلاح الدين: لقد استكملنا استعداداتنا.. وعلينا الآن أن نعلن النفير العام! ونهيئ الكتائب المجاهدة.. ونعلن الجهاد في كل مكان!

الجميع: ليكن ذلك.

صلاح الدين: يا مظفر! إن السرية التي قدتها بالقرب من صفورية واشتباكك مع الإفرنج وانتصارك عليهم فتح لي الطريق إلى حطين!

القاضي: الله أكبر! أيها الأمير بارك الله في جهودك.

صلاح الدين: يابن أخ، ستكون قائدا للجناح الأيمن، وأنت يا مظفر الدين ستكون قائدا للجناح الأيسر، وسأكون قائدا لقلب الجيش. وأنت أيها القاضي بهاء ستكون مرافقي وصاحبي.

القاضي: على بركة الله.. يا رجال..

تقي الدين: إذن ليعبر جيشنا نهر الأردن، ونتحرك إلى طبريا.. وعلى بركة الله..

(يخرجون.. تطفأ الأنوار.. ثم تضاء.. إيذانا بمرور وقت المعركة!)

(يدخل الرجال:..)

رجل أول: الله أكبر.. لقد انتصر جيشنا في معركة حطين ضد الصليبيين!

رجل ثان: استعصت القلعة علينا.. إلا أنها سقطت بعد ذلك.. وتساقطت معها كل المناطق المجاورة.

رجل ثالث: لقد تمكن صلاح الدين بعد معركة حطين أن يسقط عكا وتبنين.. وصيدا.. وجبيل.. وبيروت.. وعسقلان.. والداروم.. وغزة.. وبيت لحم.. والنطرون..

الرجل الأول: وبعد ثلاثة أشهر تمكن من تحرير بيت المقدس بعد حصاره أسبوعا وقد تسلمه صلحا!

الرجل الثاني: اللّه أكبر! لقد ارتفعت معنويات المسلمين.. وهللوا مكبرين ساجدين للّه العظيم.. اللّه أكبر!

الرجل الثالث: لقد وَلْوَلَ الصليبيون وصعقوا بانتصارات المسلمين.. إنها ضربة قوية على وجودهم.

الرجل الأول: أما سمعتم؟

الرجال: ماذا؟

الرجل الأول: عندما علم البابا أوربان الثامن بسقوط القدس في أيدي المسلمين.

الرجال: ماذا فعل؟

الأول: سقط قلبه!

الجميع: ماذا؟!

الأول: نعم.. وقع ميتا من هول الصدمة!

الجميع: اللّه أكبر.. اللّه أكبر وللّه الحمد!!

الرجل الثاني: إن خليفة البابا غريغوريوس الثامن الكاثوليكي.

الجميع: ما به؟

الرجل: بدأ في حملة صليبية ثالثة جديدة.

الرجال: اللّه أكبر.

الرجل الثاني: طلب هذا البابا من النصارى:

أولا: الصيام يوم الجمعة كل أسبوع لمدة خمس سنوات.

ثانيا: الامتناع عن أكل اللحم مرتين في الأسبوع.

ثالثا: نذر الكاردينالات بالتجول مشيا على الأقدام في فرنسا وإنجلترا وألمانيا للدعوة إلى تلك الحملة الصليبية اللئيمة..

الرجال: الله أكبر!

الرجل الأول: لكن يا رجال!

الجميع: ماذا؟!

الرجل الثاني: هذه الحملة لم يعد لها هدف ديني كالحملات السابقة.. لأن النصارى بدأت ترجم الجباة بالحجارة لفشلها الديني، ومكاسبها التجارية..

الجميع: الله أكبر!!

(يدخل صلاح الدين ورجال الحاشية!)

القاضي: أعزك الله أيها الأمير!

تقي الدين: وبارك الله بالجهود التي قمت بها.. لقد خضت أربعا وسبعين معركة وكنت فيها القائد الملهم الذي يرفع راية الله مرفرفة خفاقة.

(يدخل مع الركب الشاعر أبو الحسن بن علي الجويني، يرحبون به ويطلبون منه الإنشاد.. فينشد):

تسعون عاما بلاد الله في كمـــد ... وليس للدين والإسلام أعـــوان

فالآن لبى صلاح الدين دعوتهم ... بأمر من هو للمعوان معـــــوان

إذا طوى الله ديوان العباد، فما ... يطوى لأجر صلاح الدين ديوان

الجميع: الحمد لله!!

(يخرجون ويكون صلاح الدين آخر الخارجين.. وإذ بصوت من داخل المسرح يجعل صلاح الدين يتوقف ليجيب على ما يسأل عنه)

صوت من جمهور المسرح: صلاح الدين الأيوبي، قف!

(صلاح الدين يقف في المسرح ناظرا للجمهور..)

يتقدم السائل: صلاح الدين الأيوبي من أنت؟

صلاح الدين: مسلم بسيط من مسلمي هذه الأمة.

السائل: والدك؟!

صلاح الدين: والدي نجم الدين أيوب بن شاذي جاء من قرية تدعى دوين، من إقليم (آران في أذربيجان) مع أخيه أسد الدين شيركوه.

السائل: نسبك؟

صلاح الدين: أنتسب إلى أسرة كردية من أكراد الداوية.

السائل: ولادتك؟

صلاح الدين: شاء الله أن أولد في قلعة تسمى (تكريت) قرب بغداد عام ٥٣٢ هـ، ثم ترعرعت في الموصل.. وقضيت فترة شبابي في بعلبك.. تدربت فيها على الفروسية ومقاتلة الرجال.. وممارسة السياسة.

السائل: عملك في دمشق؟

صلاح الدين: أسندت إلي رئاسة الشرطة فيها.. فطهرت المدينة من عبث اللصوص والقتلة.. وجعلت الأمن والاستقرار مستتبا.

السائل: وفي مصر؟

صلاح الدين: خرجت مع عمي أسد الدين شيركوه لنجدة (شاور السعدي) الذي ثار ضد الخليفة الفاطمي العاضد.. وتمكنت مع عمي من ضم مصر إلى حكم نور الدين محمود سنة ٥٦٤هـ..!

السائل: صلاح الدين الأيوبي ما علمك؟

صلاح الدين: حفظت القرآن الكريم.. فهمت قواعد اللغة.. عرفت مبادئ النحو.. تفقهت بالدين.. ولزمت المسجد الأموي في دمشق.. أجلس إلى العالم عبدالله بن عصرون.. فاقتبست الكثير من علمه.. وتوجيهاته.. وخلقه.

السائل: صلاح الدين الأيوبي.. أيها القائد المظفر! ما الذي جعل القائد الفرنسي (غورو) عند دخوله دمشق واحتلاله.. يخاطب قبرك بقوله: ها قد عدنا يا صلاح الدين؟!

صلاح الدين: يفرحون بانحسار الدين الإسلامي وضعف المسلمين لأنهم يخافون من انتشار عدله، وسيطرة حكمه!

السائل: كيف انتصرت على أعدائك؟

صلاح الدين: بالإيمان بالله.. واتباع نهج السلف الصالح.. قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ (الحج).

(يخطو عدة خطوات إلى الوراء وقبل مغادرته المسرح.. يظهر راويان، يضع صلاح الدين يده على بطنه ووجهه متجه نحو المخرج).

الأول: غشيت صلاح الدين حمى صفراوية، واشتد عليه المرض، ومات فجر الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة ٥٨٩هـ.

الثاني: مات وعمره سبع وخمسون سنة، لم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهما ناصريا.

الأول: ودينارا واحدا، ولم يخلف مالا ولا عقارا ولا بستانا ولا مزرعة.. ولا شيئا من الأملاك.

الثاني: يا صلاح الدين.. نم هنيئا في قبرك.. رحمك الله وغفر لك، وأدخلك فسيح جناته!!

يبدأ إغلاق الستار وصوت المقرئ يرتل: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ **(الفجر)**

«ستار»

عبد اللّه بن حذافة السهمي

بقلم: محمد رفعت زنجير – سورية

مسرحية تاريخية من فصل واحد

شخصيات المسرحية:

- الصحابي: عبد الله بن حذافة السهمي (رضي الله عنه).

- ملك الروم: قيصر.

- أسير يهودي.

- أسير فارسي.

- حارسان.

- أنطونيو أحد النبلاء.

- خدم وجنود..

- الزمان: السنة العشرون للهجرة، أثناء خلافة أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب.

- المكان: سجن روماني.

المنظر: سجن روماني، يظهر فيه حارسان، وثلاثة أسرى، هم: أسير فارسي، وأسير يهودي، والأسير المسلم عبد الله بن حذافة" (الحارسان على انفراد)

الحارس١: أبشر يا صاحبي، لقد اقتنع أخيرا.

الحارس ٢: أيهم؟.

الحارس ١: المسلم.

الحارس ٢: أمتأكد مما تقول؟

الحارس١: إذا كنت متأكدا أني أمامك.

الحارس٢: حسنا، رائع... والآخران؟

الحارس١: الآخران غبيان لا جدوى منهما.

الحارس٢: حقا، لقد أدركت ذلك لأول وهلة.

الحارس١: هذا اليهودي ما يفتأ يتأوه ويبكي، ويذكر تجارته وزوجته.

الحارس٢: والفارسي؟

الحارس١: إنه لا يختلف عنه كثيرا.. الزوجة، والمال، والأولاد، والوطن.. والنار أيضا..

الحارس٢: إنه مجوسي.

الحارس ١: ومتعصب جدا...

الحارس ٢: والمسلم؟

الحارس ١: انظر إليه.. الآن فرغ من صلاته.. إنه لا يتوقف عن الصلاة، إلا ليتمتم بأشياء لا أعيها.. أو ليكلم هذين السجينين.

الحارس ٢: بماذا؟

الحارس ١: لا أدري، ولكني أرى على وجهيهما امتعاضا كلما سمعا حديثه..

الحارس ٢: أهو ثقيل إلى هذا الحد؟

الحارس ١: بالعكس تماما..

الحارس ٢: أمر غريب...

الحارس ١: حقا...

الحارس ٢: تعال نكلمهم. (**يقتربان من الأسرى الثلاثة**)

الحارس ١: هيه.. أيها اليهودي.. ألن تؤمن بعيسى كما آمن هذا المسلم..؟

اليهودي: لا...

الحارس ٢: أحمق.. إني لأستغرب كيف يجتمع جشعك وسجنك...

الحارس ١: هذا صحيح يا عزيزي... فإما أن تتخلى عن جشعك، وتقعد في السجن مستريحا... أو تتنصر وتعود إلى مالك وزوجتك

اليهودي: لا هذا ولا ذاك... أفهمتما؟ كفا عن المحاولة.

الحارس ١: لقد دفعنا لك مئة دينار مقابل أن تتنصر، ورفضت.. كم تريد؟!..؟ أتظن أنك تساوي هذا المبلغ؟

الحارس ٢: إنه جشع، لربما كان يبغي ألفا أو أكثر... معنى هذا، أنه سيقاسمنا الجائزة..

الحارس ١: ألم أقل لك؟ دعه، إنه يهودي، لا فائدة من الحديث معه... (**يقتربان من الفارسي**)

الحارس ٢: إيه.. وأنت أيها الفارسي المجوسي، ألن تأخذ مئة دينار. وتتنصر. وتعود إلى أهلك وبلدك؟

الفارسي: لا ..

الحارس ١: إن دماغك ليس أقل جفافاً من دماغ اليهودي صاحبك.. قل لي: هل أنتما أخوان؟

الفارسي: لا ..

الحارس ٢: نعرف هذا يا غبي.. ولكنه سؤال تهكمي! وما أظنك تعرف معنى تهكمي.. لكن قل لي: لماذا لا تؤمن بعيسى، وهو مخلص العالم، إنه ابن الله.. أتعرف معنى هذا؟

الفارسي: أنا لا أؤمن بغير النار إلها. هذا دين آبائي، ولو كان هناك دين خير منه لاعتنقه كسرى المعظم.

الحارس ٢: إن كسرى ليس أقل غباء منك يا صديقي.. إن النار التي تعبدونها أستطيع إطفاءها برش الماء عليها.. وهذا إن لم أقل شيئا آخر، لا يليق بمركزي المحترم.

الفارسي: إن النار التي تشتمها أنت خساسة وغباء، هي روح الوجود، وأقوى ما فيه.. قل لي: لو اشتعلت النار بالسجن، ألا تركض أنت مذعورا مثل فأر حقير.. ولو أنك عدت إلى بيتك اليوم فوجدته محترقا بما فيه، فماذا عساك تفعل.. وماذا يفيدك ماؤك والشيء الآخر أيها المحترم؟

الحارس ١: دعه يا عزيزي.. ألم أقل لك: إنه لا يختلف عن صاحبه اليهودي..؟

(ينصرفان إلى المسلم)

الحارس ٢: وأنت، أيها المسلم.. ما اسمك؟ اعذرني، فهذه المرة هي الحادية عشرة والأخيرة التي أسألك فيها عن اسمك..

عبد اللّه: لا، ستسألني فيما بعد، فقبل الآن، أتيت تقول لي هذه هي المرة العاشرة والأخيرة التي أسألك فيها عن اسمك.. اسمي عبد اللّه بن حذافة السهمي..

الحارس ٢: لا تؤاخذني، فأنا كثير النسيان هذه الأيام. إن الذين يتحملون واجبات كثيرة، ينسون كثيرا.. ولكن قل لي: أحق ما قاله صديقي؟

عبد اللّه: وماذا قال؟

الحارس ٢: بأنك آمنت بعيسى.

عبد اللّه: أنا مؤمن منذ آمنت بمحمد.

الحارس ٢: ما محمد؟ ألم تكفر به؟

عبد اللّه: كيف أكفر به وهو الذي هداني إلى الإيمان باللّه؟.

الحارس ٢: إذن. فأنت لم تتنصر؟

عبد اللّه: لا..

الحارس ٢: **(للحارس ١ على انفراد)** هل خدعتني؟

الحارس ١: كنت أظنه تنصر حين قال: إنه يؤمن بعيسى. الآن يقول: لا.. هذا لم أفهمه..

الحارس ٢: ولا أنا.

الحارس ١: والعمل؟

الحارس ٢: أخشى أن تضيع علينا جائزة قيصر؟

الحارس ١: اسمع، إن قيصر يريده أن يؤمن بعيسى، ويكفر بمحمد، أليس كذلك؟

الحارس ٢: بلى..

الحارس ١: ونحن جعلناه يؤمن بعيسى فقط، وبذلك ننال نصف الجائزة.. إنها تكفينا على أية حال..؟

الحارس ٢: أتظن غباءك ينطلي على رجل عاقل، حتى ينطلي على قيصر.. اسمع لو أنك ذكرت له ما قلته لي فسيكون له أحد موقفين..

الحارس ١: ما هما يا صديقي؟

الحارس ٢: إما أن يضحك حتى يستلقي على قفاه، ثم يضمك إلى فرقة المهرجين..

الحارس ١: وإما...؟

الحارس ٢: أن يأمر بقطع رأسك..

الحارس ١: إذن لا فائدة.. والجائزة ضائعة لا محالة!

الحارس ٢: هناك حل وحيد لدينا.. أو محاولة أخيرة قبل أن يصل قيصر، وهو واصل بعد قليل..

الحارس ١: كيف؟

الحارس ٢: تعال معي (**يقتربان من عبد الله**).

اسمع يا عبد الله.. هذه المرة لم أنس اسمك.. إن الوقت أصبح الآن كالسيف، وهو فرصتك وفرصتنا ولن نكتمك الأمر... إن قيصر قد وعد بجائزة قدرها عشرة آلاف دينار لمن يستطيع تنصير واحد من أصحاب محمد... ونحن مستعدون أن نقاسمك الجائزة... لك النصف، ولكل واحد منا الربع... وهي فرصتك الأخيرة وإلا فلن تلقى مصيرا غير الموت... ماذا قلت؟

الحارس ١: لا شك أنه اقتنع... إنه شهم وعاقل، وينظر بعيدا... ولن يستطيع مواجهة قيصر على أية حال...

عبد اللّه: لو دفعتما المبلغ كله ما تركت ديني.

الحارس ١: تريد أكثر من عشرة آلاف؟ ومن أين نأتيك بما تريد؟

الحارس ٢: اسمع يا رجل... يا عبد اللّه.. لا تكن غبيا كاليهودي والمجوسي... حين ترفض عرضنا فستموت قسرا... دون أن يدري بك أحد، إن أكثر الناس يموتون في سبيل لا شيء، وهم يحلمون بالبطولة...

الحارس ١: ترفض خمسة آلاف دينار؟ مقابل كلمة؟ أخبرني كيف يكون الجنون؟

عبد اللّه: حين نزن الإيمان بالباطل، نكون دخلنا بابه.

الحارس ٢: أتظن دينك يختلف عن غيره؟

عبد اللّه: هذا يحتاج إلى عقل قادر على الحكم...

الحارس ٢: وتستعلي علينا أيضا؟

عبد اللّه: بل أضعكما أمام نفسيكما...

الحارس ١: أقسم بأني لم أفهم شيئا مما يقول هذا الرجل... اسمع يا عزيزي، أعطني مئة دينار، وأعتنق أي دين تريد.

عبد اللّه: (**يضحك**)

الحارس ٢: اسمع يا سيدي... قد تكون غنيا لا تعبأ بالمال خلافا لغيرك من الأغنياء... وقد تكون يائسا بائسا تنتظر الموت، قد تكون واقعا تحت سيطرة فكرة خرافية تجعلك كالمهووس... لكن الأمر يختلف تماما بالنسبة لنا.؟

عبد اللّه: وما شأني أنا؟

الحارس ٢: لا... هذا لا يجوز أبدا... أن تفكر بنفسك فحسب، بهذا الشكل المرعب... إن صدق أي دين يكمن في مدى ما يقدمه للآخرين...

عبد الله: أنا لا أبخل بشيء على أحد... إلا بديني، فهو ليس موضع مساومة.

الحارس ١: يا رجل... كن عاقلا... كن رحيما... آه... ماذا أقول لك...؟ إن الجائزة مسألة مصير بالنسبة لنا نحن الاثنين... إن علي ديوناً لا يعلمها إلا الله، الذي تؤمن به أنت، أو أؤمن به أنا.

الحارس ٢: وكذلك أنا علي التزامات كثيرة، ومطامح أكثر، ولدي زوجة لا حدود لطلباتها... يجب أن تقدر هذا كله، مقابل كلمة تقولها، وتعود عنها متى أردت... المهم أن تقولها مرة واحدة أمام قيصر... ماذا قلت؟

عبد الله: لو كان لدي من المال ما يسد رغبة كل منكما لفعلت، ولكن...

الحارس ١: يا سيدي، ليس هذا وقت فلسفة، قل: موافق، وخلصنا...

عبد الله: لا. (**يسمع صوت بوق من الخارج**)

الحارس ٢: لقد ضاعت الفرصة، وأتى قيصر... هل سررت أيها الغبي؟

(يدخل قيصر، والنبيل أنطونيو، وحرس)

قيصر: (**للحارسين ١، ٢**) اخرجا...

الحارسان ١، ٢: أمر مولانا العظيم (**يخرجان**)

قيصر (**للأسرى**) هل أعجبكم المهرجان؟ لقد أرسلتهما لتسليتكم...

عبد الله: لقد قاما بمهمتهما على خير وجه.

قيصر: أيكم من أصحاب محمد؟

عبد الله: أنا...

قيصر: واليهودي؟

اليهودي: أنا يا مولاي.

قيصر: (**للفارسي**) وأنت المجوسي بالطبع...

الفارسي: نعم يا مولاي...

قيصر: حسنا، الآن ستبدأ لعبة المبارزة، بين الموت والحياة، **(لأنطونيو)** ما رأيك أن نبدأ بالمجوسي يا أنطونيو...؟

أنطونيو: كما تحب يا مولاي.

قيصر: **(للفارسي)** عليك أن تختار حالا، إما أن تتنصر وتأخذ ألف دينار، وتعود إلى أهلك ووطنك، أو أن تموت...

الفارسي: مولاي... من الصعب على المرء أن ينخلع من دينه...

قيصر: ولكن ذلك ليس أصعب من الموت على أية حال.

الفارسي: لو تنصرت لخنت ضميري، والموت بشجاعة، خير من حياة الخيانة...

قيصر: كما تريد... من إلهك؟

الفارسي: النار المقدسة...، قوة الكون العظمى...

قيصر: لو فكرت قليلا، بعيدا عن أوهامك، لرأيت أن النار التي نصنعها بأيدينا، ونطفئها بإرادتنا، ونحرق فيها واحدا من عبادها، هي أقل من أن تكون إلها... **(لأنطونيو)** قل لرجالنا أن يشعلوا النار يا أنطونيو...

أنطونيو: أمر مولاي. **(توقد النار)**

قيصر: ألقوا فيها هذا المجوسي!. **(يقربونه منها)**

الفارسي: مولاي...

قيصر: هل تراجعت؟

الفارسي: لا... ولكني أقبل أي موت غير الحرق.

قيصر: عجيب... إنها إلهك، أترفض الاندماج بها؟ إننا نحقق لك أمنية كنا نظنها أغلى على قلبك مما نرى...

الفارسي: مولاي، أرجوك...

قيصر: لا يرتجل الأوامر. حتى يتراجع عنها بسهولة... الفرصة انتهت... وعليك أن تقول كلمتك الأخيرة...

الفارسي: لا أطيق الموت بهذه الطريقة يا مولاي.

قيصر: (**لأنطونيو**) نصروه وأعطوه ألف دينار، وخلوا سبيله...

أنطونيو: أمر مولاي. (**يأمر رجاله فيخرجون الفارسي**)

قيصر (**لليهودي**) وأنت؟ تموت أم تأخذ ألف دينار، وتتنصر؟

اليهودي: أنا لا أترك ديني مهما كانت النتيجة.

قيصر: يا عباد العجل والذهب وأية حياة.. ألم يكفك ألف دينار؟ حسنا خذ ألفين...

اليهودي: لا، يا مولاي...

قيصر: اسمع، هذه هي فرصتك الأخيرة... أنا أعرف أنك تساومني، وأنكم أبالسة المساومات، لكن لن أدعك تحقق ما تريد، إلا في حدود إرادتي.. إني أعرض عليك عشرة آلاف دينار والنصرانية، أو ميتة تختارها أنت...

اليهودي: أنا لا أريد الموت، لا أحبه، أكرهه يا مولاي...

قيصر: (**لأنطونيو**) تول أمره..

أنطونيو: أمرك مولاي... (**يأمر رجاله فيخرجون اليهودي**)

قيصر: (**لعبدالله**) وأنت أيها المسلم، ما اسمك؟

عبدالله: عبدالله بن حذافة السهمي.

قيصر: وهل أنت من أصحاب محمد؟

عبدالله: نعم.

قيصر: أظن أنه قد كان لك عبرة بالمجوسي واليهودي... وإن عليك أن تختار، والأمر ليس هزلا هذه المرة.... يجب أن تنتصر إرادة قيصر.. أفهمت؟

عبدالله:.....

قيصر: أتأخذ عشرة آلاف دينار وتتنصر، وتعيش عندنا معززا مكرما أو تختار لك ميتة شنيعة؟

عبدالله: أعترف بأن طعم الموت مر، ولكنه حين يكون في سبيل الله، يصبح أمنية، أو حلما...

قيصر: عرب، تحبون الشعر، وتجيدون حبكه...

عبدالله: بنفس الدرجة التي نجيد فيها الحرب والسلم...

قيصر: تذكرني بمعركة اليرموك إذن؟ أتظن كسب جولة يعني نهاية كل شيء؟ لا... إن الزمن لن يخمد نار الثأر في صدورنا. وها أنت ذا أسير لدينا مع عدد كبير من أصحابك... اسمع وإذا أنت اخترت الموت، فلن تكون أكثر من حيوان يموت في الصحراء... لن يسمع بك أحد... وحتى ذكر البطولة، الذي قد يراودك الآن... لن تناله، أفهمت؟

عبدالله: لا يهمني شيء مما قلت...

قيصر: تؤدي واجبك فحسب. أليس كذلك؟

عبدالله: أنا أنسجم مع عقيدتي.. لو كانت الحياة مع الكفر أحب إليّ من الشهادة في سبيل الله، لم أكن جديرا بدخول الإسلام.

قيصر: كلكم تراوغون على نحو ما.. ولكنك أبرعهم ولا ريب، لذلك كنت الأخير في الترتيب أيها البدوي الخبيث، اسمع، أعرض عليك مئة ألف دينار...

عبدالله: ديني ليس موضع مساومة أيها الملك... ولو كان المقابل مال الدنيا...

قيصر: ليس لدي مال الدنيا... ولو كان عندي ما عرضته عليك...

عبدالله: ولو عرضته عليّ ما قبلت.

قيصر: إذن، فالموت...(**لأنطونيو**) أنطونيو... أحضروا قدر الزيت المغلي...

أنطونيو: أمر مولاي. (**يأمر الجنود فيحضرون قدرا كبيرا من الزيت المغلي**)

قيصر: هاتوا أسيرا مسلما.

أنطونيو: أمر مولاي. (**يحضرون أسيرا من زنزانة أخرى**)

قيصر: (**للأسير المسلم**) أتترك دينك إلى ديننا أم نلقي بك في هذا الزيت المغلي؟!

(**الأسير ينظر إلى عبدالله، الذي يرفع يديه إلى السماء ويقول: ثبته يا رب**)

الأسير: إن الشهادة في سبيل الله هي المطمح الذي كنت أبحث عنه.

قيصر: (**ساخرا**) وقد وجدته الآن في الزيت المغلي، أليس كذلك؟ ألقوه فيه.

(**يلقونه، وهو يقول بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، وينفصل لحمه عن عظمه، عبدالله يشيح بوجهه، الذي بدت عليه علائم ألم لا حدود له**).

قيصر: قربوا عبدالله من القدر. (**يقربونه**) انظر (**ينظر**) ما رأيك؟

عبدالله: لا أظنه يختلف كثيرا عن رأيك؟

قيصر: وحوش.. أليس كذلك؟

عبدالله: لا.

قيصر: أحط منها؟

عبدالله: بكثير...

قيصر: ألقوه في الزيت المغلي... (**يقربونه منه، فيبكي**)

أنطونيو: إنه يبكي يا مولاي...

قيصر: ردوه. (**يردونه**)

قيصر: هيه... هل تراجعت؟

عبدالله: لا...

قيصر: (**يغضب**) فما الذي أبكاك؟

عبدالله: بكيت، لأني لا أملك سوى نفس واحدة أجود بها في سبيل الله، وددت لو كان لي من النفوس بعدد شعر جسمي لأبذلها جميعا في سبيل الله...

قيصر: (**متأملا، متأثرا**) ما هذا يا أنطونيو؟ أيمكن أن يكون هذا الرجل بشرا..

أنطونيو:... يا للعجب!

قيصر: أنا لم أقابل رجلا مثله قط... (**لعبدالله**) اسمع يا عبدالله: من العبث أن أخفي إعجابي بك... إني أعرض عليك نصف ملكي، وأعدك أن تكون ملك الروم بعدي، وأزوجك ابنتي، على أن تتنصر.

عبدالله: لو عرضت عليّ الدنيا ما تركت ديني أيها الملك...

قيصر: الآن أصدقك... اسمع، إذا قبلت رأسي أطلقت سراحك...

عبدالله: وسراح جميع الأسرى المسلمين؟

قيصر: لك ما تريد... (**يقترب عبدالله من قيصر ويقبل رأسه**)

قيصر: أطلقوا سراح جميع الأسرى المسلمين. (**لأنطونيو**) لوددت لو كان في رجالي رجل واحد كأصحاب محمد.

عبدالله: بإمكانك أن تجعل جميع رجالك كأصحاب محمد أيها الملك.

قيصر: كيف؟

عبدالله: بأن يصبحوا مسلمين.

«ستار»

الشهادة

بقلم: د. غازي مختار طليمات – سورية

مسرحية تاريخية شعرية

المشهد الأول

(خيمة كبيرة تظهر فوق أستارها المرفوعة بأعمدة من خشب وجذوع، أشجار مثمرة، أسلحة من سيوف ورماح، في صدر المجلس زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، وإلى جوارهما خالد بن الوليد ومجاهدون من المهاجرين والأنصار، يدخل الخيمة جعفر بن أبي طالب، وينقل بصره في أرجاء الخيمة).

جعفر: التين والزيتون والأعناب في مَعَانْ

دانية الجنى لكل جانْ

أَنَحن في الميدان يا زيد أم الجِنانْ؟

زيد: لو كانت الجنة كالوارف في مَعَانَ

والبلقاءْ

أو جِلَّق الفيحاءْ

ما حنت الأرض إلى السماءْ

ولا هفت قلوبنا شوقا إلى اللقاءْ

جعفر: لقاء مَنْ؟ قيصر أو رضوانْ؟

زيد: إنَّ اللقاء بهما سيَّانْ

جعفر: سيان؟ قل: شتَّان ما بينهما شتَّانْ!

أين لقاء العلج من لقاء من يفضي إلى الجِنانْ!؟

زيد: لقاء علج الرومْ

درب لما ترومْ

وسلَّم يصعده الشهيد كي يعانق النجومْ

حينئذ يخترق المكان والزمانْ

إلى جنان الخلد في ثوانْ

(عبد الله بن رواحة يلصق خده بالأرض، طالبا ممن حوله أن يلزموا الصمت بإشارات متعاقبة).

جعفر: ما الأمر عبد الله؟

عبد الله: وقع فرس يجري على الهضابْ

يا خالد انظرْ

(يخرج ابن الوليد رأسه من باب الخيمة مستطلعا)

خالد: لست أرى إلا ذيول الريح والسرابْ

عبد الله:**(وخده على الأرض)** يا ابن الوليد انظر بعين هدهد يخترق الترابْ

أو عين صقر تنطوي في هدبها السماءْ

عبد الله:**(بعد لحظات صمت)** أسمعه يشتد، أو يمعن في الجري والاقترابْ

جعفر: يا ابن رواحة الصدى يصافح الأطنابْ

(يخرج جعفر وينضم إلى خالد)

خالد: أرى عجاجا ثائرا وفارسا يجري على جوادْ

عبد الله: يا ابن الوليد انظر،أ ذا عباد أم فارس يسوقه الشوق إلى الجهادْ

خالد: أظنه ابن قومك الخزرج يجتاح مدى البيداءْ

عبد الله: **(وبعد خروجه من الخيمة)** يسابق الرياح والأصداءْ

خالد: نعم هو ابن قيس العين التي لا تعرف الرقادْ

عبد اللّه: لعله رأى الذي يكيده الأعداءْ

فعاد من مربئه كالنيزك الوقَّادْ

يفضح ما يحاك من مكر وما يكادْ

عباد بن قيس: **(وهو ينزل عن فرسه متقطع الأنفاس)** جعفر، عبد اللّه، أين القائد ابن حارثةْ؟

زيد: **(خارجا من الخيمة)** ويلك ما رأيت في البلقاءْ؟

عباد: إعصارا يحوك كارثةْ

رأيت جيشين من الرومان والأعرابْ

غابين من لوامع السيوف والرماح والحرابْ

وراء هذا التل من عجلون والسلط إلى مؤابْ

زيد: كم حشد الجمعان من سيوفْ

كأنها الجراد إذ تقذفه نجد أو الهفوفْ

زيد: أما سألت عنهمُ؟

عباد: بلى، سألت القوم في خفاءْ

فأظهروا ما أضمروا، وانكشف الغطاءْ

عن شرك ينصبه للمسلمين الشرك والدهاءْ

هم مئتا ألفٍ

زيد: وممن هذه الألوفْ؟

عباد: الروم شطر القوم، والشطر من البهراءْ

ومن بني القين ولخم وجذام وبليّ

تموجوا كالبحر كالطوفان كالسيل العتيّ

زيد: ومن على الأعرابِ؟

عباد: عفريت، يسمى مالك بن رافلةْ

يرفل تحت راية الكفر أمام القافلةْ

مباهيا بالغدر والمروقِ

زيد: يا ويل الشقيّ

(زيد بعد تأمل وتجول أمام الخيمة وبعد دخوله الخيمة مع صحبه)

زيد: ما الرأي يا قوم، ومن يدرأ تلك النازلةْ؟

جعفر: نحن هنا القادة فلنعالج الأمر العصيّ

خالد: **(يهم بالخروج)** أمضي إذن فلست إلا أحد الأجنادْ

زيد: لا تمضِ، إن الرأي للأجناد والقوادْ

أنت من القادةِ

جعفر: فلنكتب بهذا للنبيّ

ثلاثةٌ آلافُ من جنودنا تضيع في اللقاءْ

في مئتي ألف كما الهباء في الفضاءْ

أو حفنة الحصى إذا طغت عليها موجة من ماءْ

عبد الله: بأي شيء أمر النبيّ

خالد: إني أذكر أمر زيداً

عبد الله: فهو بالإمرة منا أجدرُ

خالد: وقال: إن أُصيب زيد فالأمير جعفرُ

عبد الله: وإن أُصيب جعفرُ

خالد: فابن رواحة الذي يُؤَمَّرُ

جعفر: لكنه قال الذي قال، ولم يشاهدِ الحشودْ

ولو رآها تملأ الشعاب والنجودْ

قال لنا: عودوا إلى الحجاز بالجنودْ

عبد الله: أخطأت يا جعفر قد رآها

بمقلتي جبريل رأي العين من بعيدْ

لقد رآها قبل أن يحشدها ربّاها

جعفر: وما الدليلُ؟

عبد الله: دولة اللواءْ

توارث الراية إن حمَّ على حاملها القضاءْ

خالد: أما تساءلت: لماذا وُليِّ القادة بالتوالي؟

جعفر: بلى، ولكن لم أجد ردا على سؤالي

خالد: هل أمَّر النبي قبل هذه الغزوة غير واحدٍ؟

جعفر: لا، لا

خالد: فما تأويل أن تقودنا من بعد موت القائدِ؟

جعفر: لعله أن يشفع منا ساعدا بساعدِ

عبد الله: أ يشفع الميت بالحيِّ؟

جعفر: وكيفَ؟

خالد: (**مشيرا إلى عبد الله**) ما وعى مقالي

خالد: (**متجها إلى عبد الله**) بشره عبد الله

عبد الله: أبشر إنها الشهادةْ

عبد اللّه: (**مشيرا إلى جعفر وزيد**) تضيء في رقابنا الثلاث كالقلادةْ

خالد: يا ليتني الرابع كي أظفر بالجنة لا القيادةْ

عبد اللّه: لا تأس فالنبيُّ أبقى خالداً لكل فتحٍ خالدِ

خالد: كل خلود بائدٌ إلا خلودَ الجنةْ

تقودنا إلى حماها الخيل والأعنةْ

إن لم أفز بها ففيم حملي السيوف والأسنَّةْ؟

عبد اللّه: من يشتعل بمثل هذا الشوق فهو بالغٌ مرادهُ

خالد: (**بعد صمت ونظر إلى زيد**) مالك يا زيدُ؟

أراك واجما أضائق الصدر بما تسمع مني أم تراني واهما؟

زيد: لا ذا، ولا ذا، بل ذهلت حالما

خالد: تحلم بالمجدِ

زيد: نعم، برحلة والنفس مطمئنةْ

حواركم قد أضرم الحنين حتى خلتني أسيرْ

في كنف الفردوس، والعبير من جراحتي يفورْ

تلثمه لثم الفراش للندى العذب شفاه الحورْ

جعفر، ما تظنني؟ أزاعما أم واهما؟

جعفر: لا، لا أظنُّ

بل أرى كل الذي صورته مؤتلقا

أرى جناحيَّ يجوزان الجنان أفُقا فأفقا

أشتمُّ منها عبقا ثرا، وأحسو غدقا

فلننطلق غدا إلى الجهاد حتى شوطِه الأخيرْ

و«مؤتة» المضمار إن شقَّ الشعاع في السماء الفلقا

المشهد الثاني

(خيمة رابضة على رابية، تطل على ميدان المعركة، تسمع من بعيد حمحمة الخيل وصليل السيوف، في الخيمة رجال يضمدون الجرحى من المسلمين. يدخل واحد منهم).

أحد المضمدين: من ذا الذي أدماك يا أنصاري؟

الأنصاري: علجان من خلفي، وعلج مر عن يساري

نازلتهم بسيفي البتارِ

أرديت الاثنين بيمناي وباليسرى اقتنصت الشاردا

خنقته، حتى رأيت الموت يغشاه، فخر ساجدا

وحزَّ وهو ساجد بسيفه الرعديد هذا الساعدا

المضمد: لله أنت بطلاً مجاهداً

نحرت نعجتين من قطيعهم ثم خنقت الثالثةْ

الأنصاري: البطل الحق الفتى ابن حارثةْ

أجل أجل، هو البطل

كر كرور السيل لا يثنيه واد أو جبلْ

وراية النبيّ فوقه تمور بالأملْ

وحوله غسان والرومان تحت غابة من الأسلْ

المضمد: يا للفتى!! ماذا فعلْ؟

الأنصاري: أرسل فيهم سيفه كالمنجل المرسل في السنابلِ

يحصد ما يقصد من هامٍ على الكواهلِ

المضمد: وهل نجا من غابهمّ؟

الأنصاري: ما كرَّ كي ينجوَ أو يفوتْ

بل كرَّ كي يُميت أو يَموتْ

المضمد: هل قتلوهُ؟

الأنصاري: بعدما روع ألف قاتلْ

المضمد: وراية النبيِّ

الأنصاري: قد بكت على زيد بكاء ثاكلْ

المضمد: وهل سباها الروم؟

الأنصاري: لا، بل نهضت عن شلوه تناضلْ

المضمد: ويحك، قد بالغتَ

الأنصاري: لا..

المضمد: بالغتَ، أي راية تقارعْ؟

الأنصاري: تلك التي يجعلها رمحا كميٍّ بارعْ

فهو بها من غير درع دارعْ

يَصرع أو يُصرع، لا يثنيه عن غايته المصارعْ

المضمد: من ذلك الكميُّ يا أوسيُّ؟

أ جعفر؟

الأنصاري: نعم، مضى كما قضى النبيُّ

براية الإسلام وهو بالردى رضيُّ

(يدخل عبد الله بن رواحة ويده نازفة الجرح)

عبد الله: إلي بالضمادِ

المضمد: عبد الله ما لكفكْ؟

عبد الله: جراحة تنزفْ

المضمد: لا تُرَعْ أخي بنزفكْ

وابسط يداً ما انقبضت إلا لكي تقبض نصل سيفكْ

للّه أنت من فتى في ساحة الجهاد مستميتْ!

ما هذه الإصبعُ؟

عبد الله: ضمدها، وضمد فاك عن مدحيَ بالسكوتْ

فلو عراك ما عراني مت من خوفك حتف أنفكْ

المضمد: أخفت عبد الله جيش الرومِ؟

عبد الله: خوف الطفل من عفريتْ

ثم غسلت القلب بالإيمان من هوانه المكبوتْ

فأصبح العفريت أوهى رهبة من هدبةٍ في طرفكْ

(بعد فترة صمت، وبعد أن يطيل عبد الله النظر إلى يده المضمدة)

عبد الله: إن أنت إلا إصبع دميتِ

وفي سبيل الله ما لقيتِ

لم تخلقي لخاتم من ذهب يبرقُ أو ياقوتِ

إن أنتِ لم تبقي على سيفي مسلولا فلا بقيتِ

(يدخل جريح نازف الجرح، ويتجه إلى عبد الله بن رواحة)

الجريح: يسأل عنك الجند عبد اللهِ

عبد الله: عني سألوا؟

الجريح: نعم، وقالوا أنت بعد جعفرٍ قائدهم والأملُ

عبد الله: وهل أصيب جعفرٌ؟

الجريح: إصابة ينهد منها جبلُ

لكنه أقدم لا ينكص خزيان، ولا ينخذلُ

الجريح: (**نحو المضمد ويده على جنبه النازف**)

كأن جنبي جنب شخص ثانِ

عبد الله: ويحك ما أبصرتَ؟

الجريح: أبصرتُ ما هون ما أحتملُ

أبصرته يشق بالراية جند الرومِ

شق المقص العضب للقرطاس للأديمِ

عبد الله: ما فعل الرومُ؟

أحاطوا بالفتى الوثابِ

سورا من الذئاب والحِرابِ

عبد الله: ألم يُرَعْ؟

الجريح: بل راعهم بسيفه اللامعِ كالشهابِ

فانتثرت رؤوسهم تناثر البغاث من عقابِ

عبد الله: كيف نجا؟

الجريح: لم ينجُ بل أصيب، حُزَّ الساعدُ

حتى ارتمت يمناه من مرفقها، وما ارتمى المجاهدُ

عبد الله: هل سقطت رايتهُ؟

الجريح: بل بقيت تجالدُ

قد سقطت يمناه فوق الأرض، واليسرى إلى السماءِ

صاعدة براية النبي مثل الصعدة السمراءِ

وعادت الزحوف بالسيوف والذئاب بالأنيابِ

لتفرس الفارس كي تمرغ الراية بالترابِ

عبد الله: أما انحنى؟

الجريح: لو انحنى بها انحنت بها منا الرقابِ

عبد الله: أما انثنى؟

الجريح: لو انثنى لنكصت بالأرجل الأعقابِ

كَرَّ على الزحوف والصفوفِ

وأشرس السيوف في طريقه تطوف بالحتوف

عبد الله: ألم يخفْ من الردى؟

الجريح: كيف يخاف وهو للردى أتى؟

ومنذ ولاه النبي والمنايا عنده هي المنى

والألق القدسيُّ للجنة بين مقلتيه قد زها

ألا يخاف الخوفَ أن يمر بين هذه الطيوفِ؟

عبد الله: بلى، ولكن أين من يُبلي بلاء جعفرْ

الجريح: صبرا أبصِّرك بما أبلاه وهو أبترْ

بعد ارتماء ساعديه كادت الراية أن تحدَّرْ

فشدها بالعضدين فارتقت خفاقة السجوفِ

عبد الله: بالعضدينِ؟

الجريح: قل بجذموريهما قد رفع الشراعْ

يخفق فوق لجة من جيشنا الشجاعْ

فانقض من علوجهم أربعة سراعْ

من أربع الجهات كالسور إذا تدورْ

أغمد كل حاقد في صدره سلاحهْ

عبد الله: يرحمه اللهُ

الجريح: وقال حين فاضت روحه: رواحةْ

عبد الله: (**وهو خارج من خيمة الجرحى**)

أقسمت يا نفسُ لتنزلنَّهْ

طائعة، أولا، لتكرهنَّهْ

هل أنت إلا نطفة في شنَّةْ

جعفر ما أطيب ريحَ الجنَّةْ

الجريح: جعفر ما أطيب ريحَ الجنةْ

جعفر ما أطيب ريحَ الجنةْ

المضمد: ويلك، أرسلت الفتى إلى الردى

من بعد ما ريع، وما ترددا

الجريح: أخرجته من حفرة الحيرة حتى يستبين الرشدا

يسفر والنفس إلى سفارة النبي مطمئنَّةْ

المشهد الثالث

(خيمة شدت أطنابها إلى جذوع نخل، وعلقت على جدرانها، وعلى جذامير السعف المقطوع سيوف ودروع. خالد بن الوليد وعباد بن قيس والجريح الذي شجع عبد الله ابن رواحة في الخيمة).

عبَّاد: (**نحو الجريح**) مالك مذ عدنا إلى تهامةْ

منكسر الجفنين، تلوي عنقا وهامةْ

كالمذنب الغارق في الندامةْ

الجريح: أذكر عبد الله محمولا على الأعناقِ

فأنثني ألتمس العزاء في الإطراق والأشواقِ

كعاشق مفارق، يصبو إلى التلاقي

خالد: أقصرْ، فهذا هاجس من نفسك اللوامةْ

يرحمه الله، فقد أغار حياً أحسن الإغارةْ

وميتا، كان سفيرا للنبي طاهر السفارةْ

لا تبك، فالمبكيُّ في جنته يرفل في النضارةْ

الجريح: ونحن من أجسادنا نصبو إلى انعتاقِ

عبَّاد: أليست الجنة يا خالد من هذي الحياة أبقى؟

خالد: بلى، وأرقى جوهرا وأنقى

عبَّاد: فلِمَ إذنْ أنزلتني، وخلف عبد الله كدتُ أرقى؟

خالد: رأيت أن النصر في العودة لا التلاقي

فعدت بالجيش وشوق الناس للجنة في الأحداقِ

عبَّاد: من بعد ما أخرجت سيفي العضبَ من قرابي

وقلت: يارِجْلُ اثبتي في حلقة الركابِ

قيل: ارجعوا، فلم يكن بدٌّ من الإيابِ

خالد: عباد ما الجهادُ؟

عبَّاد: تضحية، فجنة تُرادُ

خالد: بينهما ثالثة، يهفو إليها الجند والقوادُ

عبَّاد: وما التي بينهما؟

خالد: شمس تزيل غبش الضبابِ

عباد: ماذا عنيتَ؟

خالد: حَمَلَنا النور إلى الأنامْ

ودمك الزيتُ الذي يوقد كي يبدد الظلامْ

أحرقه في المصباحِ

لا ترقه في الأقداح كالمدامْ

ليستضيء بالسنا القدسيِّ كل جبل ووادْ

الجريح: هذا الذي أراده عبادْ

خالد: لا لم يُرد، أراد صبَّ الزيت في البطاح لا المصباحْ

لن أهرق الدم الذي سيصنع الصباحْ

أنقذته من نفسه من سورة الجماحْ

الجريح: حرمته الشهادةْ

خالد: لله، لا.. لي، هذه الإرادةْ

أرجأتها للنصر، لليوم الذي تختاره القيادةْ

حينئذ ترنو إلى الشهادة الأرواحْ

وتدرك الأمر الذي ترومْ

عبَّاد: أينَ؟

خالد: بوادي النيل أو دجلةَ أو عند تخوم الرومْ

فكل ما ذرت عليه الشمس، أو أطلَّتِ النجومْ

ساحٌ لنا فِساحْ

حتى يظل الكون كلُّ كوننا السماحْ

ويطرح الإنسان عن منكبه السلاحْ

ويعمر السلام كل بقعة حررها الإسلامْ

من ترهات الشركِ والظلامْ

عبَّاد: أيبلغ الجهاد بالإنسان كل هذه الآفاق؟

خالد: نعم، ويروي كل ما في القلب من أشواقِ

في عالم يعمره الإيمان والأمان والوئام.

عباد: وما الذي تفعل في عالمنا الشهادةْ؟

خالد: تشق كل طرق السعادةْ

بوهجها يحترق الأشرار كالشرارْ

من نسغها تبرعم الأزهار في الأشجارْ

ودمها يلون الخدود في الصغارْ

وصدرها للشهداء جعفر وصاحبيه دارْ

لأنهم قد وفدوا فأحسنوا الوفادةْ

(تطفأ أضواء المسرح مصباحا إثر مصباح، وتسدل الأستار ببطء، وعبَّاد والجريح يرددان):

أقسمتُ يا نفس لتنزلنَّهْ

طائعة، أولا، لتكرهِنَّهْ

جعفرُ ما أطيبَ ريحَ الجنَّةْ!

نؤمُّها والنفس مطمئنَّةْ.

«ستار»

الرؤيا الصادقة

بقلم: علي محمد الغريب – مصر

(الزمان: سنة ٥٥٧ هجرية).

(المكان: بهو فسيح في دار السلطان العادل نور الدين محمود زنكي بالشام.. نرى جنود الحراسة في البهو.. دهليز يفضي إلى حديقة الدار.. الوقت بعد منتصف الليل).

جندي١: ترى ماذا يقلق السلطان؟

جندي ٢: ربما يكون مريضا فأنت تعرفه يرهق نفسه أكثر مما ينبغي.

جندي ١: لا.. الأمر ليس مجرد مرض.. هناك أمر خطير..

جندي ٢: الأمر لن يعدو ما قلته لك، غير أنك تحب أن تحمل الأمور أكثر مما تحتمل.

جندي١: يا صاحبي.. السلطان قلق على غير عادته عندما يكون مريضاً.

جندي ٢: ماذا تعني؟

جندي ١: أعني.. أعني.. لا أدري.. ولكنّ هناك أمراً جللاً، فالسلطان عرفناه صبوراً محتسباً في مرضه، وكثيراً ما مرض ولم يشعر أحد ممن حوله بمرضه.

السلطان: (**يجتاز البهو متوجهاً نحو الحديقة**) السلام عليكم.

الجنديان: (**يقفان في إجلال**) وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (**لحظة ثم يعود السلطان إلى حجرته بعد أن توضأ**).

جندي ٢: ماذا تقصد بالضبط؟

جندي ١: أقصد أن هناك فكرة ما تلح عليه وتقض مضجعه.

جندي ٢: أيكون يفكر في تجهيز الجيش لخوض حرب جديدة؟

جندي ١: لا أدري.

جندي ٢: (**ضائقاً**) لا أدري.. لا أعرف.. إذا كنت لا تدري ولا تعرف، فلا تزعجنا بأفكارك وتوقعاتك.

جندي ١: يا صاحبي إنما.. (**يخرج السلطان موجهاً كلاما للجندي ١**).

السلطان: اذهب من فورك أيها الجندي وائتني بالوزير جمال الدين الموصلي.

جندي ١: أمرك يا مولاي (**يخرج مسرعاً.. أما السلطان فيعود إلى حجرته ويبقى الجندي الآخر وحيداً**).

جندي ٢: (**لنفسه**) يبدو أن هناك أمراً خطيراً كما توقع صاحبي.. اللهم وفق السلطان لما تحب وترضى.

(**يخرج السلطان وهو حائر قلق يزرع أرض البهو ذهاباً وإياباً.. لحظة ثم يعود الجندي الأول ومعه الوزير جمال الدين الموصلي**).

الوزير: (**متلهفاً**) خيراً يا مولاي السلطان، لا أسْهدَ الله لك جفناً.

السلطان: خير إن شاء الله (**للجنديين**) اذهبا واجلسا مع أصحابكما بالخارج الآن.

الجنديان: سمعاً وطاعة يا مولانا (**يخرجان**).

الوزير: حفظ الله السلطان من كل سوء وقلق.. ماذا هناك يا ترى؟

السلطان: بعد أن صليت تهجدي ونمت إذ بي أرى رسول الله ﷺ في نومي وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول: «أنجدني.. أنقذني من هذين»، فاستيقظت فزعاً، ثم توضأت وصليت ونمت، فرأيت المنام عينه، فاستيقظت وتوضأت وصليت ثم نمت فرأيت المنام مرة ثالثة، فقلت: لا ينبغي النوم، ثم أرسلتُ لك، فما رأيك؟

الوزير: ولِمَ قعودك، لنخرج الآن إلى المدينة النبوية، ولكن اكتم ما رأيت.

السلطان: حسناً، سأتجهز للسفر بقية ليلتي، وأنت تجهزْ أيضاً، وسآمر بتجهيز رواحل خفيفة، وكأننا خرجنا في زيارة لمسجد الرسول ﷺ.

الوزير: الرأي ما رأيت.. سأذهب لأجهز نفسي ريثما تكون استعددت، وأمرت بتجهيز الرواحل (**يخرج ثم يعود السلطان إلى حجرته**).

المشهد الثاني

(المكان: بالمدينة المنورة أمام ساحة المسجد النبوي آنذاك.. نرى السلطان ومعه وزيره وجنوده وقد اجتمع الناس من حولهم).

الوزير: (**للناس**) إن السلطان قصد زيارة مسجد النبي ﷺ والسلام عليه وأحضر معه أموالاً للصدقة، فأحضروا من عندكم حتى يأخذ الجميع من عطايا السلطان (**يخرج مجموعة من الناس لينادوا ذويهم**).

السلطان: (**يسلم كل واحد عطيته ثم يتفرسه جيداً حتى يتعرف على الرجلين وقبل أن ينفض الجمع قال للناس**): هل بقي أحد لم يأخذ شيئاً من الصدقة؟

الناس: لا، يا مولانا السلطان.

السلطان: تفكروا وتأملوا.

الناس: لم يبقَ من أحد في المدينة.

رجل: انتظروا يا قوم.. بل هناك رجلان مغربيان، لا يتناولان من أحد شيئاً وهما غنيان صالحان، يكثران الصدقة على المحتاجين.

السلطان: إليَّ بهما (**يخرج الرجل ثم يعود بعد لحظة ومعه الرجلان**).

(السلطان: فيجدهما الرجلين اللذين أشار النبيﷺ إليهما بقوله أنقذني من هذين).

السلطان: من أنتما؟

أحدهما: نحن من بلاد المغرب جئنا حاجّين فاخترنا المجاورة هذا العام عند رسول الله ﷺ.

السلطان: اصدقاني القول.

الثاني: حفظ الله السلطان، نحن لا نقول إلا صدقاً.

السلطان: (**للناس**) أين منزلهما؟

رجل: في رباط بالقرب من الحجرة الشريفة.

السلطان: (**للوزير**) خذ معك بعض الجنود وفتشوا دارهما وائتوني بخبرهما.

الوزير: أمر مولاي السلطان (**يخرج ومعه بعض الجنود**).

رجل: مولاي السلطان، إن هذين الرجلين صائمان الدهر، ملازمان الصلوات في الروضة الشريفة، والسلام على النبي ﷺ، وزيارة البقيع كل يوم، وزيارة قباء كل يوم سبت، ولا يردان سائلاً قط، بحيث سدَّا حاجة أهل المدينة في هذا العام المجدب.

الوزير: (**يدخل ومن خلفه الجنود**) مولانا السلطان، لم نجد في منزلهما إلا كثيراً من المال، وكتباً في الرقائق، ولم نرَ شيئاً غير ذلك.

السلطان: (**في تعجب**) سبحان الله!! (**بعد تفكير**) اسمع أيها الوزير، ابق معهما وسأذهب أنا لأفتش بنفسي (**يخرج**).

الأول: ما ظن السلطان بنا أيها الوزير العادل؟

الوزير: لا تقلقا.. ستعرفان كل شيء الآن.

الثاني: نحن لم نفعل ما يستحق كل هذا.

الوزير: لم يحدث شيء، وأنتما رجلان صالحان بشهادة الجميع ولكن السلطان يريد أن يتأكد من شيء ما.

الأول: هل يشك بأننا مفسدان لا سمح الله؟!

الوزير: لا تنزعجا.. لا تنزعجا.

الناس: الرجلان صالحان ولا يستحقان كل هذا من مولانا السلطان!

الوزير: اهدؤوا جميعاً.

(يدخل السلطان ومن خلفه الجنود وقد بدت على وجهه علامات كشف أمرهما).

السلطان: (**للجنود**) قيدوا هذين الرجلين (**الجنود يقيدونهما**).

الثاني: ماذا حدث يا مولانا السلطان؟

السلطان: أيها الناس لقد وجدت في دار هذين الرجلين سرداباً محفوراً مغطى بالحصير ينتهي إلى الحجرة الشريفة.

الناس: (**في ذهول**) الحجرة الشريفة!!.. الحجرة الشريفة!!.. يريدان نبش قبر النبي ﷺ، عليهما اللعنة!!.

السلطان: نعم يريدان نبش قبر النبي ﷺ.

السلطان: (**للرجلين**) اصدقاني حالكما (**يضربهما ضرباً شديداً**) اعترفا بحقيقة أمركما، وإلا قتلتكما الآن.

الأول: (**وقد خارت قواه**) سأعترف.. يا سيدي.

الثاني: لا تتكلم.. لا تتكلم.

السلطان: (**يضربه في قوة**) اسكت ولا تتكلم (**للرجل الأول**) هات ما عندك.

الأول: نحن يهوديان، بعثنا قومنا في زي حجاج المغاربة وأمدونا بأموال عظيمة، وأمرونا بنبش القبر وسرقة جثمان محمد.

السلطان: وكيف تجرأتما وحفرتما هذا السرداب دون أن يعلم بخبركما أحد.

الأول: (**لا تتكلم**).

السلطان: تكلم أيها الشقي!

الأول: نزلنا في أقرب رباط إلى الحجرة، وصرنا نحفر ليلاً ولكل منا محفظة من الجلد على زي المغاربة، والذي يجتمع من التراب يجعله كل منا في محفظته ثم نخرج ونظهر أننا في زيارة البقيع، ثم نلقي به بين القبور، واليوم لو لم تأت أنت وجنودك، لكنا انتهينا إلى جثمان محمد.

السلطان: (**للوزير**) اضربوا عنقي هذين اليهوديين، ثم احفروا خندقاً عظيماً حول الحجرة الشريفة، وأحضروا رصاصاً وأذيبوه، ثم املؤوا به الخندق حتى يكون حول الحجرة الشريفة سور عظيم من الرصاص، وقد أمرنا بألا يستعمل غير المسلم في أي عمل من الأعمال.

«ستار»

تغريبة جعفر الطيار

بقلم: يوسف وغليسي – الجزائر

(مسرحية شعرية قصيرة في مشهدين)

المشهد الأول

النجاشي: من أنت يا هذا المسربل بالشكوكْ؟

جعفر: «أنا جعفر الطيار»[1] جئت مع الرياح على جناح الرعب يا خير الملوكْ...

النجاشي: من أين جئت؟ وما تريدْ؟!

جعفر: إني أتيتك من بلاد النار.. من وطن الحديدْ!

شيعت أحلامي وأحبابي.. صباي.. وكل ما ملك الفؤادْ..

وجئت كالطير المهاجر أبتغي وطنا جديدْ!

النجاشي: هل من مزيدْ؟!

جعفر: أنا «ذو الجناح»[2]، كما ستعلم سيدي!

الليل عمّر موطني..

والبرد لف جوانحي..

وأنا هنالك في الضحى

متشبث بالنور.. بالشمس المصادَرِ دفؤها..

---

(١) هو جعفر بن أبي طالب (ت ٨ هـ) الصحابي الهاشمي الشهيد، قاد الهجرة الأولى بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم هربا من إيذاء المشركين إلى مملكة الحبشة.

(٢) ذو الجناحين: لقب لجعفر، لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم.

بالدفء في وطني المكبل بالجليدْ!

(الروم روم..) [1]، والرفاق تشتتوا، وتنكروا

لتجدد العهد السماوي التليدْ...

وتحالفوا ضدي، لأني كنت دوما عن طريقي لا أحيدْ!...

لفظتني الأحلام في فج بعيدْ...

وتقيأتني الأرض إذ شربت دمي..

كل الدروب إليك مفضية، لأنك

ملجأ الأحرار من كون العبيدْ...

هاجرت من جسدي الشهيد إليك روحا

لاجئا يا أيها الملك السعيدْ

النجاشي وأساقفته: (يهتفون)

أهلا وسهلا بالفتى العربيِّ.. مرحى عندنا..

نورت مملكة النجاشيِّ المرصع بالعدالة والسعادة والهنا..

نورتها.. نورتنا...

النجاشي: (هامسا في أذن جعفر):

حدثني عن أحوالكم..

ونظام حكم بلادكم؟!

جعفر: (في نفسه)

---

(١) إشارة إلى قول جعفر وهو يقاتل جيوش الروم في موقعة مؤتة:

يا حبذا الجنة واقترابها — طيبة وباردا شرابها

والروم روم قد دنا عذابها — كافرة بعيدة أنسابها

حالي أنا؟!

أحوالهم؟!

أحوالنا؟!

ونظام حكم بلادنا؟!!!

ثم يجهر: من أين أبدأ في الحديث وفي الجوى؟!

ماذا أحدث عن شتاء طالنا؟!

أنا حبة من ألف سنبلة يغالبها الفناء، وفوقنا

صقران يقتتلان يا ملك البلادِ ويهويان على سنابل حقلنا!

لا غالبٌ إلا الخراب ولا ضحية غيرنا!

خصمان يختصمان في بلد الأمانِ يشردان حمامنا..

والكون يرقص ضاحكا من حولنا

ويقيم حفل زوالنا!

يزهو على أشلائنا وجراحنا

يلهو ويسكر، بالمنى نشوان، نخب سقوطنا

وسقوط أصل قيامنا!!!

النجاشي: شجنٌ... شجنْ

بل فتنة نقشت بذاكرة الزمنْ

من ذا رأى قلبين في جوف الوطنْ؟!

تبا لكل حكومة زرعت مساحتها

بألغام التهور والتجبر والتحزب والفتنْ...

تبا لمنْ زرع الرياح وما جنى إلا العواصف والمحنْ...

جعفر: هلا سمعت بدولتينْ

فِي دولة يا سيدي؟!

النجاشي: أبدا، ولكن.. ربما..

فلعل فيها حاكمين!!!

جعفر: بل حاكما لو خيِّرا

لاختار حكم العالمين!!!

النجاشي: والحكم فيها؟

جعفر: بينَ بينْ ؛

للحاكم المختار تعذيبي ونفيي..

والبقية – لو تبقى – من دمي للآخرين!...

النجاشي: عفوا، فإنك من بلاد «الجبهتين»!

جعفر: آه نعم.. أنا من بلاد الجبهتين...

أنا من بلاد قيل تفتح مرتين!

سفحوا دمائي.. صادروا بلدي الموزعَ فِي اليسار وفِي اليمين!

استأصلوا حلمي وذاكرتي بتهمة أنني

ما كنت فِي «عير» الخنا أو فِي «نفير» الخائنين!...

النجاشي: يكفي بنيّ فإنني

أستاء من ذكر الخيانة والخنا..

يكفي فقد جرّحتني وغمرت قلبي بالضنى

أيقظت فِي قلبي (المسيح) وأهله

ذكرتنيه وما جنى...

هلاّ استرحت، أيا فتى، وأرحتنا

بتلاوة مما تيسر من مزامير المنى؟...

جعفر: إن شئت يا ملك البلاد، فقل:

ورودا جئت أزرعها هنا!

النجاشي: القول قولك يا فتى

والفعل لي وحدي أنا!

جعفر: فلتصغ ولتنصت أيا ملك البلاد:

(كافٌ وهاءٌ ثم ياءٌ ثم عينٌ ثم صادْ)[1].

هذي الحروف أردتها

علما يرفرف فوق أصقاع البلادْ!...

النجاشي: (**محجِّلا**[2] - **في ذهول - حول جعفر**):....

جعفر: (**متفاجئا**) مالي أراك محجلا وميمما

بالطرف نحوي تارة.. أو نحو أرجاء السما؟!

النجاشي: للّه درك يا فتى..

ذكرتني (العهد الجديد) ملونا ومفصلا ومتمما..

ما أشبه الأسفار بالأسفار يارب الحمى..

يا وحدة المشكاة يا نورا همى..

---

(١) يُروى أنه حين طلب النجاشي من جعفر بن أبي طالب شيئا مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى، قرأ عليه جعفر آيات من «كهيعص» (سورة مريم)، فبكى النجاشي (وأساقفته)، وقال: إنّ هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة.

(٢) يُروى أن النبي صلى الله عليه وسلم - ذات موقف - لم يرقه ما رآه من تحجيل جعفر (رضي الله عنه) حوله، فقال له مستنكرا: ما هذا يا جعفر؟! فأجابه: «يا رسول الله، كان النجاشي إذا رضي عن أحدٍ حجّل من حوله»...

(فجأة يدخل عمرو بن العاص ومرافقه، بعد إذن الملك).

عمرو: إنا أتينا من بلاد العُرب والبربرْ..

جئناك في شأن الفتى جعفرْ!!!

النجاشي: يا عمرو عُدْ من حيث جئتَ ولا تمارِ...

عمرو: عفوا أيا ملك البراري..

أولا سبيل إلى التفاوض والحوارِ؟!

النجاشي: لا.. ثم لا.. أبدا.. ولا.. هذا قراري..

أنا سيد الأحباش لا تلهب أواري[1]

عمرو: هذي الهدايا من نصيبك سيدي..

خذها رجاء.. ثم نفذ لي اختياري...

النجاشي: عد يابن عاص رافقتك سلامتي

أنا لا أساوم بالهدايا والجواري..

يا عمرو عد.. ودع الغلام إلى جواري

(يعود عمرو بن العاص وصاحبه من حيث جاءا خائبين).

جعفر: لا فض فوكْ

يا أعدل الحكام.. يا تاج الملوكْ...

تلك الممالك ما لها

لو نصبتك أميرها

لأعدت أسراب الحمام لوكرها..

---

(١) أُوار: شدة الغضب.

وأعدت وصل خليجها بمحيطها

وأعدت حُلما خانها...

تلك الفصائل ليتها

قد زُلْزِلت زلزالها!...

النجاشي: لكنها.. يا حظها

قد ورّثت فيكم ولاة عهودها

أو فرّخت أجيالها...

(جعفر والنجاشي يستسلمان للنوم)

المشهد الثاني

جعفر: **(يهب من نومه مذعورا)**

يا سيدي!.. يا سيدي!.. يا..

قم تر...

النجاشي: ماذا أرى؟!

جعفر: آه يا ملك الورى...

النجاشي: ماذا جرى؟!

جعفر: حلم تخطّفني.. فأيقظني.. وسافر في الكرى!

النجاشي: ماذا رأيت؟!

جعفر:

إني رأيت بموطن ملكين قا ما، بعد طول تنازع، فتحاورا

ملكين يروى أن هذا قد «تأبـ ط شره»، لكنّ ذاك «تشنفرا»!

وتبادلا علم البلاد وأعلنا حكما يكون تداولا وتشاورا

كل الحروف تعربت فتلألأت وتلون الوطن المكحل أخضرا

واللاجئون رأيتهم يتنزلو نمن الجبال..من المدائن..والقرى

ورأيت أسراب الحمام توافدت ورأيتني بين الحمائم طائرا

وسمعت صوتا هاتفا: أأسر بالسـ ـلم المغرد في السماء وفي الثرى؟

أمْ.. النجاشي: أمْ تُرى...؟!

جعفر: بقدوم طيار الخلائق جعفرا؟![1]...

النجاشي: حُلْم سعيدٌ يا فتى..

حلم كأنه من بلادك قد هبطْ!..

جعفر: يا ليته فيها تجلى أو سقطْ..

لكنه، يا حسرتي، حلُم فقطْ!..

بيني وبينه ألف أخدود ووادْ..

حلم يهدهدني قليلا.. ثم يفتح مقلتيّ على السهادْ!

حلم و «دونه - سيدي - خرط القتادْ»!..

النجاشي: لا يافتى!

دعنا من الهذر الملبد بالسوادْ!

جعفر: هي ذي الحقيقةُ سيدي..

حلم، وليس لنا سوى الأحلامِ مأوى من براكين البلادْ!..

«ستار»

(١) يروى أنه حين عاد جعفر من الحبشة، عانقه النبي صلى الله عليه وسلم وقبله من جبينه، وقال:«ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»..

حتى لا تخسر يا أبي

بقلم: عبدالفتاح سمك – مصر

المشهد الأول

(ينقسم المسرح إلى قسمين، كل منهما يمثل محلاً يبيع الخضروات، يقف صاحب كل محل أمامه ويدور حوار).

أبو محمد: كيف أصبحت يا أبا عبد اللّه؟

أبو عبداللّه: هه – الحمد للّه يا أبا محمد.

أبو محمد: المحل عندك عامر ما شاء اللّه!

أبو عبداللّه: وأنت كذلك.

أبو محمد: المستوردون لم يعد يكفيهم ما يحصلون عليه من ربح، ويريدون أن يملؤوا جيوبهم من عرقنا نحن التجار الصغار.

أبو عبداللّه:.. لا بأس.ونحن كذلك نعرف كيف نملأ جيوبنا.

أبو محمد: لكن وسيلتنا سيئة نوعاً ما.

أبو عبداللّه: (**يرفع يديه ثم يخفضها**) أي سوء يا رجل ونحن نتعب طوال الليل!.

أبو محمد: نتعب في الغش يا أبا عبد اللّه؟

أبو عبداللّه: أتسمي ذلك غشاً؟

أبو محمد: ماذا يمكن أن نسميه يا صاحبي؟

أبو عبداللّه: نسميه تجارة، تجارة!

أبو محمد: (**مستنكراً**) تجارة؟

أبو عبدالله: **(يحرك يديه ويلون صوته)** نعم يا سيدي تجارة، واسأل أي واحد من الناس، وهو يقول لك هذا.

أبو محمد: هداك الله يا أخي.

أبو عبدالله: أنا مهتدٍ والحمد لله، هداك الله أنت يا أبا محمد، أتريدنا أن نخسر، ونحن وراءنا عائلات، اسمعني..

أبو محمد:أنا سامع يا أبا عبدالله.

أبو عبدالله: أي تاجر مثلي ومثلك يشتري خضاراً وفاكهة.. ألا يدفع ثمنه كاملاً؟

أبو محمد: هل يأخذها مجاناً؟

أبو عبدالله: يحدث أن يفسد بعض هذه الفاكهة أو الخضار ونحن قد دفعنا ثمنه كاملاً.

أبو محمد: صحيح.

أبو عبدالله: هل نتحمل نحن ثمن هذه الأشياء؟ أم يشاركنا الناس في الغرامة؟

أبو محمد: لكننا نخدعهم، فنضع الشيء الفاسد داخل الصندوق، ثم نضع غير الفاسد في أعلى الصندوق فيظن المشتري أن الصندوق كله سليم.

أبو عبدالله: هذا غير صحيح.

أبو محمد: بل.. صحيح.

أبو عبدالله: كل من يشتري صندوقاً من الفاكهة أو الخضار يفترض أن بعضه فاسد.

أبو محمد: لكنه لا يفترض أننا نسهر طول الليل، كي نعبئ الصناديق بهذه الصورة المخادعة.

أبو عبدالله: لو أنك تقلل من ألفاظك الجارحة التي تسيء إلى تجارتنا مثل الغش والخداع.

أبو محمد: هذه هي أسماء ما نفعله يا أخي.

أبو عبدالله: هداك الله يا أخي! قلت لك: إننا نقسم الخسارة بيننا وبين المشتري.

أبو محمد: لكننا نبيعها له بسعر السليم وليس بسعر الفاسد.

أبو عبدالله: نحن كذلك اشتريناها بسعر السليم.

أبو محمد: الفساد الذي يطرأ على البضاعة التي نشتريها ليس مقصوداً ولا كثيراً، أما الفساد الذي حدث عندنا ونحمله للمشتري نحن سببه ونتعمد إخفاءه عن عينه.

أبو عبدالله: حتى لا تبور تجارتنا.

أبو محمد: (**يحرك رأسه ويديه**) لا يا أبا عبد الله، هذا والله غش وخداع.

أبو عبدالله: يا أبا محمد، إذا كنت متأكدا من ذلك، فلماذا تمارسه؟ لماذا يا أخي تمارس الغش والخداع؟! افرز بضاعتك، ويكفي أن تبيع السليم.

أبو محمد: أخاف أن أخسر.

أبو عبدالله: بالتأكيد سوف تخسر، ثم تغلق المحل وتبحث لك عن عمل آخر، ولن تجد، يا أخي كفاك فلسفة، وادخل إلى دكانك فإني أرى الزبائن بدؤوا في الوصول.

(مجموعة من المشترين يقلبون أبصارهم في الصناديق. بعضهم يفتح جانباً من الصندوق، وينظر فيه، أحد المشترين يحاول أن يضع يده داخل الصندوق).

أبو عبدالله:(**مبتسماً بحزم**) غير مسموح يا أخي.

المشتري: أي شيء هو؟

أبو عبدالله: هذا الذي تفعله.

المشتري: لقد فعلت أشياء كثيرة، فأنا لا أعرف ما هو غير المسموح منها.

أبو عبدالله: (**بغضب**). غير مسموح أن تقلب في محتويات الصندوق بيدك.

المشتري: ألا أطمئن على ما سوف أطعمه لأسرتي؟

أبو عبدالله: قد فعلت.

المشتري: كيف؟

أبو عبدالله: قد نظرت إليها، ولكن كثرة التقليب في الأغراض يفسدها.

المشتري: لكن مجرد النظر إلى السطح لا يكفي.

أبو عبدالله: أرحني وأرح نفسك. إما أن تدفع الثمن وتحمل الصندوق، وإما أن تبحث عن محل آخر يبيع لك، والبائعون كثيرون.

المشتري: (**يدفع ويحمل الصندوق**) أمري إلى الله.

(يتكرر هذا الحوار في داخل محل أبي محمد وداخل محل أبي عبد الله، وفي آخر مرة دار الحوار فيها داخل محل أبي عبد الله يحمل ثلاثة من المشترين صناديقهم، وأثناء خروجهم يصطدم أحدهم بأحد الداخلين فيسقط صندوق التفاح من يده، فإذا كل الصفوف الأخيرة فاسدة، ينظر المشترون إلى محتويات الصندوق بدهشة...).

المشتري: (**ينحني فيمسك بعض الثمار الفاسدة ويقول**): هذه بضاعتك؟

أبو عبدالله: وهل كنتُ داخل الصندوق؟

المشتري: لكنك تعرفه بالحبة الواحدة.

أبو عبدالله: ليس صحيحاً.

المشتري: بل صحيح وأنت تكذب.

أبو عبدالله: أقسم بـ...

المشتري:: (**بغضب**) إياك أن تقسم أيها الغشاش المخادع.

أبو عبدالله: أنت تهينني، وتسيء إلى كرامتي بهذه الشتائم؟

المشتري: أنت لم تحفظ لنفسك كرامة حين رضيت أن تخدع الناس.

أبو عبدالله: أنا لست مخادعاً، وإن لم تسكت..!

المشتري: (**مقاطعاً**) ماذا ستفعل؟

أبو عبدالله: (**يسكت**)

المشتري: إذا أنا أفرغت محتويات هذه الصناديق فسوف تجدها كلها فاسدة.

(يتقدم نحو الصناديق).

أبو عبدالله: (**يعترضه**) إياك أن تقترب من الصناديق.

المشتري: (**يتقدم**) سأكشف أنك غشاش.

أبو عبدالله: (**يمسكه**) أبعد يدك.

المشتري: (**يصفعه على وجهه**) تخاف يا لص؟!.

أبو عبدالله: (**يمسكه من ثوبه**).

المشتري: (**يمسكه هو الآخر، ويجتمع عدد من المشترين ويجرون أبا عبد الله إلى الداخل، وأصوات ضرب وصراخ**).

أبو محمد: (**يخرج الزبائن**) اخرجوا، اخرجوا لن أبيع اليوم، اذهبوا، فانظروا ماذا حدث للرجل... (**سريعاً يغلق محله**).

المشهد الثاني

(أبو محمد في دكانه ينظم الصناديق ويرصها، يدخل عليه ثلاثة من أولاده يحملون أطعمة مغطاة بالأوراق المفضضة).

يوسف: متى تشتري لي القطار الكهربائي يا أبي.

أبو محمد: هذا هو الكلام الذي لا يفيد.

صالح: أنت وعدتني بالدراجة البخارية، وحتى الآن لم تحضرها لي.

أبو محمد: (**يتجه إلى إبراهيم**) وأنت ماذا تطلب؟

إبراهيم: (**بحياء**) لا شيء غير أن توافق على أن أصحب رفقائي في رحلة إلى أوروبا كما كنت وعدتني.

أبو محمد: (**يبتسم ويضع يده على كتف إبراهيم**) هذا فقط؟

(صالح ويوسف يلهوان في المحل، جرياً وتحسساً للأشياء).

إبراهيم: لا أرغب إلا في هذا.

(**يستدرك كأنه تذكر شيئاً**)، بقي شيء.

أبو محمد: تذكرت؟

إبراهيم: ليس خاصا بي، وإنما بمحمد.

أبو محمد: هل أرسل معك يطلب شيئاً؟

إبراهيم: لا، لم يرسل، وإنما سمعته يحدث والدتي عن رغبته في سيارة.

أبو محمد: (**في دهشة**) سيارة؟

إبراهيم: قال: إنها وعدته بأن تشتري له سيارة عند وصوله إلى الثانوية.

أبو محمد: (**يوضح لنفسه**) يعني أمه وعدته أن أشتري أنا (**يشير إلى صدره**) له سيارة عندما يصل إلى الثانوية؟

إبراهيم: قالت أمي: إنها تذكرت هذا الوعد، وسوف تتباحث معك بشأنه بعد أن تفرغ من عملك الذي انقطعت له أياماً طويلة.

يوسف: (**يقترب**) لم تعد تحب البيت يا أبي.

أبو محمد: (**متعجباً**) أنا؟

يوسف: إنك تقضي وقتك كله في المحل.

أبو محمد: كان يحتاج إلى إعادة ترتيب.

يوسف: لماذا لم تطلب مني مساعدتك؟

أبو محمد: لقد قام بذلك محمد وإبراهيم، وعندما تكبر ربما تستطيع المساعدة.

صالح: (**مقبلاً وهو يجري**) أنا كذلك أستطيع المساعدة.

أبو محمد: (**يربت على كتفه**) إن شاء الله.

أبو محمد: (**يكلم إبراهيم**) ما رأيك في رحلة إلى العمرة؟

إبراهيم: (**في توجس**) ورحلة أوروبا.

أبو محمد: أوروبا لن تطير.

إبراهيم: ولكنني وعدت...

أبو محمد: (**مقاطعا**) هناك وعود يمكن أن يتركها الإنسان من أجل وعود أفضل منها.

إبراهيم: (**مستغرباً**) أية وعود؟

أبو محمد: (**يقربه منه**) التي ستعدني بها الآن.

إبراهيم: الآن؟!

أبو محمد: إن لم تعجبك لا تلتزم بها.

إبراهيم: موافق.

صالح: وأنا موافق.

(**يضحك أبو محمد وإبراهيم**)

أبو محمد: (**يحدث إبراهيم**) تقريباً لن يوجد عندك وقت لرحلة أوروبا هذا العام.

إبراهيم: الصيف طويل يا أبي.

أبو محمد: لكنه قصير بالنسبة لما أعددته لك.

إبراهيم: (**باهتمام**) هل أعددت لي شيئاً؟

أبو محمد: (**مداعباً**) أعددت لك قطاراً كهربائياً كبيراً.

يوسف (**يتلفت حوله**) لا أراه.

أبو محمد: سوف تراه حين تذهب إلى الحديقة.

يوسف: هل تركت القطار هناك؟

أبو محمد: هو موجود هناك دائماً.

يوسف (**يتصنع البكاء**) أين القطار؟ أين القطار؟

أبو محمد: عندما تذهب إلى الحديقة فسوف نجعلك تركب هذا القطار، فذلك أكبر من القطار الذي تريد أن أشتريه لك.

يوسف: أريد القطار.

إبراهيم: أبوك يريد أن يتحدث معي.. ألا تتركنا قليلاً؟

يوسف (**يبتعد قليلاً ناحية صالح**) تريد أن تسافر إلى أوروبا.

إبراهيم: لا أوروبا ولا غيرها.

أبو محمد: أريد أن أسجلك في دورة حاسب آلي صباحية.

إبراهيم: (**فرحاً**) هذا شيء أحبه.

أبو محمد: أرجو أن تتردد إلى مركز لتحفيظ القرآن مساءً.

إبراهيم: (**يصمت**).

أبو محمد: ألا تروقك الفكرة؟

إبراهيم: لقد فاجأتني.

يوسف: أصحابي كلهم في مراكز تحفيظ القرآن، فهل تسمح لي أن أذهب معهم.

أبو محمد: ولك مكافأة على كل جزء تحفظه.

يوسف: الدراجة الكهربائية؟

أبو محمد: الدراجة الكهربائية حين تنتهي من حفظ القرآن كله.

صالح: وأنا سأحفظ.

أبو محمد: إذاً أحبك.

إبراهيم: فكرة طيبة.

أبو محمد: أول المكافآت رحلة العمرة، وعندما تتحسن الأمور فلن تتوقف إن شاء الله.

إبراهيم: وسيارة محمد؟

أبو محمد: تكفي سيارة واحدة، وإذا أراد أن يأخذها فلن أمانع بشرط أن يوصلني إلى ما أريد.

صالح: (**يجري في اتجاه أبيه**) أريد القطار.

أبو محمد: (**يمد يده ليمسكه**) تعال هنا.

صالح: (**يسرع مبتعداً**) لن تستطيع أن تمسك بي فأنا أسرع منك.

أبو محمد: (**يتصنع الوقوف**) انتظر وسوف ترى.

صالح: (**يزيد من سرعته**) لن تستطيع.

(ويصطدم إبراهيم ببعض الصناديق فيسقط صندوق من التفاح حباته كلها طازجة). (يسرع يوسف وصالح فيتحسسان حبات التفاح ويتعجبان).

صالح: لا أجد حبة لينة أعبث بها.

أبو محمد: (**يتنهد**) ولن تجد بعد الآن، فقد كنت أسهر الليالي كي لا أدع شيئاً ليناً.

إبراهيم: (**بجدية**) أبي!!

أبو محمد: نعم يا إبراهيم.

إبراهيم: لن أفعل إلا ما يسرك.

(أبو محمد يضم رأس إبراهيم إلى صدره).

المشهد الثالث

(نفس منظر المشهد الأول، أبو عبد الله وأبو محمد يقفان أمام محليهما).

أبو محمد: شرفت محلك يا أبا عبد الله!

أبو عبدالله: شكراً...

أبو محمد: كنت لا أجد أحدا أتكلم معه.

أبو عبدالله: وكنت مرتاحا مني ومن حيرتي.

أبو محمد: (**متعجباً**) ماذا تقول يا رجل؟!

أبو عبدالله: كان السوق خالياً لك، فليس لك منافس يبيع بجانبك.

أبو محمد: يا أخي، الأرزاق بيد الله، وكل واحد يأتيه رزقه كاملاً، ثم إنني لم أنظر إليك أبداً على أنك تنافسني في رزقي.

أبو عبدالله: إذاً أنت لا تفكر، فإذا كان في المكان محلان وجاء اثنان من المشترين، فإن كل محل سيدخله واحد، أما إذا كان المفتوح محلاً واحدا فإنه سيبيع لاثنين وليس لواحد.

أبو محمد: حسابك خاطئ يا صاحبي.

أبو عبدالله: الكل يعرف أنني أحسبها بالفلس الواحد، فكيف تزعم أنني أحسبها خطأ.

أبو محمد: صحيح أنت أحسن من يحسبها بالفلس، لكن حسابها بالرزق شيء مختلف.

أبو عبدالله: (**ساخراً**) علمني يا أبا العرّيف!

أبو محمد: إن كنت لا تعرف ذلك، فأنت فعلاً في حاجة إلى تعليم، ذلك أن الرزق عطاء من الله، وليس حساباً مثل حسابك.

أبو عبدالله: (**بلا اهتمام**) لم أفهم.

أبو محمد: لا بد أن تفهم يا صديقي أن المحلين يمكن أن يكونا مفتوحين، والبضاعة واحدة فيهما، والسعر واحد، ويدخل المشترون واحداً منهما ويتركون الآخر، لأن الله أراد أن يرزق أحدهما في هذا اليوم أكثر من صاحبه.

أبو عبدالله: تقصد أنك تقول: إنك لم تكن سعيداً بغيبة صاحب المحل الذي يجاورك.

أبو محمد: إنني سعيد جداً بعودتك إلى عملك، وأكون سعيداً أكثر لو أنك تعلمت وأخذت درساً مما حدث لك.

أبو عبدالله: (**يرفع صوته**) تظهر الشماتة بي وأنت صديقي؟!

أبو محمد: (**بغضب**) أستغفر الله، أنا أشمت بك، وأنا الذي لم أفارقك ليلاً ولا نهاراً، وكنت أسأل عن أهلك طوال المدة التي كنت فيها مريضاً، وأنا الذي سعيت بالصلح حتى لا توضع بالسجن، وعرضت أن أدفع الغرامة بدلاً عنك.

أبو عبدالله: تعيّرني بما فعلت معي ولم أكن في حاجة إليك.

أبو محمد: (**يرفع صوته**) سبحان الله، كل كلمة أقولها لك تفهمها خطأ، ومع ذلك فقد كنت في حاجة شديدة إليّ، ولكنك إنسان جحود ينسى الجميل الذي يقدم إليه.

أبو عبدالله: هانت عليك العشرة حتى تتهمني بالجحود كأنني لم أساعدك أبداً

أبو محمد: (**يهدئ من غضبه**) يا صديقي العزيز، مدة عشرين سنة وأنت صاحب الفضل عليّ، فأنت الذي علمتني التجارة، وأنت الذي اخترت لي أن أكون بجوارك، ولكنك أخطأت في حقي، وأخطأت في حق نفسك.

أبو عبدالله: تختمها بالخطأ.

أبو محمد: اسمعني بدون انفعال حتى أكمل كلامي.

أبو عبدالله: تكلم: دعنا نتسلى، ونضيع الوقت.

أبو محمد: أول قانون علمته لي في التجارة كان صحيحاً مئة في المئة، وهو الحديث الشريف (**تسعة أعشار الرزق في التجارة**).

أبو عبدالله: الحمد لله ذكرت لي شيئاً صحيحاً.

أبو محمد: ولكن للأسف شرحت لي الحديث الشريف شرحاً غير شريف.

أبو عبدالله: رجعنا للخطأ مرة أخرى.

أبو محمد: اصبر حتى أقول ما عندي.

أبو عبدالله: أخاف ألا أستطيع التحمل.

أبو محمد: حاول.

أبو عبدالله: سأحاول لكن ليس كثيراً

أبو محمد: المهم أنك أوهمتني أن التجارة ذكاء وشطارة وغش حتى يكون مكسبك أكثر وتحصل على تسعة أعشار الرزق.

أبو عبدالله: أنت تفتري علي يا أبا محمد لأن التجارة ذكاء ولكنني لم أتكلم عن الغش.

أبو محمد: ما رأيك فيمن يضع ثلث الصندوق قشا وورقا، والثلث الثاني فاكهة أو خضراوات لا تصلح للأكل، والثلث الأعلى الذي يظهر للعين حب صحيح سليم.

أبو عبدالله: قلت لك من قبل: هي معاملة بالمثل، فنحن نشتريها شبيهة بذلك،وهذا هو العدل.

أبو محمد: الذي تعتبره عدلاً هو الغش يا أبا عبد الله، ويمكن أن يتسبب في مشاكل كثيرة، هذا بالإضافة للذنوب، والعاقل يا صديقي هو من يتعظ بغيره، ولكن الأكثر عقلاً هو من يستفيد من تجاربه.

أبو عبدالله: يعني أنك أخذت درساً من محنتي.

أبو محمد: تستطيع أن تقول: إنك علمتني أولاً وعلمتني أخيراً.

أبو عبدالله: أشكرك على المجاملة التي تخفي شماتة.

أبو محمد: لا والله، ولكنني أريد أن تستفيد مثلي.

أبو عبدالله: وماذا استفدت مني يا أيها الذكي؟!

أبو محمد: لا أبيع إلا البضاعة الجيدة، وبالسعر الذي يجعلني لا أخسر فيها، ولكن لا أبالغ في الربح.

أبو عبدالله: سيقل دخلك الذي تعودت عليه.

أبو محمد: بالتأكيد ولكن بغير خسارة.

أبو عبدالله: والتزاماتك، وسعادة أبنائك؟!

أبو محمد: سوف تؤمن مع اختصار بعض المصروفات الزائدة التي لا تؤثر في سعادة الأبناء.

أبو عبدالله: مثل ماذا؟

أبو محمد: الرحلات الدورية لأوروبا وغيرها، مثل ملاحقة السيارت الجديدة، وكذلك المبالغة في عدد الخدم.

أبو عبدالله: ماذا أبقيت لك لتتمتع بحياتك.

أبو محمد: بقي الطيب من الطعام والملبس، والمعتدل من الترفيه والارتحال، والضروري من الخدم والسيارات، وبقي أهم شيء في الموضوع.

أبو عبدالله: علمني علمك الله.

أبو محمد: بقيت راحة الضمير بأن الإنسان يتعامل مع ربه ومع غيره بأمانة، وهذه سعادة تفوق سعادة التمتع بكل ما نحسب أنه يجلب السعادة.

أبو عبدالله: أنا الآن فهمت شيئاً لم أكن أفهمه من قبل.

أبو محمد: لعله خير.

أبو عبدالله: لقد ألقيت جراثيمك في بيتي، فإذا ابني عبد الله يردد أمامي مثل هذا الكلام، وأنا أتجاهله حتى سمعته منك فعرفت الآن أنك سبب ما أصابه.

أبو محمد: أنا لم أحدثه في أي شيء وأقسم لك.

أبو عبدالله: (**مهدداً بيده**) لا تقسم، فإنك كاذب، لأن هذا الكلام لم يكن يتردد في بيتي أبداً، ولم يكن يعرفه أحد من أولادي.

أبو محمد: تتهمني بالكذب يا صديقي.

عبد الله: كنت أسير مع محمد فسمعنا صوتا مرتفعا.

محمد: هل يمكن يا عمي أن أعرف السبب.

أبو عبدالله: الموضوع أن أباك يريد أن يعلمني الأمانة.

أبو محمد: لست كبيرا على التعليم.

أبو عبدالله: (**متجاهلا**) ويتفق مع ابني الذي من صلبي كي تبور تجارتي، وأخسر أرباحي، وأنت ألا تعرف هذا؟

محمد: أؤكد لك أننا كنا نسير من غير اتفاق على شيء.

أبو عبدالله: لا أصدقك.

أبو محمد: أنت لا تصدق أحدا يا صاحبي.

أبو عبدالله: أنتم فقط لا أصدقكم.

عبد الله: ومن غيرنا يمكن أن تصدقه يا أبي؟

أبو عبدالله: أنتم تتآمرون علي!

محمد: نحن نحبك يا عمي.

أبو عبدالله: أبوك يحسدني على مكاسبي الكثيرة، وكان يكسب مثلي أو ما يقرب مني، وعندما حدث لي حادث صغير أصابه الجبن، وأراد أن يجني على نفسه وعليكم، ويريد أن أصبح مثله.

عبد الله: ونحن أبناؤك نريدك كذلك.

أبو عبدالله: تريد أن أخسر.

محمد: بل تكسب يا عمي.

عبد الله: تكسب الكرامة والبركة.

أبو محمد: اسمع كلام ابنك.

عبد الله: نريد لك الخير يا أبي.

أبو عبدالله: ورحلتك إلى لندن.

عبد الله: سأستبدل بها رحلة إلى العمرة.

أبو عبدالله: ومصاريف سهراتك الليلية!!

عبد الله: مراجعة الدروس، وقراءة الكتب لن تترك لي وقت فراغ.

أبو عبدالله: والسيارات الجديدة.

عبد اللّه: سأكتفي بما عندي.

أبو عبداللّه: ومطالب أمك.

عبد اللّه: أنت زوجها، ومن حقك أن ترفض ما ليس ضرورياً.

أبو محمد: أحسنت يا عبد اللّه.

أبو عبداللّه: أفسدتم عليّ ولدي.

محمد: بل عرف الصواب واقتنع به.

أبو محمد: افتح قلبك يا صاحبي، وسوف لا تندم بعد ذلك.

أبو محمد: وإن غضبت زوجتي وتمرد أبنائي.

عبد اللّه: يكونون حينئذ أعداءك ومن حقك أن لا تخضع لعدوك.

أبو محمد: ما الذي غيَّرك هكذا يا ولد؟!

محمد: اللّه سبحانه يهدي من يشاء.

أبو محمد: صحبتك له هي التي غيرته.

عبد اللّه: وهل أنت راضٍ عن هذا التغيير يا أبي.

أبو محمد: (**في حيرة**) لست أدري

أبو محمد: بل أنت تدري، ولكن حب المال ما زال يسيطر عليك.

أبو محمد: بل حب الأولاد، وخشية التضييق عليهم.

محمد: ارض بما قسم اللّه لك تكن أغنى الناس.

عبد اللّه: إذا تمسكت برأيك يا أبي فسوف لن تراني في البيت أبداً.

أبو محمد: (**بدهشة**) ماذا تقول يا عبد اللّه؟!.

عبد اللّه: لن آكل من حرام بعد أن عرفته، والغش من أكبر الحرام (**من غشنا فليس منا**) .

أبو محمد: أنت كذلك تسميه غشاً.

محمد: الحقيقة يا عمي ليس له اسم آخر.

أبو محمد: (**منفعلاً**) اذهب حيث تشاء فلن يهمني أمرك.

أبو محمد: أنا لن أرضى أن يترك عبد الله بيت أبيه، من أجل ذلك سأعمل ما يجعله لا يترك بيته.

عبد الله: ماذا ستفعل يا عمي وأبي لا يريد أن يقتنع.

أبو محمد: سأحذر من يدخل عنده، وإذا استمر في ضلاله فأنا الذي سأبلغ عنه الشرطة.

أبو عبدالله: (**بحدة**) تحاربني في أكل عيشي، سأريك قبل أن تبلغ عني (**يرفع العصا**) ليضرب أبا محمد، (**ولكن عبد الله يسرع فيتلقى الضربة على رأسه، يقع على الأرض ويصرخ... يسرع إليه الجميع**).

أبو عبدالله: ابني!

أبو محمد: ولدي!

محمد: أخي العزيز!

عبد الله: (**وهو ممدّد على الأرض**) سأترك لك البيت.

أبو عبدالله: (**يبكي**) قطع الله يدي التي امتدت إليك، قم يا ولدي سالماً، ولن يكون إلا ما تريد، سأذهب بك إلى العمرة، ولن أغش ما حييت، أنا لا أريد أن أخسرك يا بني.

عبد الله: وأنا لا أريد أن تخسر آخرتك يا أبي.

(يعتذر عبدالله فيحتضنه محمد، وينهض أبو عبد الله فيصافح أبا محمد).

«ستار»

على أسوار القسطنطينية

بقلم: عادل بن أحمد باناعمة – السعودية

(مسرحية شعرية)

ضموا الجموع فلست أرهب جمعكم رصوا الصفوف فما أنا الخوارُ

هل تقلع الطودَ الأشمَّ عواصف أو يوقف البحرَ الخضمَّ جدارُ

لي عزمة تغزو النجوم وهمة شماء ترهب بأسها الأخطارُ

ولتعلمن غدا إذا احتدم الوغى ماذا يخبئ صارمي البتارُ

* * *

الراوي: ومرت الشهور والأعوامْ

والحلم القديمْ

يسكن قلب الفارس العظيمْ

لم تنسه الأيامْ

لم تثنه عن دربه المصاعب الجسامْ

ولا تآمر الطغامْ

عزائم الأبطالْ

لا تعرف المحالْ

حتى إذا ما شاءه الإلهْ

تدفق التيارْ

وسطر التاريخ عن فاتحنا غرائب الأخبارْ

(الفاتح وقد جاوز العشرين من عمره، وحوله وزراؤه يتشاورون في فتح القسطنطينية).

خليل باشا:

مولاي تمهل لا تعجلْ ... فالأمر عظيم وجليلُ

القسطنطينية شامخة ... ليس لها في الأرض مثيلُ

كم جيشٍ جاء ليفتحها ... فارتد أسى وهو كليلُ

انظر انظر... **(يذهب إلى الخريطة)**

هذي الأسوار بلا عددْ ... والبحر الزخار مهولُ

والقرن الذهبي محاط ... بسلاسل لا.. ليس تزولُ

نيران الإغريق

زغنوس: سيطفئها ... قلب بالهمة مجبولُ

لن يدرك مجدا في الدنيا ... رعديد في الحرب ذليلُ

طلق أوهامك يا هذا ... فالله على الكفر يديلُ

خليل باشا:

مهلا يا قائد زغنوس ... فكر في الأمر بلا شططِ

لن تغني عنا الكلمات ... لن تغني آلاف الخططِ

زغنوس:

أخليل توقف عن كيد ... فيه للأمة تخذيلُ

ما تفتأ تكسر همتنا ... والنصر قريب مأمولُ

ما بينك والروم؟ أجبني فأنت من الروم رسولٌ؟!

خليل: **(فزعا كمن كشف له سر بغتة)**

أأنا للروم رسول

(بينه وبين نفسه) ويلي أوقد كشف السرُ

(بصوت عال يتظاهر بالثقة)

كلا فأنا الباشا خليلُ عبد السلطان ولا فخرُ

زغنوس:

مولاي تقدم في ثقة لا يوقف مسعاك خليل

الفاتح: سأسير لتحقيق منايا

خليل باشا: والأسوار أيا مولايا؟

الفاتح: لن توقف يا صاح خطايا

إيماني عزمي وهُدايا ما أبقت للخوف بقايا

فلتعصفي يا رياح الشر إن لنا عزائما كالجبال الشم لا تهنُ

لسنا الألى تضعف الأحداث عزمتهم أو يستريح على أكتافهم وهنُ

في قلبنا من طموح المجد أغنية ما زال يطرب من أنغامها الزمنُ

سلنا عن المجد تسمع من روائعه قصائدا ما وعت أمثالها أذنُ

فلترفعوا كل عال من حصونكم إذا وثبنا فليست تنفع الحصنُ

ضمي جموعك أُمَّ الروم واحتشدي واستكبري لا ترد المقدم المحنُ

ميعادنا النصر أو موت على شرف	هذا لوائي وهذا في يدي الكفنُ
يا أمة المرسل المختار ها أنذا	حسام عز على الإسلام مؤتمنُ
أنا البراء، أنا سعد، أنا عمر	أنا المثنى، إذا ما أجلبت فتنُ
فيم التخاذل والقرآن رائدنا؟	فيم الركوع وحادي ركبنا السننُ
لا بد للمجد والتمكين من ثمن	واف، وليس سوى أرواحنا ثمنُ

(تخرج إلى المسرح مجموعة من الجنود بكامل سلاحها كأنها جاءت استجابة لنداء الفاتح، وتنشد بلحن حماسي قوي)

المجموعة:

لبيك أيا فاتح إنا	للدين وللأمة جندُ
ما زلنا للحق حماة	ولحرب الأعداء نعدُ
لبينا صوتك إذ نادى	ومضينا يحدونا المجدُ
فلتلقَ الرومَ بنا فلنا	عزمات ترهبها الأسدُ
في دمنا يسكن تاريخ	للنصر، وما أحلى النصرا
إنا أحفاد عمالقةٍ	قد كتبوا للعزة سفرا
هم نشروا النور على الدنيا	فأفاقت تستقبل فجرا
أبصرنا تُبصرُ أبطالا	وترى سعدا، وترى عمرا

«ستار»

الفــوز العظيم

بقلم: علاء حسني المزين – مصر

المشهد الأول

(المنظر: حجرة صالون فخمة، المنضدة في وسط المسرح، يحوطها كرسيان من كل جانب، في الخلف نافذة كبيرة، تظهر من ورائها بعض الأشجار، بأحد جانبيها مكتبة كبيرة، منظمة بعناية، وعلى الجانب الآخر لوحة كتب عليها بخط كبير: بسم الله الرحمن الرحيم).

(للحجرة مدخلان عن يمين وشمال). (يفتح الستار على ولدين يتحدثان، يجلس أحدهما على الكرسي، ويقف الآخر أمام المكتبة).

خالد: هل تدري يا أحمد لماذا دعانا والدنا اليوم؟

أحمد: علمي.. علمك.. لقد أتاني العم عبده منذ قليل، وأنا في الحديقة أقرأ قصة شائقة.. وأخبرني أن أبي يريدني على جناح السرعة فلم أملك إلّا أن أطيع.

خالد: أما أنا فكنت مشغولا بممارسة هوايتي المحببة، صناعة نماذج الطائرات، حين جاءني العم عبده فأبلغني الأمر نفسه.. فأتيت مسرعا، ولم أكن أعرف أنك مدعو مثلي.. لا بد أن الأمر مهم.. ماذا تتوقع أن يكون؟

أحمد: الله أعلم، بعد قليل نعرف.. فلم القلق؟

خالد: لقد كان معنا على مائدة الإفطار، قبل أن ينصرف كل واحد منا إلى شأنه، ولم يشر إلى هذا اللقاء.. فلا بد أن لديه مفاجأة سارة.. ماذا تتوقع؟

أحمد: لا أدري، لماذا أنت قلق لهذه الدرجة؟ هل هذه أول مرة يستدعينا فيها فجأة؟ أم أنك فعلت شيئا تخشى عاقبته؟

خالد: لا، والله ما فعلت شيئا.. بل أنا مستقيم جدا منذ بداية الإجازة، من البيت إلى النادي، ومن النادي إلى البيت، وأحافظ على الصلوات في أوقاتها في انتظام لم يسبق له مثيل..

أحمد: إذن.. فلماذا أنت قلق؟.. أرح أعصابك، فالقلق الزائد يضر صحتك. خذ هذه القصة اللطيفة، املأ بها وقتك حتى يحضر أبي.

خالد: أنت تعرف أنني لا أحب القراءة.. ولكن ألا تلاحظ أن أخانا عَمْرا لم يحضر حتى الآن؟! هل تتوقع أن أبي لا يريد غيرنا.. فقط أنا وأنت؟

أحمد: ولماذا لا تتوقع أن عَمْرا بلغه الأمر مثلي ومثلك، ولكنه كعادته نسي نفسه أمام التلفزيون.. ونسي بالتالي أمر أبيه؟!

خالد: نعم، عندك حق.. إن أخانا عَمْرا حين يجلس أمام التلفزيون لا يكاد يقوم، وينسى ما عليه من واجبات.

أحمد: إن هذا الجهاز - رغم نفعه أحيانا - يلتهم الوقت ويصرف الإنسان عن القراءة النافعة التي تجعل الفكر ناضجا، والخيال خصبا، واللسان طليقا..

خالد: بالإضافة إلى ذلك فإن الحملقة فيه لمدة طويلة قد تضر بالعين ضررا شديدا.

أحمد: إن الإنسان العاقل يجب ألا يكون أسير شيء، لا عادة من العادات، ولا شخص من الأشخاص.

خالد: العجيب فيك أنك تقول أحيانا كلاما كالحكم.

أحمد: إنها القراءة ياعزيزي.

خالد: حقا إن لك صبرا على القراءة عجيبا.. إنني لا أتخيل نفسي مكبا على كتاب ساعة كاملة كما تفعل.

أحمد: كل شيء يمكن أن يحدث بالتعود عليه، وهل الإنسان يولد بكل عاداته. كل شيء بالتعود.

عمرو: (**يسمع صوته من الخارج**) يا عم عبده، أرجوك، دعني أفتح «التلفزيون» إنه مسلسل

شائق، أريد أن أعرف كيف ينتهي.. الله يخلّيك.. دعني أفتح «التلفزيون».

العم عبده: يعني.. تهمل أمر والدك يا عمرو.. أيصح هذا؟..

عمرو: لا، والله.. أمر والدي على الرأس والعين. وسأحضر حالا وراءك، ولكن دع لي «التلفزيون» مفتوحا قليلا، أرجوك.. أرجوك يا عم عبده، سينتهي المسلسل.

أحمد: (**يكلم خالدا**) ألم أقل لك؟ (**ينظر من أحد بابي الصالة وينادي**) هيا يا عمرو، إنك تضيع عمرك الثمين بهذه الطريقة.

عمرو: (**يدخل**) دعني أنت الآخر.. وفر نصائحك لنفسك، إنني أستمتع بعمري بالأسلوب الذي أحبه.

أحمد: كل الذين يضيعون أعمارهم، يخدعهم الشيطان اللعين، بهذا الكلام الفارغ. إن أعداءنا تقدموا وأصبحوا أقوياء، لأنهم تعلموا كيف يستفيدون من وقتهم، وتأخرنا نحن، لأننا أصبحنا نتفنن في تضييع أوقاتنا.

عمرو: (**بضيق**) أوه.. اسكت ودعني في حالي.. لا أريد أن أسمع منك خطبا ونصائح، إن كثرة القراءة جعلتك كالببغاء، تتكلم كثيرا وتوجع الدماغ.

أحمد: سامحك الله يا أخي.. أنت معذور، لأنك غضبان، والغضبان كالمجنون، لا يدري ما يقول.

عمرو: يا أبي.. يا أبي.. تعال سريعا أنا تعبت جدا..

(**يدخل الأب بتؤدة يتوكأ على عصاه**)

الأب: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، خير يا أولاد؟ لم تصيح يا عمرو؟ ماذا بك؟ أهكذا أنت دائما مصدر الضجة في هذا المنزل.. قل لي ما سر ضيقك؟ اجلسوا يا أولاد.

عمرو: أحمد.. أحمد يا أبي كثير الكلام.. صدع رأسي بنصائحه الفارغة.. يعيد كل ما حفظه من الكتب التافهة التي يضيع وقته في قراءتها.

أحمد: سامحك الله يا عمرو.. هل هذا هو السبب الحقيقي لضيقك؟

الأب: اسكت يا أحمد.. أولا يا سيد عمرو أنا لا أتفق معك في أن ما يقرؤه أخوك أحمد كتب تافهة لأنني أعرف ما يقرأ.. وثانيا أختلف معك أيضا في أن القراءة مضيعة للوقت.. من قال ذلك؟

عمرو: أنا لا أقصد هذا؟

الأب: ماذا كنت تقصد إذن؟

عمرو: قصدت.. (**بضيق**) أوه.. أنا كنت متضايقا.. لم أدر ما أقول.

الأب: إذن، فأنت متفق معي في أن القراءة ما دامت لا تعطلك عن واجباتك ليست تضييعا للوقت.

عمرو: نعم.

الأب: عظيم.. فما هو السبب الحقيقي لضيقك وصراخك منذ قليل؟

عمرو: لم يكن عندي استعداد لسماع نصائح أحد.

الأب: هل هذا هو السبب الحقيقي؟ بصدق؟

عمرو: (**يختنق صوته بالبكاء كمن يفتعله**) كنت أشاهد مسلسلا شائقا «بالتلفزيون» عندما جاء العم عبده يدعوني لمقابلة حضرتك.. ولأنني كنت مشدودا لأحداث المسلسل فقد طلبت منه أن ينتظر قليلا حتى ينتهي، لكنه أغلق «التلفزيون» ولم يسمح لي أن أفتحه (**يبكي**).

الأب: أولا أنا مسرور لأنك صدقت.. وأرجو أن تكون صادقا كل مرة، فالصدق كما اتفقنا شيمة الرجال وأنت رجل كبير.. أليس كذلك؟ ولكن أجبني يا صديقي: هل مشاهدة المسلسل أهم لديك مني؟

عمرو: لا.. طبعا.

الأب: فلماذا تفضله عليّ.. أنا أدعوك لمقابلتي.. أنا والدك وصديقك فتتكاسل عن دعوتي بسبب هذا الأمر التافه.. لا.. لا يا عمرو.. لقد آلمتني أشد الألم.. ما كنت أنتظر منك أيها الولد النجيب ذلك.

عمرو: أنا.. أنا آسف يا أبي..

الأب: ألم أقل لك من قبل لا تفعل شيئا يمكن أن تتأسف منه.. تصرف دائما التصرف السليم حتى لا تضطر للأسف والاعتذار لأحد.

عمرو: لن يتكرر مني ما يغضبك ثانية يا أبي.

الأب: وعد رجل مسلم؟!.

عمرو: وعد.

الأب: عظيم.. هيا إذن.. ارفع رأسك.. اعدل قامتك، اعتز بنفسك.. ابتسم.. ابتسم يا ولد، أرني بسمتك الحلوة. إن البسمة تنير الوجه وتريح القلب. لا شيء في الدنيا كلها يستحق أن تبكي بسببه إلا شيئا واحدا هل تدري ما هو يا عمرو؟ هل تعرفه يا خالد؟ تعرفه أنت يا أحمد؟

أحمد: نعم.. إنه معصية الله عز وجل.

الأب: ممتاز.. ممتاز يا أحمد بارك الله فيك.. معصية الله.. نعوذ بالله من عصيان الله. إن هذا البيت يا أولادي نظيف لم يشم منه أحد رائحة المعصية.. فإياكم أن يشمها أحد منه يوما ما.. إنني واثق فيكم، وأرجو أن تكون ثقتي في محلها. والآن دعونا نتحدث فيما جمعتكم له.. (**ينادي العم عبده**): يا عم عبده.

العم عبده: أمرك يا أستاذ.

الأب: إذا تكرمت.. أعدَّ لنا مشروبا لذيذا بيديك المباركتين، ولك جزيل الشكر.

العم عبده: عيناي لكم يا أستاذ.. حالا.. (**يخرج**).

الأب: لقد عزمت أن أؤدي فريضة الحج عن والدتكم - رحمها الله.

أحمد: وهل يجوز أن يحج إنسان بدلا من غيره؟

الأب: نعم، يجوز أن تحج عن الميت.. وتقضي عنه دينه.. وهذا مع الدعاء من أفضل الهدايا التي تقدمها للميت في قبره..

خالد: من اليوم ستصل مني إلى والدتي هدايا كثيرة - إن شاء الله.

الأب: بارك الله فيك.. ونفعنا بك.. هكذا يكون الولد البار بوالديه، يبرهما في حياتهما، وبعد موتهما.. المهم يا أولاد.. أنني قررت أن أصطحب أحدكم معي في رحلتي هذه بإذن الله.

عمرو: خذني أنا يا أبي.. بالله عليك.. إنها رحلة ممتعة..

خالد: بل خذني أنا يا أبي.. أريد أن أرى بعيني الكعبة.. أصلي في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة وأسلِّم عليه.

الأب: وأنت يا أحمد.. ألا تريد أن ترافقني في هذه الرحلة؟

أحمد: أكذب عليك إن قلت لك غير هذا، لكني أترك الأمر لله. والخير فيما يختاره الله.

الأب: على كل حال.. فإن هذه الرحلة العظيمة لن ينالها إلاّ من يستحقها.. لن ينالها إلا من نجح في الامتحان.

عمرو: أنت تعرف أنني كنت الأول على المدرسة كلها هذا العام.. وشهادتي تثبت ذلك.

خالد: وأنا كذلك كنت من أوائل الصف.. وقد كنت محافظا على تفوقي طوال العام.

الأب: أنا لا أقصد امتحان المدرسة.. فالشيء الطبيعي من التلاميذ المجدين أن يكونوا في الأوائل لا الأواخر.. أنا أقصد امتحانا أعقده لكم لكي يظهر فيه المستحق لهذه الجائزة الكبرى.. الرحلة إلى بيت الله الحرام.

عمرو: ونحن مستعدون للامتحان.

خالد: هل نحضر أوراقا وأقلاما؟

الأب: لا هذا ولا ذاك.. بل هو امتحان عملي.

الأولاد: عملي!!

الأب: نعم.. ما قولكم؟

عمرو: نحن مستعدون لأي امتحان.

الأب: عظيم.. عظيم.. (**ينادي**) يا عم عبده.. يا عم عبده..

العم عبده: أمرك أستاذ..

الأب: أحضر البنادق الثلاثة التي اشتريتها.

عم عبده: أمرك يا أستاذ (**يخرج**).

خالد: بنادق.. ما نفعل بها؟

العم عبده: ها هي ذي البنادق. مبارك عليكم يا أولاد هداياكم الجديدة.

عمرو: الله!! بنادق جميلة.

أحمد: كانت نفسي في بندقية جديدة منذ زمن.. أشكرك يا أبي.

خالد: إنها أجمل بكثير من كل البنادق التي عندنا.

الأب: والآن ليأخذ كل منكم بندقيته.. بندقيتك يا أحمد.. وأنت يا خالد.. وأنت يا عمرو.. هل تعرفون كيف تستخدمونها؟

الأولاد: نعم.. نعم (**يأخذ كل منهم في تجريب بندقيته**).

الأب: إذن.. نبدأ الامتحان.. مطلوب من كل منكم أن ينزل الآن ليصطاد أكبر يمامة تقع عليها عيناه على شرط واحد..

الأولاد: وما هو الشرط؟

الأب: ألّا يراكم أحد على الإطلاق وأنتم تصطادونها.

عمرو: وكيف تعرف أني اصطدت يمامتي دون أن يراني أحد؟ هل سترسل وراءنا جواسيس يراقبوننا؟

الأب: (**يضحك**) لا، طبعا لن أرسل وراءك جواسيس، ولكني سأتركك لضميرك..

خالد: والفائز طبعا هو من يصطاد يمامة أكبر حجما ووزنا من غيره.

الأب: (**يهز رأسه**) بشرط ألا يراه أحد، والآن يا فرسان، لنبدأ الامتحان، وأمامكم ساعتان لإنهاء الامتحان.

عمرو: سوف تجدني أمامك قبل ذلك بكثير.. بيدي يمامة لم تر مثلها من قبل، ولن ترى مثلها بعد اليوم.. هيا إلى العمل.

أحمد: انتظر يا عمرو من فضلك.. أبي أليس الصيد لمجرد اللهو حراما يغضب الله؟

الأب: بلى.. ولكننا لا نلهو.. نحن في امتحان.. وسوف نأكل اليمام اللذيذ الذي تصطادونه.

أحمد: وهذا يقتضي أن تعلمنا آداب الصيد في الإسلام.

خالد: وهل للصيد آداب؟

الأب: نعم أدب الصيد ألا تصطاد شيئا لمجرد اللهو، ولكن تصطاد ما سوف تأكله.. وحين تخرج للصيد تسمي الله، حتى إذا مات الطائر الذي تصطاده برصاص بندقيتك يكون حلالا لك أكله.. وإذا وقع الطائر جريحا، فلا تعذبه بتركه ينزف، ولكن سارع بذبحه بالسكين الحادة، وتقول وأنت تذبح: بسم الله.. الله أكبر، وتقطع رقبته من عند حلقومه (**يشير إلى رقبته**)، ثم عليك ألا تصطاد شيئا تعلم أو تظن أنه ملك لغيرك من الناس، كالحمام الذي يربى في المنازل وغيره من هذه الدواجن.

عمرو: يا سلام! ومن ينتبه لهذا كله؟

الأب: المؤمن الصالح الحريص على إرضاء ربه ينتبه لهذا ولأقل من هذا..

خالد: ولكننا أخطأنا كثيرا في الماضي.

الأب: عفا الله عما سلف، واستغفر الله من كل ذنب فعلته في الماضي.. والمهم أن تلتزم بهذه الآداب في المستقبل.. والآن انطلقوا فلقد مضى من زمن الامتحان عشر دقائق.

(ينصرف الأولاد)

الأب: حقا تربية الأولاد ليست شيئا سهلا.. إنها معركة أهم من كل المعارك التي خضتها.. اللهم أعني على حسن تربيتهم يا رب.

(يخرج من أحد بابي المسرح).

(يدخل العم عبده يأخذ صينية المشروب الذي قدمه، ويرتب المكان ثم يخرج).

المشهد الثاني

يدخل عمرو حاملا في إحدى يديه يمامة، وفي الأخرى بندقيته، وفي عينيه ملامح الفرحة).

عمرو: ها هو ذا.. أنا الفائز بإذن الله.. أكبر يمامة في تاريخ البشرية.. يا عيني على عبقريتك ومهارتك في إصابة الهدف يا عمرو.. هي رصاصة واحدة ونزلت اليمامة ترف..

آسف يا يمامتي.. لكن في نفسي أن أسافر مع أبي.. أزور الكعبة ومسجد الرسول ﷺ أنا لم أعذبك.. سقطت جريحة فذبحتك في الحال كما قال أبي.

هيه.. مرّ من الزمن ساعة ونصف ولم يحضر خالد و أحمد.. بالتأكيد هما الآن دائخان وراء اليمام في كل مكان.. حتى يصلا إلى مكان ليس فيه أحد.. هنا مخ.. فهمت اللعبة.. بعد نصف ساعة.. نصف ساعة فقط ينتهي الامتحان وتعلن النتيجة.. ويفوز عمرو عبدالرحمن بالجائزة الكبرى.. دقي.. دقي يا ساعة.. دقي.. دقي.. تك.. تك.. اجري يا ساعة.. اجري.. اجري.. تك تك تك تك تك..

(خالد يدخل لاهثا في يده بندقيته.. وفي الأخرى يمامة).

خالد: اللّه يا عمرو أنت وصلت؟!

عمرو: من زمان يا دنيا (**باعتزاز**) هذا شيء متوقع يا عزيزي.. ما هذا؟ عصفورة..؟

خالد: أنت أعمى!!.. إنها يمامة.. أكبر يمامة وقعت عليها عيناي اليوم.. ظللت أتتبعها من شجرة إلى شجرة، ومن جدار إلى جدار.. حتى استقرت بمكان ليس فيه أحد.. فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلما لم أرَ أحدا.. ولا مجرد أثر لإنسان.. صوبت بندقيتي.. وأطلقتها في لمح البصر وبكل دقة.. سقطت اليمامة مع أول طلقة بلا حركة.. ويشهد اللّه أني راعيت الآداب التي قال عنها أبي.. قلت في سري: بسم اللّه.. اللّه أكبر..

عمرو: (**بفخر**) عظيم، عظيم،.. كل هذا عظيم.. ولكن هذه - يا عزيزي - عصفورة.. وليست يمامة بل هي طائر أدنى منزلة من العصافير يسمى أبو فصادة.

خالد: لا.. لا.. إنها يمامة.. والله العظيم يمامة.. وهي أكبر من يمامتك.. أليست هذه يمامتك.. دعنا نقارنها.. أنا الفائز.. أنا الفائز..

عمرو: بل أنا الفائز.. لا تتعب نفسك.. حظ سعيد في المرات القادمة.. ماذا تريد أن أحضر لك من الأراضي المقدسة؟

خالد: الآن يأتي أبي ويحكم بيننا.. ثم من أدراك أن أحمد لا يصطاد واحدة أكبر من يمامتي ويمامتك.

عمرو: أحمد من يا عم؟ انظر.. بقي من الزمن دقيقتان.. نصف دقيقة.. ثانية.. انتهى الزمن.. أعلنت النتيجة.. أنا الفائز.. أنا الفائز..

(يقفز داخل الغرفة هنا وهناك)، (يدخل الأب)

الأب: ما هذا. ما هذا يا ولد يا عمرو؟

عمرو: آسف يا أبي.. إنها فرحة الفوز.

الأب: فوز ماذا؟

عمرو: فوزي بالجائزة الكبرى.. بالحج إلى بيت الله الحرام.. انظر.. انظر يا أبي.. ها هي ذي يمامتي.. وتلك يمامة خالد. أليست يمامتي هي الأكبر.. أليست يمامته هذه تشبه أبا فصادة شكلا ووزنا؟

الأب: ألا تنتظر حتى يحضر أحمد لعله اصطاد يمامة أكبر من يمامتك؟

عمرو: لقد انتهى زمن الامتحان.. وضاعت عليه الفرصة.. وأصبحت الفائز بلا منازع.. أنت لم تقل لنا: إن بعد الامتحان ملحقا. إذن الفائز..

(يدخل أحمد مطأطئ الرأس يحمل البندقية)

آه.. ها هو ذا البطل المنتظر.. عاد إليكم خاوي اليدين، ليس معه شيء.. ولا

حتى جناح عصفورة.. أنا الفائز.. أنا الفائز.. إلي بإكليل الغار.. أين أقواس النصر؟! اصطفوا أيها المهنئون على الجانبين صفوفا.. صفوفا.. وانشروا الورود على رأس الفارس الهمام.. والبطل المقدام.. عمرو عبدالرحمن.

الأب: هل هدأت قليلا.. أيها الممثل البارع حتى تسمع قصة أخيك؟

عمرو: اسمعوا ما شئتم، فما عاد السماع يقدم أو يؤخر.. لقد أعلنت النتيجة وانتهى الأمر.

(يجلس في زهو وخيلاء).

الأب: هيه يا أحمد.. أين يمامتك؟

أحمد: لقد اشترطت علينا يا أبي ألا يرانا أحد ونحن نصطاد اليمامة، ولكني ما ذهبت إلى مكان إلاّ ورأيت من يراني.. رأيت الله.. يراني في كل مكان.. في كل مكان..

عمرو: آه.. ضاعت الجائزة..

الأب: تعال إلى حضني يا أحمد.. أنت حقا الذي يستحق الجائزة.. **(يحضنه)**.. زادك الله إيمانا وفقها يابني.. **(يصافح أحمد ويحضنه بحرارة)**

(تمر فترة صمت يبدو فيها الولدان يفكران ثم يقترب خالد من أحمد ويصافحه).

خالد: أهنئك يا أحمد.. أهنئك من كل قلبي.. إنني أشعر اليوم أنني أحبك أكثر من أي يوم مضى.. يشهد الله أنني لا أشعر بضيق لأنك تفوقت عليّ، بل أشعر بفرح لأنك حقا تستحق الجائزة بجدارة، لأنك مؤمن لا تضيع وقتك وتحسن التفكير.. وتقرأ..

عمرو: وأنا أيضا يا أحمد أهنئك بالجائزة من أعماق قلبي.. ويعلم الله أنني غير متضايق بفوزك عليّ.. بل أنا سعيد لأنك أحق بالفوز مني.. إنك علمتني اليوم درسا لن أنساه.. أعاهدكم جميعا.. أنني لن أضيع وقتي بعد اليوم أبدا..

أبدا.. سأقرأ كل الكتب التي في هذه المكتبة.. لن أضيع الصلاة في المسجد.. لن أضيع الصلاة في المسجد..

الأب: مرحى.. مرحى يا أولادي.. أهنئكم جميعا.. لقد فزتم كلكم في هذا الاختبار.. فاز أحمد لأنه فهم الشرط الذي اشترطته عليكم.. وفزتم أنتم لأنكم لم تحقدوا عليه حين فاز عليكم وصممتم على أن تقتدوا به في صفاته الطيبة.

أهنئكم جميعا يا أولادي.. سنكون معا رفقاء في الرحلة المقدسة إلى بيت الله الحرام.. هيا نستعد.. من الآن بتجهيز حقائب السفر هيا.. هيا.. هيا.

«ستار»

الحضارة السوداء

بقلم: محمد علي البدوي – السعودية

الإهداء:

(إلى الأديب النجيب الأستاذ علي الغريب صاحب مسرحية بائع السعادة التي نشرت في العدد ٢٣.. مع التحية).

(المنظر: جزء من غرفة النوم، مضاءة إضاءة خفيفة، حيث تظهر صورة معلقة على حائط الغرفة، ومكتب صغير في الوسط، وأوراق مبعثرة هنا وهناك)

المشهد: صاحب الغرفة - سالم - يظهر وهو يجوب الغرفة يمنة ويسرة، وكأنه يفكر في أمر ما).

سالم: لا بد.. لا بد.. من مشروع كبير وضخم.. و.. و.. وحديث.. ترى ماهو هذا المشروع؟ ماهو؟.. (**يتوقف قبالة الجمهور**)

وجدته.. شقق مفروشة للعزاب.. نعم للعزاب.. شريحة مهملة.. محتقرة.. وحاجتهم للسكن ملحة.. لا سيما وأنهم.. غرباء مساكين.. سأستغل هذه الفرصة.. التجارة مهارة.. و.... لكن ما هذا يا حاج سالم؟.. أين أخلاقيات التاجر المسلم؟.. أين الصدق والأمانة؟ والعطف على المسكين؟.. لا.. لا.. سأترك هذا المشروع وأبحث عن مشروع.. مشروع آخر.. آخر.. نعم.. نعم.. لقد وجدته.. مشروع الموسم.. مؤسسة عملاقة متخصصة في الصرف الصحي!! المدن الكبيرة والمجمعات السكنية الضخمة تشتكي من طفح مياه المجاري والتي تهدد البنية التحتية.. وبالتأكيد سيدفعون كل ما أريد في سبيل تخليصهم من هذه المشكلة.. و.. و.. ولكن ما هذا - يضع يده على أنفه- صرف صحي.. مجار.. ما هذه القذارة يا حاج سالم؟ المسلم يتنزه عن هذه الأعمال الممتهنة.. أوه.. لقد تعبت في الحصول على مشروع.. أضرب به السوق.. وأحقق به الأرباح العالية.. أنا أبحث

عن مشروع حديث يدر عليّ الملايين.. يحتاجه الناس جميعا ويبحثون.. إذن ماهو هذا المشروع..؟! (**يقف فجأة**)

وجدته.. وجدته.. يا لسعادتي (**يدور على نفسه**)

يا لسعادتي.. السعادة.. الجميع يبحث عنها.. الصغير والكبير.. الغني والفقير.. يبذلون من أجلها الأموال.. ليسافروا إليها كل مكان.. سأقدمها لكم في أطباق من ذهب.. سأطلق قنبلة القرن..سأكون حديث العالم.. الصحف والمجلات.. ومحطات التلفزة.. وأجهزة الحاسوب.. ومواقع الإنترنت.. يا للسعادة! إلى السعادة.. يا سادة.. إلى السعادة..

(تضاء خلفية المسرح.. لوحة عملاقة كتب عليها «الحاج سالم.. للسعادة الجاهزة» يظهر سالم تحت اللوحة في الانتظار.. يسمع وقع أقدام.. يظهر من يمين المسرح رجل عجوز وقد اكتسى رأسه بالشيب.. تتضح معالم العجوز شيئا.. فشيئا، إنه الروائي الأمريكي «همنجواي»..).

همنجواي: طاب مساؤك.

سالم: ومساؤك.

همنجواي: الحاج سالم.. صاحب حانوت السعادة..؟

سالم: بشحمه ولحمه - واسمه ورسمه.. أنا سالم وهذا هو الحانوت (**يشير إلى اللوحة**).

همنجواي: شكرا لله.. لقد وصلت أخيرا.

سالم: هل من خدمة يا سيدي؟

همنجواي: يبدو أنك لا تعرفني يا بني

سالم: يسرني أن أتعرف.

همنجواي: أنا..(**أرنست همنجواي**).. الروائي الأمريكي.

سالم: (**الشيخ والبحر**) و (**لمن تقرع الأجراس**).. وأربعون عاما من الإبداع.

همنجواي: (**مقاطعا**) بل أربعون عاما من الشقاء.. والتعاسة.. صدقني يا بني.. صدقني.

سالم: وجائزة (**نوبل**)؟

همنجواي: جائزة نوبل والأضواء والشهرة والأموال لم تصنع لي السعادة، إنني في بحر متلاطم من القلق والمرض والوحدة.. أحس أن شيئا عظيما ينقصني.

سالم: و..

همنجواي: وجئت إليك في سبيل الحصول على السعادة التي بحوزتك.. سأدفع لك كل أموالي وأضوائي وشهرتي.. فقط امنحني السعادة.. امنحني السعادة.. أرجوك.

يجثو (**همنجواي**) على ركبتيه.. ويستند على كفيه.. ويجهش بالبكاء.. بينما تسلط عليه إضاءة خفيفة.. وقع أقدام أخرى.. تضاء الإنارة يدخل شاب في الأربعين من عمره.. يبدو عليه القلق والاكتئاب تظهر صورته بوضوح.. إنه (**دايل كارينجي**).

دايل: عمتما مساء.

سالم: السلام على من اتبع الهدى.

دايل: أيكما الحاج سالم؟

سالم: نعم.. هل من خدمة؟

دايل: أنا دايل كارينجي.. جئتك من أقصى الأرض أنشد السعادة التي أعلنتها عبر موقعك في الإنترنت..

سالم: انتظر قليلا.. انتظر.. يهرش رأسه.. كارينجي.. دع القلق وابدأ الحياة.. ألست أنت..؟.

دايل: بلى! أنا من كان يعالج القلق.. أنا من كان يشق للناس طريق السعادة.. لكنني أقسم لك يا سيدي أنني أعيش القلق الآن.. أعيش العذاب.. حاولت أن أوهم نفسي بالسعادة، شربت كثيرا.. أكلت حتى أتخمت.. رقصت حتى تعبت.. ولكن.. لا فائدة.. لا فائدة.

سالم: عجيب!

دايل: لا تعجب.. يا سيدي، إنها الحقيقة المرة.. نعم.. هي ما أحدثك به الآن.

سالم: وكتبك ومؤلفاتك وأموالك وشهرتك؟

دايل: إنها المزيد من الشقاء.. بل هي الشقاء بعينه.. أرجوك لا تكثر عليّ يا سيدي وامنحني سعادتي.. وسأمنحك كل ما تريد.. أرجوك.. أتوسل إليك.

(ينتبذ مكانا قصيا من المسرح ويجهش بالبكاء حيث تسلط عليه الإضاءة. وقع أقدام تقترب أيضا.. يظهر رجل في الخمسين من عمره وقد عصب رأسه وذقنه بعصابة من القطن الأبيض.. تتضح معالمه.. ويظهر للجمهور إنه الرسام العالمي فان كوخ.. يقترب من الحاج سالم).

كوخ: هنا سالم؟

سالم: أنا سالم.. وأنت؟

كوخ: فان كوخ.. الفنان العالمي.

سالم: بالطبع أنت عالمي.. ومحظوظ بالشهرة.

كوخ (**في حزن**): هكذا يقولون.

سالم: يقولون..؟!

كوخ: بل يزعمون.. إنهم لا يعلمون بالجحيم الذي أعيشه.. أتنفسه.. أمضغه.. ها.. ها.. ها.. (**يضحك**).

سالم: يا سيد كوخ!..

كوخ (**وقد تشبث بسالم**): بل أنت سيدي.. أنت منقذي.. سأهبك كل ما أملك من أجل الحصول على سر الحياة.. أكسير الحياة الذي بحوزتك.. السعادة.

سالم (**في خبث**): كل ما تملك.. حسنا. (**تضاء الإنارة فيظهر الجميع في المسرح)**

همنجواي: بل أنا الذي سأدفع لك ما تريده.

دايل: بل أنا سأكتب لك شيئا.. كل شيء.

كوخ: بل أنا.

همنجواي: قلت لك: أنا.

دايل: اصمتا.. أنا الذي سأحصل على السعادة أولا.

سالم: ها.. ها.. ها.. (**يضحك**) أشقياء.. لا يمكنكم الحصول على إكسير السعادة.

الجميع: لماذا؟

سالم: لأنكم تأخرتم كثيرا.. كثيرا جدا.

الجميع: تأخرنا.

سالم: نعم.. يا سادة.. لقد (**يصرخ**) هيا انصرفوا. لن أبيعكم سعادتي.. هيا.. هيا.

الجميع: لا.. لا.. لا

(تطفأ الإنارة.. ويعم الظلام المسرح.. وتختفي الأصوات.. يضاء المسرح وتظهر غرفة وقد خلت من كل شيء إلا من سرير النوم وعليه سالم يتقلب على فراشه وهو يصرخ)

سالم: هيا.. انصرفوا.. انصرفوا

(يدخل صديقه خالد، ينظر إلى الساعة ثم يتقدم إليه ليوقظه)

خالد: أووه! أما زلت نائما.. سالم! هيا استيقظ. (**سالم يستقيظ وهو يغالب النوم**)

سالم: أين أنا؟

خالد: أنت هنا يا سيدي..

سالم: وأين فان كوخ.. ودايل كارينجي.. وهمنجواي؟!..

خالد: سالم.. ما الذي حدث لك يا عزيزي؟.. لقد تأخرنا كثيرا عن موعد المقابلة في الوظيفة الجديدة.. هذه عاشر مؤسسة نتقدم لها.

سالم: وظيفة.. أي وظيفة؟!

خالد: أووه.. هل ستعود مرة أخرى.. هل نسيت أننا نبحث عن وظيفة منذ سنتين بلا فائدة.

سالم: ولكن مشروعي القادم..

خالد (**مقاطعا**): عدت للحديث عن مشاريعك.. سأنصرف.. وسأتركك للأحلام... وداعا.

سالم (**وهو يهم بالخروج**): خالد.. انتظر يا صديقي.. انتظر ..

(يتبعه سالم.. تطفأ الإنارة).

«ستار»

فسطاط سُبيطلة

بقلم: أحمد أبو شاور – الأردن

(مسرحية شعرية تاريخية)

المشهد الأول

(خيام جيش المسلمين، والرياح الشديدة تكاد تقتلعها..)

الجندي المسلم عبيدالله **(وهو يتشبث بعماد خيمته، يصيح بزميله سُليم)**:

أعني يا سليم فدتك نفسي   فهذي الريح لم تترك متاعا

سليم **(وهو يتشبث بعماد خيمته)**:

دع الفسطاط وانظر من تأذى   من الأمراء، أو حُبس افتزاعا

(يخرج عبيدالله من تحت فسطاط الأمير وبيديه درعان).

عبيدالله **(موضحا)**:

تحسست المهود فلم ألاقِ   سوى درعين من أثر الرفاقِ

(ثم ينظر إلى الجياد وقد اختلف لونها بفعل الريح والمطر وهاله ما رأى من احمرار):

ودوني الخيل من عصف تأذتّ   فأدمت سَوْرَةُ الرمل المآقي

سليم **(مطمئنا لعبيدالله)**:

لها الجفن القدير لذود رملِ   فلا تفزع على إبل وخيلِ

(يقبل نحوهما أحد قادة المسلمين وهو «عمير» قائد فرقة الاستطلاع، فيسلم عليهما ويسلمان عليه من غير مصافحة.. فيبادره عبيدالله بالسؤال):

عبيدالله:

فماخبرالجيوشفدتكنفسي وما عدد الذين وراء ترسٍ؟

عمير (**مكابرا**):

قليل أم كثير، ليس هذا بمثني همة ومضاء نفسِ

(**يطرق عبيدالله، ويسرح بخياله بعيدا**).

سليم (**لعمير بشيء من الاهتمام**):

كأنك قد رأيت قوى بحالِ نبات الأرض أو عدد الرمالِ

عمير (**بأسى واضح**):

رأيت الأرض قد ملئت بجيش وجند بات يكسوها الحديدُ

وفرقتنا الصغيرة قد أحيطت «كفُلكٍ» حوله انعقد الجليدُ

(**يصمت هنيهة ثم يقول مقررا بإحباط**):

فما للكر من سبل ليؤتى وما للفر من قتل سبيلُ

سليم (**يغتم من كلمات عمير، وتتملكه الرغبة في زجره لكنه يكظم غيظه ويسأله**):

فما رأي الأمير بما رأيتا؟

عمير (**مجيبا وراسما شارة الصمت بيده على فمه**): تنحى جانبا وأشار «صمتا»

سليم (**مستفسرا منه بشيء من الغلظة**): فلِمَ أخبرت عن أمر عصيتا

عمير (**مبررا**): لأني لم أطق قهرا وكبتا!

(**يرفع عبيدالله رأسه بعد تفكير طويل، وقد ظهرت على ملامحه رغبته في إبداء رأيه في الأمر...**)

عبيدالله (**مستفسرا من عمير**):

فما رأي الأمـير إذا أتينا بفعل يوسع الأعـداء وهنا؟

فإن خديعة في زحف جيش تـريع كتائبا وتهد حصنا

سليم (**لعمير مازحا ومتندرا من قول عبيدالله**):

كأني بالمغيرة أو بعمرو [1] يـزفـان الـدهـاء لنـا نجـاة

عبيدالله (**بثقة وإصرار**):

ونصرا من يد الرحمن حصرا ولـيـس لنيله منـا انفـلاتـا

عمير (**لعبيدالله بنزق**):

فقل لي ما رأيت فإن نفسي كقوس كسرت فغدت فتاتا

(يشرح عبيدالله لسليم وعمير خطة دهائه بحركات من شفتيه وإيماءات من رأسه ويديه، ويظهر اقتناع عمير وسليم من خلال ملامحهما.. وابتساماتهما..).

المشهد الثاني

عبدالله بن سعد بن أبي سرح قائد جيش المسلمين في أصحابه ومنهم عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير على جيادهم ينظرون عن بعد إلى جيوش البربر وقد أحاطت بجيش المسلمين من كل جانب.

يلمح عبدالله بن عمر ثلة من جنود المسلمين وهم يتبارزون بالسيوف فوق ربوة عالية، يجيل نظره فيرى العديد من الثلل التي تقوم بهذه المبارزة، فيتوجس خيفة فيقبل نحو إحداها ليستطلع ويستوضح الأمـر... وما إن يدنو من إحدى الفرق المتبارزة حتى يخرج إليه من بين الفرقة «سليم» قائلا):

(١) المغيرة: المغيرة بن شعبة، وعمرو: عمرو بن العاص. هما من دهاة العرب.

سليم:

على رسل الأمير، فقد ترانا   نريع الخصم في هذا المكانِ

(ثم يكشف سليم لعبدالله بن عمر عن رجله وقد غلفت بالجلود، وعن صدره وقد جعل الدرع تحت ثيابه، ثم يتابع قوله موضحا الغاية من هذه المبارزة):

نواري بالثياب درعا وشنا   ونرسل نحوها فيض الطعانِ

ونكثر دونهم من فعل هذا   فيعلم رهطهم في الصولجانِ

بأنا لا نموت بطعن رمح   ولا نهوي على وقع السنانِ

(ينظر عبدالله بن عمر رضي الله عنهما إلى جيش البربر، فيرى جنودهم قد صعدوا على أجساد بعضهم بعضا ليتحققوا مما شاع فيهم من أخبار..

(يهز عبدالله بن عمر رأسه متفهما، وترتسم على شفتيه ابتسامة تعبر عن استحسانه للفكرة. ثم يقول):

عبدالله بن عمر:

فما حصر الدهاء برأس عمرو   ولا حفص المغيرة قد توارى

فسبحان الذي أوحى لعبد   من الأعراب ما ينهي الحصارا

(ثم يلوي عنق فرسه وينطلق راجعا..)

المشهد الثالث

(جمع غفير من جنود البربر وقد التفوا حول قائدهم، وعيونهم تتجه نحو فارس منهم قد أقبل من ناحية جيوش المسلمين..يترجل الفارس عن جواده ثم يقبل نحوهم، ويتوجه نحو قائدهم ليقول):

الفارس:

لعمري ما رأيت بهم جراحا وقد غلوا ببعضهم الرماحا

(ينظر جنود البربر بعضهم إلى بعض نظرات اندهاش وفزع).

الفارس: (**يستطرد قائلا**):

كأن جلودهم من خف فيل تجفف مدة فأبى اجتراحا

(يكثر القيل والقال في جنود البربر، وتتعالى أصوات الرفض والاحتجاج، فينسل قائدهم، ويصعد إلى ظهر جواده، وينطلق مبتعدا..).

المشهد الرابع

(ملك البربر «جرجير» وقد جلس على البرذون، وحوله الجواري، فيما يقف دونه قائد جيشه):

القائد:

حصرنا جيشهم من كل صوب فليس بوسعهم كرٌّ لحربِ

(ثم يستدرك قائلا لجرجير الذي انشغل بمداعبة قرد صغير قفز إلى حجره):

ولكني رأيت بهم عجابا أطار اللب مني والصوابا

فإن فطن الجنود إليه بتنا نكابد من صدى الأمر اضطرابا

جرجير (**لقائد جيوشه ولم يتنبه لما قال القائد**):

غدا تنهب الوحوش رفات جيش وتبقي في غنائمك الكعابا

وإن كان الخليفة قد أجابا [1] بخمس الخمس عن نصر ثوابا

(١) الخليفة: عثمان بن عفان وقد وعد القائد عبدالله بن سعد بن أبي سرح خمس خمس الغنائم إذا فتح الله عليه ذلك الفتح بإفريقيا.

(وهو يشير بيده للمسير):

فـإني قد وهبت إليك ربعا   وباقي الغنم تودعه الجرابا

(ينطلق به الـبرذون ببطء فيما يسير القائد على قدميه خلف جرجير قائلا):

القائد: ولكني أردت جلاء أمر

جرجير: **(يقاطعه قبل أن يتم كلامه بقوله):**

بعيد النصر تستجلي أمورا   وتسقي الجيش من فرح خمورا

(يبتعد به البرذون وتبدأ جواريه يهفهفن عليه بريش النعام فيما تبدأ قيانه بعزف الموسيقى، ويبقى قائد جيشه في مكانه متلبثا متعجبا مقهورا).

المشهد الخامس

(عبدالله بن سعد يتوسط عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير، وقد اعتلوا على ظهور جيادهم في مكان عال يشرف على جيوش جرجير).

عبدالله بن عمر **(وقد رأى جرجير معقبا):**

أرى جرجير في أقصى خيولٍ   على البرذون في ظلل حسانِ

(عبدالله بن سعد يتفهم كلمات عبدالله بن عمر، فيعقب على ما يرى بقوله):

تهف عليه بالريش الصبايا   ويطرب سمعه عزفُ القيانِ

(عبدالله بن الزبير يحدق من مكانه بموكب جرجير فتتسع عيناه، وتبدوان كعيني الصقر الذي يلمح فريسة طال انتظارها لظهورها، فيقول للأميرين):

أكـر عليـه في نفـر قليل   كرار الخيل إذ حملت رسولا

(ثم ينطلق بجواده نحو جيش البربر، وما إن يخطو به جواده حتى يتبعه بعض الفرسان من المسلمين).

(عبدالله بن سعد يتلو قول رب العزة والجلال احترازا لعبدالله بن الزبير من القتل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (يس).

(يقترب عبدالله بن الزبير بجواده من جيش البربر، فيما تلاحقه نظرات الأميرين حتى يدنو من جرجير الذي يتلبث فوق برذونه، وما إن يرى الشر في عيني عبدالله بن الزبير حتى يهم بالفرار، فيتبعه ابن الزبير فيطعنه بالرمح، ثم يجهز عليه بسيفه، ثم يأخذ رأسه فينصبه على رأس الرمح ويصيح بأعلى صوته: الله أكبر الله أكبر..

يرى جنود البربر ما حل بملكهم فيتفرقون في كل الاتجاهات.

«ستار»

ليلة دمشــــق

بقلم: صالح محمد المطيري – السعودية

(مكان المسرحية: دمشق وبغداد

زمن المسرحية: العقد الثاني من القرن الثالث الهجري

أشخاص المسرحية: مسعود الدمشقي

سمية: زوجته

القاسم: ابنه

العباس: صاحب شرطة المأمون

الخليفة المأمون

إضافة إلى جنود، غوغاء، وآخرون.)

المشهد الأول

(بيت مسعود الدمشقي، باحة صغيرة نرى من خلالها باب البيت، في حين أحدقت بها بعض قطع الأثاث البسيطة، يدخل مسعود صاحب البيت، وهو رجل قد تخطى الستين من العمر، وبدت عليه بعض آثار الشيخوخة)

مسعود: **(يجلس)** لا حول ولا قوة إلا بالله.

(يشعر به بعض أفراد عائلته فيأتون إليه، وفيهم سمية زوجه، وهي أصغر منه في العمر بقليل)

سمية: حمداً لله على سلامتك يا أبا القاسم!

مسعود: سلمك الله يا أم القاسم. إني لم أبعد في المسافة، فلم أتعد أبناء عمومتي في منبج.

سمية: لقد قلقنا عليك منذ غادرتنا مسافراً.

مسعود: ولم القلق، ما أكثر ما ذهبت إلى هناك، هل سمعتم شيئاً؟

القاسم: حمداً لله على عودتك يا أبي (**يقبل رأسه**).

مسعود: مرحباً يا بني، مرحباً، كيف أصبحت الآن؟

القاسم: بخير والحمد لله،... لكن ألم تسمع أنت يا أبي بما حدث (**يأتي فيجلس إلى جنبه**) ظننا أنك سمعت، ولربما عاينت.

مسعود: سمعت؟ عاينت، ماذا هنالك؟ خيراً إن شاء الله.

سمية: إن دمشق منذ سبع ليال وهي تضطرم في فتنة تموج مثل موج البحر!

مسعود: ماذا؟ أي فتنة؟ أعوذ بالله من الفتن، هل حدث شيء بعدي؟

القاسم: لقد لزمنا بيتنا منذ اشتعلت فلم نبرحه ألبتة، وكدت أرسل إليك لتبقى هناك ولا تأتي، أو نلحق نحن بك.

مسعود: لأبقى هناك أو تلحقوا بي، عجيب ماذا جرى بعدي يا سمية؟

سمية: لقد ثار العامة وشغبوا هم ومن تبعهم من الصناع وأهل الأسواق على متولي دمشق وشرطته وحاصروه في قلعته. ولم ينج إلا بعد ما جاءه مدد من عسكره المرابط في الساحل فهدأت الأمور بعد ذلك قليلاً.

مسعود: آه، فهمت الآن، لربما رأيت عسكراً يجوسون خلال المدينة. لكنهم لم يتعرضوا لي بأذى، ولا أنا بالذي اقتربت منهم لأرى ما هم عليه.

القاسم: إنك لم تشهد الملحمة التي حدثت عندما قام السوقة بمطاردة رجال الشرطة في الشوارع حتى ألجؤوهم إلى أن رمى بعضهم بنفسه في النهر، ومنهم من نجا واستطاع الاعتصام بالقلعة مع المتولي نفسه. والذي كان قد فر إليها آنفاً.

سمية: لا، بل إنهم حاولوا معالجة باب القلعة الموصد لفتحه أو كسره، ولولا وصول المدد لتم لهم ما أرادوا ولأخذوا الوالي بتلابيبه واستأصلوا جنوده.

مسعود: يا للعجب! إن لهم لشأناً، ما الذي أدى بهم إلى أن يشغبوا ويحدثوا ما أحدثوا؟

القاسم: سألت أحد أهل السوق فقال: إنهم شغبوا لما أوفد الوالي جباة له شداداً غلاظاً ليؤدوا له مكوساً وعشوراً فرضها عليهم، وكانت عالية جداً، في حين أن سوقهم واقعة في كساد عظيم لم تزل في إساره حتى طلع عليهم الجباة بهذه المكوس العالية..

مسعود: وهل استطاعوا دفعها؟ أعني تلك المكوس العالية؟

القاسم: كلا، لم يستطع جلهم دفعها، واستشكلوا سؤالهم هذه المبالغ مع كساد بضاعتهم.

مسعود: ثم ماذا حدث؟

القاسم: حاول الجباة حملهم على الدفع بالقوة بالاستعانة بشرط الوالي، فحدث أن اشتبك رجال الشرطة ومعهم الجباة مع بعض الصناع، ثم تبعهم أهل السوق أجمعون، فاشتعلت الفتنة وتقاتل الفريقان وتطاردوا في الشوارع كالغوغاء، ولزم الناس الآخرون بيوتهم خشية أن تطالهم الفتنة أو يصيبهم شررها.

مسعود: إنا لله وإنا إليه راجعون، أعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. ثم ماذا حدث بعد ذلك؟

سمية: هدأت الأمور بعض الشيء بعد وصول المدد من الجيش المرابط في الثغر الذي على الساحل.

القاسم: وقام المدد القادم بإخماد الشغب وأخذوا الناس أخذاً شديداً بالتهمة وبالظنة.

(يسمع قرع على الباب، يسكت الجميع وتصوب أنظارهم نحو الباب على نحو متوجس، ينظرون بعضهم إلى بعض وكأنهم يتساءلون من يا تُرى يكون الطارق في هذا الجو المشحون بالتوتر! يشير الأب إلى ابنه الأكبر لفتح الباب،ينهض الابن لفتح الباب، يفتح، فإذا عدد من العسكر، يتقدمهم رئيسهم)

رئيس العسكر: شاهدنا رجلاً يدخل إلى هذا البيت قبل وقت ليس بالطويل.

القاسم: لا يوجد غريب بيننا هنا، كلنا أهل هذا البيت.

رئيس العسكر: أليس هذا بدار مسعود بن الحسن الدمشقي؟

مسعود: نعم، هذا هو منزله، وأنا هو.

رئيس العسكر: إذن هل تأذن في مرافقتنا إلى القلعة؟

مسعود: إني لم آت بيتي إلا هذه الآونة.

رئيس العسكر: إن الأمير يريدك الليلة، وطلب منا استدعاءك إلى حضرته.

مسعود: وماذا يريد مني الأمير في هذه الساعة، لا عدمته؟

رئيس العسكر: إنه فقط يحتاجك ليسألك بعض الأسئلة وستعود إلى بيتك راشداً.

مسعود: لكن، هل يأذن لي الأمير بأن أغدو إليه صباحاً بدل هذه الساعة المتأخرة؟

رئيس العسكر: لا أظن ذلك، لأنه أوصانا بأنه يريدك الساعة. وقال: لا تعد إلا وهو معك. **(تثير العبارة الأخيرة ارتياب أهل البيت فيتوجسون خيفة، يلاحظ رئيس العسكر ذلك، فيعقب مُطَمْئناً)** أقصد بأنه لا داعي للقلق، إنه سيستشيرك في بعض الأمور المتعلقة بصناعتك، بصفتك من قدماء أهل الزراعة والفلاحة في دمشق.

مسعود: **(ينظر إلى أفراد أسرته، ثم يلتفت إلى رئيس العسكر ولا زالت الريبة تغلف حديثه)** إذن لا مناص من مجيئي معك الآن.

رئيس العسكر: هو ذاك، رحمك الله.

مسعود: **(إلى عائلته)** سأرافقه، وسأعود إليكم إن شاء الله.

رئيس العسكر: هيا بنا إذن. **(يخرجون)**

المنظر الثاني

(في سجن الخلافة ببغداد، زنزانة صغيرة صخرية الجدران، لا يوجد بها بصيص نور إلا من قنديل صغير أضيء الآن من كوة الباب لغرض معين. وقد اضطجع السجين الموجود فيها على حشية حقيرة من ليف، وهو رجل فوق الثلاثين من عمره، يبدو من زيه ومن تقاطيع وجهه أنه من أبناء القبائل العربية القاطنة في السواد. يسمع صلصلة المفتاح فيرى بصيص النور القادم من كوة الباب، يُفتح الباب فإذا السجان مرتفقاً مسعود الدمشقي الذي تغير عنه في المنظر السابق وبدا عليه الجهد الشديد، يُدخل السجان مسعوداً ويقفل الباب وراءه، يجول مسعود ببصره في داخل الزنزانة رغم ضآلة النور، ينهض السجين من مكانه ويقابل مسعودا)

مسعود: السلام عليكم ورحمة الله.

السجين: وعليكم السلام ورحمة الله. (**يشير إلى الحشية**) استرح هنا رحمك الله.

مسعود: عد إلى مكانك، شكر الله لك، سأقعد هنا.

السجين: آليت عليك إلا قعدت هنا يا شيخ.

مسعود: (**يقعد عليها**) جُزيت خيراً يا فتى. (**يمر وقت قصير، والسجين يتأمله**)

السجين: (**يقعد أمامه**) قل لي يا عم، أأنت سجين مثلي أم لا؟

مسعود: لا أدري لماذا أنا هنا يا فتى، جيء بي من دمشق ووضعت هنا. واسمي مسعود بن ثابت. هلا علمت من أنت؟!

السجين: أما أنا فقيس بن المحصب العجلي من أهل الأنبار.

مسعود: ولماذا أنت هنا؟

السجين: تشاجرت مع أحد العسكر في بلدتنا فأخذوني ووضعوني هنا. لكن كيف أُحضرت أنت إلى هنا؟ هل وقع لك ما وقع لي؟

مسعود: هاجت فتنة في دمشق فقدمت إلى بيتي من سفر، فأُخبرت بخبر الفتنة، فلم ألبث إلا قليلاً حتى جاءنا عدد من العسكر وأخذوني إلى الأمير.

السجين: وماذا يريد الأمير منك، هل فعلت شيئاً أثار حفيظته؟

مسعود: لم أفعل شيئاً، قال لي العسكر: إنه يريدني ليستشيرني في بعض الأمور، فرافقتهم رغم أن الشك ساورني من مجيئهم ذاك، خاصة بعد حدوث الفتنة. فلما أخذوني معهم عدلوا بي إلى سجن القلعة فأدخلوني فيه، فوجدته غاصاً بالناس ممن جمعهم العسكر بنفس الطريقة. فمكثت يوماً هناك ثم أرسلوني بالبريد عبر تلك المفاوز والقفار حتى جيء بي إلى هنا حيث سجن الخلافة كما سمعتهم يسمونه. وكلما سألتهم عن علة أخذهم لي، أجابوا بأنهم لا يعلمون هم أنفسهم، وإنما الخبر عند الأمير، فقلت لهم: أرسلوني إلى الأمير، فقالوا: لقد منع الناس من مقابلته وسيرسلني إلى عاصمة الخلافة لتتدبر أمري!

السجين: أعانك الله يا عم، وفرج كربتك.

مسعود: ولكن هل هذا هو سجن الخلافة حقاً؟

السجين: يقال: إن هذا هو السجن الذي بناه المنصور عندما أسس بغداد، وكان المنصور يحتفظ فيه بأعداء الخلافة ومن يخرج عليه إلى أن يتخلص منهم، أو تحين آجالهم وهم فيه.

مسعود: لا حول ولا قوة إلا بالله.

السجين: (**مستدركاً**) أستميحك عذراً يا عماه، أظن أني أقلقتك بهذا الكلام، ليس ذلك في كل الأحوال فلربما يجعل الله بعد الشدة فرجاً، ومن هذه المحنة مخرجاً.

مسعود: إنا لله وإنا إليه لراجعون، أما إن الله ليعلم أني ما زُجَّ بي إلى هنا إلا ظلماً وعدواناً. اللهم أخرجنا منها على خير، وانتقم ممن يؤذي عبادك المؤمنين بغير ما اكتسبوا.

السجين: إن الله في عون المظلوم، وهو سينتقم من الظالم.

المنظر الثالث

(ساحة الإعدام الملحقة بقصر الخلافة في بغداد، وهي ساحة كبيرة رملية الأرض، فرشت وسطها أنطاع من الأدم، أحاط بها الجنود على شكل دائرة، وقد توسطهم العباس بن مجالد صاحب شرطة الخليفة المأمون والمكلف بتنفيذ الإعدام فيمن يأمر القصر بإعدامهم، وهو رجل قد تخطى الخمسين من عمره، وقد ارتدى كامل زيه الذي ينم عن منصبه، ومعه رقعة فيها أسماء الذين سيؤتى بهم الآن من السجناء لضرب أعناقهم في هذه الساحة، وقد وقف إلى جواره كبير مساعديه مؤنس، يمر العباس على الأسماء بسرعة، فيما يؤتى بأول السجناء معصوب العين، وهو مسعود الدمشقي، لإعدامه، يشير كبير مساعديه إلى اسمه الأول في الرقعة.....)

مؤنس: هذا يا سيدي هو أول الذين أرسلهم صاحب دمشق عنبسة بن خديج على أنهم ممن شغبوا على جند الخلافة، واسمه مسعود بن ثابت.

العباس: وهل تحققتم مما نسب إليهم.

مؤنس: لقد جاءتنا اعترافاتهم جاهزة مكتوبة من قبل صاحب دمشق.

العباس: وأين بقيتهم؟

مؤنس: إنهم الآن في السجن، وسيؤتى بهم واحداً واحداً.

(يأخذ الجنود مسعوداً ويربطون يديه ورجليه، وهو يردد لا حول ولا قوة إلا بالله، حسبنا الله ونعم الوكيل. ثم يقعدونه في وسط الساحة في حين بدا الجلاد مخترطاً سيفه، يقترب قليلاً بانتظار إشارة صاحب الشرطة لضرب عنق أول هذه القائمة مسعود الدمشقي، ينظر العباس نظرات متأملة عميقة إلى هذا الشيخ المعصوب العينين ذي اللحية البيضاء والشامة الكبيرة على صفحة وجهه. وقد أجلسوه قبالته، ما الذي يدور في خلده يا تُرى وهو ينظر إلى هذا الشيخ الذي جيء به هنا لتدق عنقه؟ يقطع العباس تأملاته وكأنه يطرد هاجساً مر على خاطره ويشير إلى الجلاد ليتقدم فينفذ الإعدام، يسير الجلاد بخطى ثابتة حتى يصل إلى مسعود منتضياً سيفه، يرفع الجلاد سيفه فيلمع السيف الصقيل في شمس الظهيرة، يهوي الجلاد بسيفه على عنق

مسعود، يصيح العباس من مكانه فجأة: توقف! يدهش الجميع لهذه الفجاءة، يتوقف الجلاد بسرعة وكأنه تلقى صدمة كهربائية، وينظر إلى العباس امتثالاً لأمره، يقوم العباس إلى مسعود فيفك عصابته)

العباس: (**يتأمل وجهه**) أيمكن أن تكون هو يا رجل؟!

مسعود: (**مجهداً**) عجباً، ومن هو؟...... ماذا تعني بسؤالك هذا؟ ثم ماذا تنقمون مني لتخرجوني فتقتلوني في هذه الظهيرة؟

العباس: هل أنت من أهل دمشق القدماء؟

مسعود: نعم، إني كذلك؟

العباس: هل تعرف من أنا؟

مسعود: سمعتهم يدعونك صاحب الشرطة.

العباس: ألم نتقابل قبل ذلك؟ ألم تعرفني يا رجل؟

مسعود: أعرفك؟ ومن أين لي أن أعرفك؟ (**ينظر إليه جيداً فيحاول أن يتذكر أين رأى هذا الرجل قبل هذا الوقت، تمر لحظات ولحظات... تتسرب إلى مخيلته بعض ملامح وجهه ونغمة صوته التي اختزنها في مكان ما من ذاكرته**) لا أدري...لكن ربما...لم أعد أتذكر.. لكن...(**صمت، يحاول التذكر مدققاً في ملامح العباس**) يهيأ لي أننا ربما التقينا قبل الآن!

العباس: (**يزداد قلقه وتوتره**) أين يا رجل؟ أين؟ هيا تكلم.. انطق.. هل تتذكر جيداً؟

مسعود: (**شارداً ببصره إلى السماء ينظر في الأفق البعيد، مسترجعاً ذاكرته التي أضرت بها الشيخوخة**) ظنٌّ كأنه اليقين بأننا التقينا في دمشق قبل ثلاثين عاماً مضت، نعم، ها أنا قد استرجعت صورتك....... وإني ما أُراك إلا العباس بن مجالد العتبي وكأني بك كنت تكنى بابن أبي خارجة!

العباس: (**يهب واقفاً مصعوقاً**) لقد صدق حدسي إذن! (**ينصرف عن مسعود، ثم بلهجة آمرة**) هيا حلوا وثاقه وأعيدوه من حيث أتيتم به.

مؤنس: وماذا عن البقية؟

العباس: (**مشيراً بيده**) ولا تحضروا أحداً من الذين في هذه الرقعة حتى آذن لكم. أفهمتم؟

مؤنس: سمعا وطاعة يا سيدي.

(**يغادر العباس الساحة ويأخذ الجنود مسعوداً ويخلون الساحة**)

المنظر الرابع

(**ديوان الخليفة المأمون، وهو ديوان ملوكي مزدان بقطع مختلفة من الأثاث الفاخر والزخارف الجميلة والسجف الحريرية، وقد توسط الخليفة نفسه هذا الديوان الفخم في حين جلس بحضرته عدد من مستشاريه ورجال دولته، يبدو أن الخليفة ينتظر شخصاً قد طلبه للمثول أمامه، ولم يمكث طويلاً حتى استأذنه بالمثول في ديوانه فيدخل فإذا هو صاحب شرطته العباس**)

العباس: (**بلهجة احترام**) السلام على مولاي أمير المؤمنين.

المأمون: وعليكم السلام يا عباس. (**يشير المأمون إلى من بحضرته بمغادرة الديوان إلى مكان آخر**)

العباس: (**ينتظر حتى أخلي المكان**) سمعت أنك طلبتني الساعة يا أمير المؤمنين؟

المأمون: (**يقوم من أريكته ويتقدم خطوات، ثم بلهجة غاضبة**) ما هذا يا عباس؟ ماذا دهاك يا رجل؟ هل أنت من رجال الخلافة أم من أعدائها؟

العباس: خيراً يا أمير المؤمنين؟ بل ما زلت من رجالها المخلصين.

المأمون: (**مشيرا إليه**) كيف تعمد ويحك إلى رجل قد أنفذنا أمر إعدامه فتمتنع أنت من تنفيذه وتوقف السيف قبيل أن يطيح برأسه؟

العباس: (**مطأطئا بصره قليلاً**) إني لم أقصد ألبتة أن أعصي أوامرك يا مولاي. وأنا الذي ظللت في خدمتك منذ توليتَ حتى شاب مفرقي وأنا رهن أمرك.

المأمون: (**مقتربا**) كيف تفعل هذا يا عباس وأنا الذي أنعمت عليك بهذا المنصب وخلعت عليك من الجاه والخدم والحشم والمال الكثير، حتى صرت من وجهاء بغداد ومن رجال الخلافة؟

العباس: على رسلك يا مولاي، فإنك لو فهمت ما وقعت فيه من بلوى لعذرتني يا مولاي فيما صنعت!

المأمون: (**متفكرا**) عجيب! وماذا حدث لك، وأنت ناعم لدي في دار الخلافة ترفل في عزها ونعيمها؟

العباس: لا ضير يا مولاي، لا ضير، إذا كنت لا بد فاعلاً فضعني مكانه تحت السيف وأطلق سراحه، رأساً برأس!

المأمون: (**مستغربا**) ويحك يا عباس؟! هل جننت؟ أوصلت بك الأمور إلى أن تفدي من شغب على جند الخلافة بنفسك فتطلق سراحه وتحل مكانه تحت السيف؟ أيعقل هذا العمل يا قوم؟

العباس: أرجو أن لا تبعد في اتهامي يا مولاي، فأنا لا أزال من رجالك المخلصين، ومن أعوانك المطيعين، ولكن لا بد أن أفضي إليك بسريرة أمري حتى تكون أنت على بينة مما فعلت.

المأمون: أي سريرة تلك؟ ماذا هنالك يا عباس؟ هل أنت تعرف ذلك الرجل؟ هل لك شأن به أو أنه من بني عمومتك أو خؤولتك؟

العباس: لا، إنه ليس من أقاربي، ولا تربطني به صلة من قريب أو بعيد، ولكن...

المأمون: ولكن ماذا؟

العباس: لقد فداني هذا الرجل بنفسه من الموت على يد أناس يطاردونني بالمدى والفؤوس يريدون أخذي وقتلي والتمثيل بي.

المأمون: ماذا تقول يا عباس، أيعقل ما تقول؟ كيف حدث هذا ومتى وقع؟

العباس: منذ ثلاثين عاماً في أواخر عهد أبيك أمير المؤمنين الرشيد.

المأمون: (**يعود أدراجه**) وما الذي وقع لك فحدث ما حدث؟

العباس: سأخبرك بنبئي يا مولاي. لما دخلت في خدمة الخلافة وأمضيت سنتين في بغداد أُرسلت إلى دمشق مساعداً لمتوليها في ذلك الوقت ورئيساً لشرطته وكافة عسكر المدينة، فكان أن شغب العامة وأحدثوا فتنة مثل التي حدثت قبيل أسابيع...

المأمون: (**معقباً، وقد هدأ قليلاً**) أي فتنة تعني، آه في غابر الأيام تذكرت الآن.... لقد شغلت تلك الفتنة أبي الرشيد - رحمه اللّه - أسابيع حتى خمدت.

العباس: (**مواصلا**) فشغب العامة والدهماء، وتقاتلوا هم وعسكر المدينة حتى حصروهم في القلعة مثل ما حدث. وكان الأمير قد استطاع الهرب هو وعدد من غلمانه والتحصن في ضيعة له خارج دمشق، فبقيت أنا وحفنة من رجالي داخل القلعة، فكان أن تجمهر الثوار عند باب القلعة فعالجوه حتى كسروه فانسابت جموعهم داخل القلعة وانتشروا في ممراتها وغرفها، عندها تفرق عني رجالي وانفرط عقدهم وانسلوا عني واحداً تلو الآخر، فلم يثبت منهم أحد، فأحسست عندها بالهلكة وأن علي أن أتدبر أمري قبل أن أقع فريسة تلك الغوغاء الذين أشرعوا بأيديهم الفؤوس والسكاكين.... (**يتوقف قليلاً**)

المأمون: (**عائداً إلى أريكته**) وكيف نجوت من قبضتهم وقد داهموك؟

العباس: لقد تلفّت يمنة ويسرة علني أجد منفذا للنجاة من أيديهم وفؤوسهم المشرعة، لقد احتلوا كل الممرات وأخذوا يجوسون خلال الغرف ليقبضوا علي وكأني طلبتهم الوحيد في البلدة، إنها لمحنة عصيبة وأنا كالفريسة الحائرة التي ما تفتأ تنشد الإفلات والنجاة من آفة قد أحدقت بها من كل الجوانب...

المأمون: إنها لتفاصيل عجيبة تلك التي ترويها يا عباس، لماذا لم تخبرني بتلك المحنة إذن؟

العباس: لم تحن فرصة لأخبرك بها إلا الآن..... (**مواصلاً**) ثم فتشت جيداً عن مخرج من هذا المأزق، فلم أجد أمامي إلا نافذة في غرفة تطل على خارج القلعة، أطللت من تلك النافذة، فوجدت بيني وبين الأرض بوناً شاسعاً تحلق به النسور وجوارح

الطير، ورأيت جموع الغوغاء من بعيد تتدفق إلى القلعة وبيني وبينهم خندق من الماء، ففكرت أني لو تدليت بحبل من تلك النافذة فإنهم لا محالة سيرونني ويعرفونني ثم يرشقونني بما معهم من سهام ومقاليع حتى أصبح كالشن الممزق، عندها ألهمني الله فذهبت إلى بئر القلعة قبل أن يصلها المقتحمون فأخذت دلوا عظيمة من الخشب فتدليت بها من تلك النافذة، وإني يا مولاي لا أزال أسمع وقع نصالهم حتى وصلت إلى الأرض فضربت في الخندق وخضت في الماء حتى نفذت إلى جهة بعيدة عن جموع الثوار، فسلكت في أرض ذات آجام وشجر، وشعرت قليلاً أني قد خلصت....

المأمون: (**متابعاً باهتمام**) وأين اتجهت بعدما خلصت من أيديهم؟

العباس: لقد شعرت مخطئاً بالخلاص، إذ إن كوكبة من فرسانهم انتبهت لطريقي التي سلكتها فأخذوا يطاردونني من بعيد، وأنا قد بلغ مني الجهد الغاية، فيممّت إلى طرف البلدة وشرعت في محلة من محلاتها، ثم اتجهت إلى بيت من بيوتها على غير ما هدى بقصد الاحتماء به، فطرقت الباب بسرعة فخرج إلي صاحب البيت وأدخلني بيته، فأخبرته بخبري فرق لي فخبأني في إحدى الغرف، فلم يُرع إلا والرجال يطرقون بابه بقوة وكأنهم يريدون كسره، فأمرني بالمكوث في مخبئي وانتطق هو سيفه وتأهب لمناجزتهم ثم فتح الباب. كلموه أولاً وسألوه عما إذا كان قد آوى طريداً لهم في هذه الساعة، فنفى ذلك بشدة، فأكدوا عليه بأن الطريد شوهد وهو يدخل في أحد البيوت وأنهم يريدون الآن إخراجه، فقال: إن بيوت المحلة كثيرة فلماذا لا يفتشون في البيوت الأخرى غير هذا البيت!

المأمون: وهل اكتفوا بإجابته وكروا راجعين على أعقابهم؟

العباس: كلا يا مولاي، لقد شكوا من رفضه ذاك، فأصروا على أن يفتشوا البيت بأنفسهم ليكونوا مطمئنين، فأبى عليهم صاحب البيت انتهاك حرمته وتفتيش بيته بغير رضاه، وخرجت زوجته تولول وتقول: واغوثاه! واعواراه! وا بياتاه! يا لربيعة! يا لكلب! أين أنتم يا فرسان الحقائق، وأخذت تستصرخ جيرانها وهم حي من ربيعة وكلب أخوال صاحب البيت، فتوافد فتيان من بني ربيعة وكلب لنداء الصريخ وجاؤوا

ملبين للنجدة، عندها رأى الرجال أنهم ربما يقعون في أمر لا تحمد عقباه مع هؤلاء الفرسان القادمين فانصرفوا على أعقابهم خائبين. فمكثت أياماً في حماية صاحب البيت حتى هدأت الفتنة وجاء جند الخلافة من بغداد وأعاد الأمور إلى نصابها وسيطر على شؤون المدينة وأمنها. فغادرت ذلك البيت وشكرت صاحبه على حمايتي وضيافتي في كل تلك المدة مع ما تحمله بسببي من محنة ومشقة.

المأمون: (**معقباً**) إذن، إنه لعمل عظيم ذلك الذي قام به من أجلك.

العباس: نعم، إنه كذلك، ولكن يا مولاي أتدري من يكون ذلك الرجل؟

المأمون: (**متوجساً**) ومن يكون ذلك الرجل يا عباس؟

العباس: إنه مسعود بن ثابت الدمشقي الذي أمرتَ بإعدامه هذا الصباح وطلبتني من أجله.

المأمون: (**يقوم من أريكته ويتقدم خطوات**) يا لها من فادحة إذن؟ كيف يكون هو يا عباس؟

العباس: هو بعينه يا مولاي، إني لم أنسه ولم أنس ملامح وجهه رغم ثلاثين عاماً تصرمت منذ آواني في بيته؟ وكيف أنساه وقد فداني بنفسه وتكبد بسببي المشقة؟

المأمون: (**مفكراً برهة**).... لقد اتضحت لي المسألة الآن، وبدأت أعذرك يا عباس فيما أقدمت عليه من منعه من السيف، حتى عرضت نفسك بدلا منه، ولكن... (**يصمت**)

العباس: (**مترقباً**) ولكن ماذا يا مولاي؟

المأمون: إني لأقدر موقفك يا عباس، وإن ما فعلته ليدل على أنك امرؤ ذو مروءة عالية، وإن المروءة لن تزال مرعية الجانب مصونة الذمام ما بقي في الناس أمثالك، ولو كنت أنا مكانك لما قصرت عنك، ولقد هممت يا عباس أن أكافئه على صنيعه معك فأعفو عنه لكن....(**يتوقف، فيتوجس العباس، ثم بأسلوب خطابي**) ولكن كما تعلم فإن سياسة الحزم تفرض علينا أن نعاقب من ينتقض على الخلافة كائناً من كان! وهذا مسلك تعلمناه من أبي جعفر المنصور - يرحمه الله.

العباس: (**يشعر بخيبة الأمل قليلاً، فيقول ملتمساً**) أفهم ذلك جيداً يا مولاي، وأقدر ما تقول، لكن لا يمنع ذلك أن نتثبت من الأخبار قبل أن نبني عليها أحكاماً، خاصة في حق رجل له سابقة في خدمة الخلافة.

المأمون: (**مستفهماً**) ماذا تقصد من قولك هذا يا عباس؟

العباس: (**مقتربا**) مولاي.. إني لأشك فيما نسب إلى هؤلاء الرهط الذين أرسلهم إلينا صاحب دمشق، وخاصة في رجل له سابقة وذمام في خدمة الخلافة ورجالها.

المأمون: (**مندهشا**) كيف هذا يا عباس؟ أتشكك في اعترافاتهم التي أرسلت معهم؟ إنك تقول هذا بسبب صاحبك الذي فيهم.

العباس: حاشاي يا مولاي، لكننا لم نتحقق من أقوالهم بأنفسنا، ولم نأخذ من أفواههم، وإنما اكتفينا بما ورد إلينا دون تثبت أو تمحيص.

المأمون: كأنك تومىء إلى إحضارهم ومكاشفتهم والتحقق منهم فيما نسب إليهم.

العباس: هو ما أرجوه منكم يا مولاي، حتى نكون على بينة وتثبت من عقابهم.

المأمون: (**يسكت هنيهة كمن يفكر، وينتظر العباس جوابه بفارغ الصبر**)... لك ما تريد يا عباس، إنك لم تبعد في الطلب، ولن أبعد في الإجابة ماداموا سيظلون عرضة للعقاب. أحضرهم باكراً إلى مجلسي.

العباس: دام عزك يا مولاي أمير المؤمنين.

المنظر الخامس

(ديوان الخليفة المأمون كما في المنظر السابق، الخليفة جالس على أريكته، فيما يدخل عليه العباس)

العباس: السلام عليكم يا مولاي.

المأمون: وعليكم السلام ورحمة الله، هل أحضرت الرجال؟

العباس: نعم يا مولاي، وفي مقدمتهم مسعود.

المأمون: إذن ليدخل علي أكبرهم وليكن مسعوداً.

العباس: أمرك يا مولاي.

(يدخل مسعود الدمشقي، وقد تحسنت حالته قليلاً)

مسعود: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

المأمون: وعليكم السلام ورحمة الله، **(يتأمله قليلاً من الوقت)** هل أنت مسعود الدمشقي؟

مسعود: نعم أنا هو يا أمير المؤمنين.

المأمون: **(يشير إلى العباس)** هل تعرف هذا الرجل الواقف قريباً منك؟

مسعود: **(يلتفت إلى العباس)** نعم أعرفه وأذكره منذ زمن بعيد.

المأمون: وكيف عرفته؟

مسعود: لقد كان متولياً على شرطة دمشق في ذلك الزمن، فارتجت دمشق ذات ليلة فطلبه أناس ليقتلوه فآويته وحميته منهم حتى إذا هدأت الأمور وخمدت الفتنة ودّعتُه وعاد إلى منصبه.

المأمون: هل كنت تعرفه في ذلك الوقت؟

مسعود: وكيف لا أعرفه وقد كان صاحب الشرطة في المدينة ومن رجالها المعدودين. وأظنها ستكون سابقةً لي عندكم في خدمة الخلافة ورجالها، لا في الانتقاض عليها كما لُفِّق علي زوراً وبهتاناً!

المأمون: إذن أنت تزعم بأنك لم تشترك في الفتنة الأخيرة.

مسعود: وكيف أشترك فيها أو أعين عليها وأنا الذي كنت مسافراً إلى منبج ولم أعلم عنها إلا بعد أن أصبحت خبراً يروى. إني لم أشغب ولم أحرك ساكناً، بل إن الذين شغبوا هم أهل الأسواق ومن تبعهم من الباعة وأهل الصناعات والسوقة ومن والاهم من الدهماء.

المأمون: وهل علمت لِمَ شغبوا على جند الخلافة؟

مسعود: إنهم لم يشغبوا على جند الخلافة قط، بل شغبوا على جباة الوالي لما حملهم الوالي حملاً على أداء مكوس وإتاوات ما أنزل الله بها من سلطان، أرهق بها كواهلهم في وقت كساد تجاراتهم. وكل تلك الأموال التي يعصرها من كد الناس يأخذها هو ليعمر بها ضياعه التي يشتريها دوما في الغوطة.

(ينظر المأمون إلى العباس مذهولاً)

العباس: أرأيت يا مولاي!

المأمون: **(يلتفت إلى مسعود)** كيف إذن ساقوك إلى بغداد؟

مسعود: لقد أخذت من بيتي بخدعة، قالوا: إن الوالي يريدني لاستشارة في الأرض والزراعة فمضيت معهم فوجدت نفسي في السجن، ثم سرعان ما أخذوني على البريد إلى بغداد.

المأمون: ولماذا تُرى أخذوك؟

مسعود: لقد تبين لي الأمر يا أمير المؤمنين، إن الوالي كان يريد إقصائي من دمشق قبل ذلك الوقت بأي وسيلة، فلما هاجت الفتنة انتهز تلك الفرصة فأدرجني في عداد أعداء الخلافة فقبض عليّ وأرسلني إلى بغداد لكي أُقتل فيخلو له الجو بعدي ليفعل ما يشاء!

المأمون: ليفعل ما يشاء! عجيب، وهل أنت نافسته على سلطانه لتقول هذا؟

مسعود: لا، لم أنافسه شيئاً من سلطانه ولم أنتقض عليه، ولم أناصبه العداء، ولكنه أصر عليّ أن أبيعه أرضي التي على ضفة النهر لتصبح أرضه المتاخمة لها مطلة عليه ليس بينه وبينها أحد، فأبيت أن أبيعه أرضي التي أعيش منها والتي توارثها آبائي منذ الفتح. فحقد عليَّ وبان حقده في كل شؤونه ومعاملاته معي. فمن هنا أُتيت.

المأمون: **(صمت، ثم إلى العباس)** أين الحرس الذين جاؤوا بهؤلاء الرجال من دمشق؟

العباس: إنهم في الخارج يا مولاي، مع حرس السجن.

المأمون: (**عائداً إلى مكانه**) أحضروهم بين يدي الآن.

العباس: أمرك يا مولاي.

(يشير العباس لأحد مساعديه فيخرج لإحضارهم، لا يمضي وقت طويل حتى يدخل المساعد ومعه رئيسهم، فيما ينتظر البقية بباب الديوان)

العباس: ها هم أولاء بباب الديوان، وهذا هو رئيسهم.

المأمون: هل أنت الذي رافقت البريد حرساً للرجال الذين أرسلهم صاحب دمشق؟

رئيس العسكر: نعم يا مولاي، لقد أُمرت أنا ورجالي بتسليمهم إليكم على أنهم من أعداء الخلافة لتروا فيهم رأيكم.

المأمون: وهل هذا الشيخ منهم؟ (**يشير إلى مسعود**)

رئيس العسكر: (**ينظر إلى مسعود**) نعم يا مولاي؟

المأمون: وكيف قبضتم عليه؟

رئيس العسكر: أمرنا الوالي بالقبض عليه فذهبنا إلى بيته ليلاً فأخذناه من بيته مثل البقية.

المأمون: إذن لم تقبضوا عليه وهو متورط في الفتنة، أو وهو يشغب أو يعين على جند الخلافة؟

رئيس العسكر: إنما نحن من حرس القلعة، وبعد هدوء الأمور في البلد أمرنا الوالي بأخذه وقال: إنه يريده في استشارة، فذهبنا وأحضرناه، ونحن يا مولاي حرس ننصاع لما يلقى إلينا من أوامر وليس لنا الخيرة في ذلك.

المأمون: لا ضير، أفضيت بما أردت منك فانصرف عائداً إلى رجالك.

(يخرج رئيس العسكر من الديوان)

المأمون: الآن اتضحت لي الأمور، (**يقوم متقدماً خطوات**) تباً له غلام السوء! ياللنازلة، كيف يستغل هذا الوالي منصبه ويسيّر جند الخلافة لتنفيذ أغراضه الدنيئة؟ ثم

يزج بأناس أبرياء يرسلهم إلينا لندق أعناقهم بناء على توصيته؟ يالها إذن من سُبَّة!

العباس: لقد كان شكي في محله يا مولاي، فما كان بالمحمود السيرة منذ تولاها. وقد ضج الناس منه ومن فعائله، والتي كان آخرها ما هاجت الفتنة بسببه!

المأمون: (**يظل مفكراً هنيهة**) سأريه الآن نتيجة صنيعه وسيقع في شر أعماله (**إلى كاتبه**) فما دمنا قد وقفنا على فعائله، فاكتب الآن بعزله، وبرد ما أخذه من أموال، ثم اؤمره بالمسير إلينا لمعاقبته على ما اجترمه في حق مسعود وبقية الناس. وأنت يا مسعود لا أملك بعد أن ظهر أنه ليس لك يد فيما حدث إلا أن أكافئك على صنيعك القديم الذي قمت به مع العباس والذي أنقذك بعد الله من حد السيف ومن مكائد عنبسة بن خديج صاحب دمشق. فلقد علمتُ الآن أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء.

مسعود: أبقاك الله لنا يا مولاي، فما كان المعروف ليضيع عند رجال مثل صاحب شرطتك العباس بن مجالد العتبي.

المأمون: يا عباس، دونكم الرجل، أكرموا مثواه، وأحسنوا وفادته، واخلعوا عليه، ثم جهزوه ورافقوه إلى أن يصل راشداً إلى بلده.

العباس: أمرك يا أمير المؤمنين، وجزاك الله عني وعن مسعود وعن الناس أجر ما صنعت وقدمت.

مسعود: شكر الله لك يا أمير المؤمنين، ولا عدمنا كرمك وإحسانك.

«ستار»

ما لي وسعيد بن جبير؟

بقلم: د. غازي مختار طليمات – سورية

(مسرحية شعرية تاريخية)

(موضوع المسرحية وزمانها ومكانها: يدور موضوع هذه المسرحية حول الموقف المعارض الذي وقفه سعيد بن جبير من ظلم الحجاج في العراق، وما أفضى إليه هذا الموقف من غضب استبد بالحجاج، وحمله على قتل سعيد سنة خمس وتسعين للهجرة.

أشخاصها:

- سعيد بن جبير العابد الزاهد المعارض حكم الحجاج وظلمه.

- الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم العراق المستبد في عهد الأمويين.

- راهب.

- ابن أحوص رئيس شرطة الحجاج ومساعده.

- حراس وشرطة وجنود.)

المشهد الأول

(ساحة رحبة أضيء جانبها الأيمن، فظهرت فيه صومعة رسم على بابها صليب. يدخل من باب جانبي أربعة جنود في زي عربي قديم).

أحد الجند متثاقلا: أوشكت تلوي خطاي السُّبُلُ.

الجندي الآخر: وثنى عزمي السُّرى والمللُ

الجندي الثالث: فلنرح أجسامنا.

الأول: أين؟

الثالث: هنا.

الأول(**مشيرا إلى الصليب**): هذه صومعة لا نُزُلُ.

الثاني (**مشيرا إلى الرابع**): نسأل القائد عما يرتئي

فهو المسؤول عما نعملُ

الأول: ما يرى القائدُ؟

القائد: بيتوا ههنا

علَّه يرحل عنا الكسلُ.

الثاني (**وهو يقرع باب الصومعة**): راهب الصومعة افتحْ.

(**ثم يكرر القرع**): إننا

رسل الحجاجِ.

الراهب (**وقد فتح الباب وخرج**): نِعم الرُسُلُ.

مرحبا بالضيف، ما بغيتكم؟

القائد:رجل عاصٍ

الراهب: ومن ذا الرجلُ؟

القائد: إنه يدعى (**سعيداً**)

الراهب: مرَّ بي،

وهو مثلي راهب معتزلُ.

القائد:أسعيد بن جبيرٍ؟

الراهب: ما انتمى.

القائد: أفتيٌّ هو أم مكتهلُ؟

الراهب: قارب الستينَ.

القائد: هذا صيدنا،

فلنصده قبلما يرتحلُ

أين يثوي؟

الراهب: جانب الدير ابتنى

دارةً، ليس عليها قُفُلُ.

(يضاء الجانب الأيسر من الساحة، فيظهر فيه كوخ، يتجه إليه الشرطة ويبقى الراهب أمام ديره يراقب الشرطة).

أحد الشرطة (**وهو يقرع الباب**): يا سعيد بن جبيرْ

يا سعيد بن جبيرْ.

الشرطي نفسه (**متجها إلى القائد**): ليس في الكوخ مجيبْ.

القائد: هو في الكوخ، ولكن

يحذر الصوت الغريبْ.

الشرطي (**مكررا النداء**): ياسعيد بن جبيرْ.

الشرطي (**واضعا أذنه على الباب**): أنا لا أسمع غير الصمتِ والصمت مريبْ.

ندخل الكوخ، فلن يخرج، لن نحظى بردّْ

شرطة الحجاج لا تطلب إذنا من أحدْ

اكسر الباب، فما في الكسر ضيرْ

(الشرطي يدفع الباب فيفتح، ويبدو ابن جبير قاعدا يصلي).

ابن جبير (**بعد فراغه من الصلاة**): مرحبا بالضيفِ

القائد: ما نحن ضيوفْ.

إننا من شرطة الحجاجِ

والشرطة في الليل تطوفْ

تعقل الشطار والأشرار من كل الصنوفْ

قم إلى الحجاج

ابن جبير: ما لي فيه يا قوم إربْ

القائد: قم إليه

فهو من يطلب إن رام الطلبْ

ابن جبير: ما الذي يطلبُ؟

القائد: لا ندري

ولكن فيه بركانُ غضبْ

فعسى تخمد ما يعروه من خطب جللْ

ابن جبير: (**وقد نهض**) قدر الله

وما شاء فعلْ

الراهب: أين تمضونَ؟

(**معترضا القوم**) وحول الدير في الليل أسودٌ تتربصْ

(**يسمع في هذه الحظة صدى زئير بعيد**)

أحد الجند: اصغِ

فالزأر يدوي يا ابن أحوصْ

القائد ابن أحوص: لا أطيق الصبر حتى الفجرِ

الراهب: من يصبر يكن بالصبر أحرصْ

امكثو الليلة عندي

وغدا تمضونَ

(صوت الزئير أخذ يشتد ويقترب من الدير وهم أمامه)

الراهب: أصغوا

وصل الليث وصلْ

وصل الليث وصلْ

(يسرع القائد والجند والراهب إلى الدير، ويبقى ابن جبير، لا يهرب، ولا يدخل، ويصعد القوم مع الراهب، ويطلون على الساحة من نوافذ الصومعة، وعلى وجوههم قسمات الهلع)

الراهب: يا سعيد بن جبيرْ

(من النافذة) ادخل المأمن، فالليث ضري

يفجأ الفرسان كالطوفان كالسيل العتيّ

ابن جبير: في حمى الرحمن لا البنيان دعني

ابن حوص: كيف؟ هل أنت نبيّ؟

ابن جبير: لا

ولكن في حماه وحده أدرك أمني

أنا عبد مذنب، كنت أصلي

فدعوني أشفعِ السنةَ بالوتر لعلِّي

أغسل الذنب بماء التوب، بالدمع السخيّ.

(ابن جبير يبدأ صلاته، وابن أحوص يكاد يتمزق من الغيظ).

ابن أحوص: أدخلوا هذا الغبيّ

أحد الشرطة: أينا يجرؤ أن يخرج والزأر يدوِّي

هادرا كالرعد من جوٍّ لجوِّ

الشرطي الثاني: دعه للوحش طعاماً

ابن أحوص: إن ندعَهُ

أطعم الحجاج أوصالي الحساما

إنه يطلبه حيّا معافى لا عظاما.

(يدخل من جانب المسرح دميتان على هيئة أسد ولبوة)

الراهب (**من النافذة**): أوتروا الأقواس حالا

ابن أحوص: سددوا منها السهاما

فإذا ما كشر الوحش رميتم بالقسيّ.

(تمتد الأقواس والسهام من النوافذ ويربض الأسد واللبوة حول ابن جبير بعد أن يتمسحا به، وهو يصلي)

الراهب: يا إلهي، أيُّ قِدِّيس سعيدْ؟

يا إلهي، إنه اللبوة والليث قعيدْ

وهما كالأب والأمِّ يحوطان الوليدْ

ابن أحوص: أهو في أمنٍ؟ ومَنْ في الدير في روع شديدْ!؟

(يخرج الأسد واللبوة، ويبقى ابن جبير في مصلاه)

ابن أحوص: اهبطوا نلتمسِ الرضوان من هذا الوليّ.

(يهبط القوم ويقبلون رأس ابن جبير ويديه باكين، والراهب يودع الشرطة)

الراهب: أبلغوا الحجاج أن الأمن في الإيمان لا زحفِ الجيوشْ

إنني آمنت بالدين الذي راض الوحوشْ

فإذا الإنسان والذؤبان في أمن مديدْ.

ابن أحوص (**لابن جبير**): كيف أمضي بك للحجاج والحجاج وحش مفترسْ

يفرس الرضوان بالطبع الشرسْ

ليس ينجو من أذاه مفصح أو محترسْ

أفينجو منه صدِّيقٌ تقيّ؟

ابن جبير: امض، هذا قدري

إني بما قد قدّر الله رضيّ.

المشهد الثاني

(قاعة كبيرة، يتصدرها أمير، وحوله قادة وجند وابن أحوص إلى جانبه، وقرب الجدار معتقلون مقيدون بالأغلال).

الأمير: أين من جاء به اليوم ابن أحوصْ؟

ابن أحوص: ههنا في القيدِ

الأمير: خلّصه، عسى من شره يتخلصْ

الأمير **(وهو يقترب من الأسير)**: ما اسم هذا الخارج العاصي؟

ابن أحوص: سعيد بن جُبيرْ.

الأمير: قل: شقيّ بن كُسيرْ

ابن جبير: إن من سمّى لأدرى بالمسمّى أشقيّ أم سعيدْ؟

وكُسَيْرٌ أم جُبَيْرٌ حينما يؤتى به يومَ الوعيدْ

فاترك الأسماء يا حجاج لله، وسلني ما تريدْ

الحجاج: ما ترى يا ابن كسيرٍ في عليّ؟

يدخل الجنة أم يكويه في النار الصليّ؟

ابن جبير: أمره للهِ

الحجاج: قل لي: قولة في الخلفاء الأربعةْ

أيهم أجدر بالحكم وأجدى منفعةْ؟

ابن جبير: ربهم أدرى بهم منك ومني فعلامَ الجعجعةْ؟

(الحجاج يشير إلى غلام، فيلقي بين يديه كومة من جواهر)

الحجاج: ما ترى فيما لدينا من ثراءْ؟

ابن جبير: صالح

إن كان فيه لك يوم الحشر من ذنب فداءْ

الحجاج: أتراني مذنبا؟

ابن جبير: سل عن خطاياك دماء الأبرياءْ

الحجاج: أتراني سوف أجري دمك الآن كهاتيك الدماءْ؟

أم تراني غافرا ذنبكَ؟

ابن جبير: لا يغفرُ ذنباً مذنبُ

إنما الغفران شأن الله يمحو ذنبنا أو يكتبُ.

الحجاج: أسمعتمْ؟ إنه يرفض ما كان سواه يطلبُ

إنه يغلق باب العفوِ

ابن جبير: بل أفتح أبواب العقابْ

الحجاج: لك أم لي؟

ابن جبير: لي في الدنيا

وفي الأخرى لمن يردي الرقابْ

الحجاج: سوف أُرديكَ

ابن جبير: وتُردي بعدُ نفسكْ

وغدا تعجز أن تطرد من عمركَ أمسَكْ

حينما تغرق أمواج دمي الموّارُ حسَّكْ

راجيا أن يصبح العرش الذي تحتك رمسَكْ

الحجاج: اقتلوه شر قتلةْ

واجعلوه للذي يمكر بالحجاج مُثْلةْ

فمتى راوده الغدر ارعوى أو خاف فِعلهْ

ابن جبير: يا لسخف الحكمِ، كم يغري الرجالْ

يقمعون الحق بالقتل، وهم قتلى الضلالْ

يدّعون المجد والخلد، وتعلو هامَهم هامُ الجبالْ

فإذا جاءت منايا هم غدا العملاق نملَةْ.

الحجاج: أيها الجند اركلوهْ

وعن الكعبة في القتل اعدلوهْ

ليرى الشيطان لا الرحمن إمّا تقتلوهْ

ابن جبير (**وهو خارج**): هادمُ الكعبة ينسى أن وجه الله في كل مكانِ

إنه يرنو بعينيه وأرنو بجناني

فأرى وجه إلهي مشرقاً ملء كياني.

المشهد الثالث

(قاعة الإمارة نفسها، والحجاج على كرسيه بين النوم واليقظة، ورأسه يترنح، ثم يفتح عينيه فيرى حوله مجموعة من الأطباء)

الحجاج: كلما فتّحتُ جفنيَّ بدا قربي طبيبٌ يتربصْ

أبعدوا عني الأطباء وجيئوا بابن أحوصْ

أخرجوهم، وليبتْ قربي ابن أحوصْ

الحجاج: يا ابن أحوصْ.. يا ابن أحوصْ

ابن أحوص: أمرُ مولايَ

الحجاج: أجبني صادقا، لا تتملَّصْ

لَمَ لَمْ يأت سعيدُ بن جبيرِ؟

ابن أحوص: كيف يأتي، وهو ميْتٌ؟

الحجاج: مات!؟

ابن أحوص: من خمسٍ وعشرِ

الحجاج: لم يمت، بل مر بي كالنَّمِرِ الغاضبِ يجري

فإذا جسمي من الخوف بجلدي يتقلصْ

ابن أحوص: ذاك طيف الشيخ وافاك وما ضلّ طريقهْ

صورة فاضت مع الأوهام من ذكرى عتيقةْ

رسمتها ريشة الروع بألوان الأحاسيس العميقةْ

ماتَ يا مولاي ماتْ

ماتَ.. والمرء إذا ماتَ فاتْ

الحجاج: تلك إحدى التُّرَّهاتْ

كيف ماتْ؟

ابن أحوص: مات مقتولاً

الحجاج: ومن يقتلُ شيخ التابعينْ؟

ابن أحوص: أولم تأمرْ بأن يقتلَ؟

الحجاج: كلا، لا أمسُّ الصالحينْ

ويلتا إن كان ما قلتَ حقيقةْ

ابن أحوص: إنه عين اليقينْ

أنت من أردى سعيدَ بْنَ جبيرْ

الحجاج: أنا مالي وسعيدَ بْنَ جبيرْ؟

أنا مالي وسعيدَ بْنَ جبيرْ؟

أصحيح أن رأس ابن جبير بعد أن جُزَّ نطقْ؟

ابن أحوص: وحَّدَ الله، ومن شاهده خوفاً شهقْ

أرسل التوحيدَ كالتغريدِ، بل كان أرقّ

الحجاج: فيم أغضبتُ إلهي؟ ألكي أرضي الخليفةْ؟

أم لكي أبلغ بالقتل أمانيَّ السخيفةْ؟

أنا مالي وسعيدَ بْنَ جبيرْ؟

ابن أحوص: خفتَهُ ميتاً، وما خافك حيّا

الحجاج: خفتُهُ أعظمَ خِيفةْ

من رأى قبليَ ليثاً خاف جيفةْ؟

من رأى ذئباً إذا صاد بكى قتلى الغنمْ؟

يذرف الدمعَ من الروعِ ويقتاتُ الألمْ

ابن أحوص: ابك يا حجاج، اغسل وضر الظلم بأجفانِ الندمْ

ابك فالشيطان لن يسكن بعد اليومِ قلبكْ

إنه يخرج منه كلما استنكرت ذنبكْ

الحجاج: أنا مالي وسعيدَ بْنَ جبيرْ؟

ابن أحوص: ابكِ كي يطرد إنسانُكَ شيطانَكَ، كي ترضي ربكْ

نم، فإن النوم قد ينسيك كربكْ

الحجاج: لا تدعني أغمضُ الجفنين مهما أترنحْ

فمتى نمت أتاني الطيف كالسيفِ الملوَّحْ

إنني بالطيف لا بالسيف أُذبحْ

مرة مات، وإني ميِّتٌ في كل يوم ألف موتِ

فمتى أقضي وأمضي؟ ويريح الناسَ صمتي

ادعُ لي، لا.. بل عليّ

ادع، لو كان سعيد ههنا خفَّ إليّ

ودعا دعوته الحرّى لديّ

(ابن أحوص يرفع يديه إلى السماء ويتمتم)

(الحجاج مروَّعا يكاد ينهار)

الحجاج (**لابن أحوص**): افسحِ الدربَ فرأسُ ابن جبيرٍ يتدحرجْ

نحونا، والنور في عينيه شمس تتوهجْ

أصغِ، والتوحيد يعلو يتأرجحْ

أنا مالي وسعيدَ بْنَ جبيرْ؟

أنا مالي وسعيدَ بْنَ جبيرْ؟

(الحجاج يهوي جثة هامدة، وابن أحوص يسرع إليه، ويرفع يده ليجس نبضه فتسقط هامدة باردة. وفي نهاية المسرحية وفي أثناء إسدال الستار يقول ابن أحوص):

ابن أحوص: لست أدري، هل سأبكيك وقد أبكيتَ آلاف العيونْ؟

أم سأبكي كلَّ من أسقيتهُ كأسَ المنونْ

هل سأبكي أم سأحكي:

كيف مات المارد الجبارُ جيفةْ؟

كيف خر السيف دون الطيفِ خيفةْ؟

كان ما كان، ونرجو في غدٍ ألّا يكونْ

«ستار»

ألا من يشتري سهرا بنوم

بقلم: محمد الحسناوي– سورية

المشهد الأول

(الوقت ليل، المكان موضع في بادية اليمن، أربعة من أقيال - أمراء - حمير في خيمة يتحدثون)

ذو رعين: حللتم أهلا، ونزلتم سهلا، يا مرحبا بالضيوف النشامى.

الضيوف: عِمْ مساء، أيها القيل ذو رعين.

ذو رعين: كيف تركتم الأهل؟

الضيوف: تركناهم بأسوأ حال.

ذو رعين: أعرف منكم القيل سعيدا، إنه ذو حنكة وجود وشجاعة.

سعيد: وهذان صاحباي: ذو الساعدين وذو رأس، وهما قيلان في قبائل شقيقة من حمير.

ذو رعين: لا بد أن الذي جاء بكم في مثل هذا الوقت من الليل.. أمر عظيم!

سعيد: صدقت، الليل أخفى للويل.

ذو رعين: لا يأتي منكم إلا الخير.

ذوالساعدين: لا يخفى عليك – يا ذا رعين – ما يعاني الحميريون في اليمن أقيالا وقبائل وأفرادا من شرور الملك حسان الحميري.

ذو رأس: يغصب أموالنا بغير حق، ويسلبنا ما في أيدينا.

سعيد: حملنا على الغزو معه أكثر من مرة، فغنمنا غنائم كثيرة من إبل وأغنام وأبقار وعبيد، فاستولى على الغنائم كلها، ولم يقسم لنا منها شيئا.

ذو رعين: أعلم من أمر الملك حسان ما تعلمون وزيادة، فماذا تريدون مني؟

سعيد: نريد أن توافقنا على عزله وتولية أخيه الأمير عمرو بدلا عنه.

ذو رعين: إن عمرا جدير بالملك – أيها الأقيال – لكن المسألة عسيرة المنال.

ذو الساعدين: أنت ذو رأي. بماذا تنصحنا؟

ذو رعين: أمهلوني أياما ريثما أنضج الرأي.

ذو رأس: لقد أنضجنا الرأي مع أقيال حمير جميعا، ولم يبق إلا ذو رعين.

سعيد: أجمعنا على تحريض الأمير عمرو كي يقتل أخاه الملك حسانا، وعلى توليه الأمر والملك من بعده، مع تقديمنا لعمرو حسن الطاعة والمؤازرة.

ذو رعين: ألم تحاولوا النصح والإرشاد للملك حسان، وتبصيره مغبة ظلمه وفساده؟

ذوالساعدين: إنه جبار بطاش لا يجرؤ أحد على مصارحته،

ذو رعين: ومع ذلك لا بد من إفراغ الوسع، وتقديم النصح للملك قبل استخدام القوة أو السيف والدخول بالوقيعة والشحناء بين الأخوين.

ذو الرأس: نحن يائسون منه، بلغ السيل الزبى.

ذو رعين: لا يأس في الإصلاح، ولا تنسوا أن حسانا وعمرا أخوان شقيقان من أم واحدة ومن أب واحد. هل من السهل أن يقتل أحدكم أخاه؟ وإذا اضطر إلى ذلك، هل سوف يشعر بالراحة بقية عمره؟

سعيد: انتهت المشاورات – يا ذا رعين – ونحن في طريقنا إلى مقابلة الأمير عمرو للاتفاق معه، فهل تصحبنا؟

ذو رعين: سوف أصحبكم، ولو كنت مخالفا لرأيكم ورأي من وراءكم من القبائل، إن حِمّير مقبلة على شر مستطير.

المشهد الثاني

(غرفة واسعة من قصر الأمير عمرو الحميري، الأمير جالس في صدر المجلس، ضيوف أربعة من أقيال حمير يجلسون حوله، الوقت ليل).

الأمير عمرو: مرحبا، مرحبا بوفد حمير.

الضيوف: عم مساء، أيها الأمير العظيم عمرو.

عمرو: بلغني أنكم جئتم تمثلون أقيال حمير وقبائلها كلها، فماذا وراءكم؟

سعيد: أيها الأمير السعيد، جئنا نشكو إليك جور أخيك الملك حسان.

ذو الساعدين: أنت تعلم ما نحن فيه من الجهد والعناء.

ذو رأس: الملك حسان غصب أموالنا، وسلبنا ما في أيدينا، وحرمنا حقوقنا من غنائم الغزو، لا همَّ له إلا اللهو والشراب، والاحتجاب عن ذوي الحاجات.

سعيد: لقد تداولنا الرأي والمشورة مع أقيال حمير كلها، وقرروا أن يقدموا لك وحدك السمع والطاعة، على أن تخلصهم من هذا الملك الطاغية، ونحن نكره أن يخرج الملك منكم أهل البيت إلى غيركم.

ذو رعين: أيها الأمير الحكيم، أنا ذو رعين، أخالف كل من يدعوك إلى قتل أخيك حلا لمشكلاتهم قبل أن نحاول معه الإصلاح بالحوار والحكمة والموعظة الحسنة.

عمرو: يا ذا رعين، هل تظن أخي الملك ممن يسمعون للشكاوى، أو ممن يحكمون عقولهم في حل المعضلات؟ إن أحوال الرعية قد ساءت، وإن الموازين قد انقلبت، حبل الأمن مقطوع، الحرمات مستباحة، لم يبق إلا أن يغير علينا أحد الملوك المجاورين ويسلبنا ملكنا وأرضنا وعيشنا الرغيد.

ذو رعين: أفهم منك – أيها الأمير – أنك موافق على خطة أقيال حمير؟

عمرو: وهل هناك بديل آخر يا ذا رعين؟

ذو رعين: البديل عندي مراجعة الملك قبل عزله، وإذا شئتم أن أنوب عنكم في مصارحته،

وتعريفه مغبة بطشه واستهتاره..

الضيوف: سبق السيف العذل.

عمرو: لقد فات أوان المراجعة.

ذو رعين: إن الملك أخوك، أيها الأمير عمرو، إنه من لحمك وعظمك، دمك دمه، أنتما من أم واحدة وأب واحد، هذا لا يستقيم أيها الأمير الحكيم.

عمرو: يدي - إن عابت - قطعتها.

ذو رعين: العلاج بالحكمة قبل اللجوء إلى السيف، لا يصير الدم ماء.

عمرو: إن سيف حسان سوف يحصدنا جميعا إذا لم نبادر سريعا إلى استئصال شأفته، هذه المشاورات - لا بد أن تكون - قد تسربت أخبارها إليه،ولن يقف مكتوف اليدين، فكونوا معي، مع أنفسكم، مع رعاياكم، تفلحوا.

الضيوف الثلاثة: نحن وكل أقيال حمير معك - أيها الأمير - حتى الموت.

ذو رعين: إن حمير مقبلة على شر مستطير.

عمرو: اذهبا الساعة إلى قبائلكم وعشائركم، وائتوني جميعا برجالكم، وسوف ترون ما يسركم.

الضيوف الثلاثة: الوداع، إلى اللقاء.

عمرو: الوداع، إلى اللقاء.

المشهد الثالث

(القاعة نفسها في قصر الأمير عمرو، الأمير عمرو ما زال في مجلسه، خادمه يستأذن لذي رعين بالدخول..).

خادم الأمير: القيل ذو رعين يستأذن بالدخول، يا مولاي.

الأمير عمرو: ليدخل.

(**لنفسه**): ألم يكن عندي قبل قليل؟ ما حمله على العودة؟

(يدخل ذو رعين)

ذو رعين: عم مساء، أيها الأمير عمرو.

الأمير: مرحبا بك، لم نملَّ صحبتك، فلتقم عندنا إن شئت.

ذو رعين: لي عندك حاجة أيها الأمير.

الأمير: سل ما شئت، حاجتك عندي مقضية، يا ذا رعين.

ذو رعين: (**يحمل بيده رسالة، يقدمها للأمير**) هذه وديعة لي عندك إلى أن أطلبها منك.

الأمير (**يأخذ الوديعة**) وصلت وديعتك، يا ذا رعين.

ذو رعين: أرجو - أيها الأمير - أن تختم عليها بخاتمك، وتحفظها في خزانتك.

الأمير: يا غلام، هات الخاتم والشمع، (**يختم على الوديعة**)، خذها يا غلام، وضعها ضمن ودائعي في الخزانة الحديدية.

ذو رعين: أشكرك - أيها الأمير، وأستأذن بالانصراف.

الأمير: كن مطمئنا على وديعتك، وأقم عندنا نكرمك.

ذو رعين: أسأل الله لك وللحميريين البقاء والسلام. الوداع.

الأمير: الوداع.

المشهد الرابع

(الوقت ليل، الملك عمرو الحميري في ثياب النوم، يروح ويغدو في غرفة نومه، والتعب والإعياء باديان على ملامحه المتغيرة، عيناه حمراوان، صوته متهدج، حركاته عصبية متشنجة، بعد قليل يظهر له شبح أخيه القتيل، وهو يلبس رداء أحمر وعمامة حمراء، يعاتبه على ما جنت يداه..).

الملك عمرو: سبعة أيام بلياليها وأنا في ضيق شديد، النوم يهرب مني، وأنا أطلبه حثيثا، ما العمل يا رباه! ما العمل؟

شبح حسان: (**يظهر ثم يقترب من عمرو**) عِمْ مساء، أيها الملك عمرو!.

الملك: هل تسخر مني يا حسان؟

حسان: هل يسخر الأخ من أخيه؟

الملك: ما كان للأخ أن يسخر من أخيه، ولا أن يقدم على قتله.

حسان: لماذا أقدمت على قتلي يا ابن أمي وأبي؟

الملك: أنا نادم – يا أخي العزيز – أشد الندم.

حسان:ما نفع الندم؟ هل يحيي الميتَ أو القتيل؟!

الملك: إن ندمي عظيم – يا أخي –، فليلي نهار، ونهاري ليل، لا نوم، ولا راحة.

حسان:ليس الأمر بيدي كما تعلم.

الملك: هل عدت إلى السخرية مني؟

حسان: في حياتي كلها لم أسخر منك، لقد كنت قرة عيني، وكنت ساعدي الأيمن.

الملك: ومع ذلك لم أرع لك حرمة، بل أقدمت على قتلك، واسوأتاه، وافضيحتاه!.

حسان: أنا سامحتك، يا أخي، يا ابن أمي وأبي.

الملك: لكنني لن أسامح نفسي، ولن أسامح الذين غرروا بي، وحرضوني على قتل أخي، سوف أقتلهم واحدا واحدا شر قتلة.

حسان: لاتفعل.

الملك: سوف أفعل.

حسان: لا تقتل.

الملك: سوف أقتل، سوف أقتل، سوف أقتل.

المشهد الخامس

(الوقت نهار، الملك عمرو في مجلسه، أعوانه من حوله قلقون عليه)

الملك عمرو: **(ينادي)** يا جلاد.

الجلاد: السمع والطاعة للملك عمرو.

الملك: كم قتلت حتى الآن من أقيال حمير الغدارين.

الجلاد: قتلت حتى الآن ثمانية وثمانين قيلا، بناء على طلبك.

الملك: هل قتلت ذا الساعدين وسعيدا وذا رأس.

الجلاد: بدأت بسعيد، فما أبقيت له سعادة، وثنيت بقطع الساعدين من ذي الساعدين، وأطحت برأس ذي رأس، فما أبقيت على واحد منهم،كما أوصيتني.

الملك: وما فعلت بذي رعين؟

الجلاد: أبقيت على حياته، بناء على طلبك، وأنا رهن إشارتك.

الملك: أدخله عليّ، إنه كان ذا رأي وحنكة وشجاعة، فلماذا لم ينصحني بالإبقاء على أخي الملك، لماذا، لماذا، لماذا؟ كلهم غادرون، كلهم متآمرون، إنني أتعذب، ضميري يؤنبني، مملكتي تتمزق، يجب أن أقتل ذا رعين، كما قتلت الآخرين، حينها سوف أرتاح سوف أشفي غليلي منهم، سوف أثأر لروح أخي القتيل منهم.

(يدخل ذو رعين مكبل اليدين،متغير الملامح، مضطرب الثياب).

ذو رعين: أبيتَ اللعنَ، أنا ذو رعين، أيها الملك عمرو.

الملك: أنت ذو شرين، لماذا لم تنصحني بالكف عن قتل أخي الملك حسان، لماذا ابتليتموني بالسهر والأرق والقلق وعذاب الضمير، إن أخي الملك حسان أحسن إلي، وأنا أسأت إليه، لماذا، لماذا، لماذا؟ هل يجوز للأخ أن يقتل أخاه، هذا لا يستقيم، إنه أخي من لحمي وعظمي، دمي دمه، لا يصير الدم ماء، أنا وإياه من أم واحدة وأب واحد.

ذو رعين: أبيت اللعن – أيها الملك عمرو – أطال الله بقاءك، وصرف عنك ما أنت فيه من هم وغم، ما تقوله أنت الآن من كلام هو كلامي بالأمس.

الملك: أي كلام؟!

ذو رعين: حول الإبقاء على أخيك الملك حسان، وفي نصحه دون قتله، وفي رعاية حق الرحم والدم والأخوة، أنا الوحيد بين الأقيال قلت لك هذا المقال، ألا تذكر ذلك أيها الملك؟

الملك: أنا لا أذكر ناصحا منكم نصحني.

ذو رعين: اسمح لي أن أكون صريحا معك الآن، كما كنت صريحا معك ومع أخيك في الماضي.

الملك: هذا طبعك، فكن صريحا، لذلك كان عتبي عليك أكبر وأشد من عتبي على الآخرين.

ذو رعين: إن السلطة – أيها الأمير تغشي العينين، وتصم الأذنين، والدليل على أني نصحتك حق النصيحة الواجبة على مثلي، وأنك نسيت الآن نصحي وكلامي، هو أنني أودعت عندك وديعة تشهد على صدقي، استودعتها يوم الاستشارة الكبرى.

الملك: أي وديعة تزعم يا ذا رعين؟

ذو رعين: أبيت اللعن، إنها لفافة محفوظة في خزانتك الحديدية، عليها خاتمك، وهي تشهد على صدقي في النصح لك ولأخيك الملك حسان، وتؤكد براءتي.

الملك: هات الوديعة المذكورة يا غلام.

(يذهب الغلام ليحضر الوديعة)

ذو رعين: إنها – أيها الملك – رقعة، كتبت فيها بيتين من الشعر، أصف فيهما حالي وحالك، أقول فيهما:

ألا مَـنْ يشتري سهراً بنومِ سعيدٌ مَـنْ يبيتُ قريرَ عينِ

فإما حِمْيَـرٌ غـدرَتْ وخانَتْ فمعذرةُ الإلـهِ لذي رُعَــيْنِ

أيها الملك عمرو، قد نهيتك حينذاك عن قتل أخيك،وعلمت بأنك إن فعلت ذلك أصابك الذي أصابك من أرق وقلق، فكتبت هذين البيتين من الشعر براءة لي عندك مما علمت أنك تصنع بمن أشار عليك بقتل أخيك.

الملك: (**يستلم الوديعة، يفضها، يقرؤها بصوت مسموع**):

ألا مَـنْ يشتري سهراً بنومِ سعيدٌ مَـنْ يبيتُ قريرَ عينِ

فإما حِمْيَـرٌ غـدرَتْ وخانَتْ فمعذرةُ الإلـهِ لذي رُعَــيْنِ

لقد صدقت - يا ذا رعين - ولقد عفوت عنك، وأعتذر إليك.

ذو رعين: سامحني أيها الملك عمرو.

الملك: يا ذا رعين، لقد ابتليت ببلاء عظيم، بفقد أخي، وبامتناع النوم مني، وسلط عليّ السهر، فلما اشتد عليّ ذلك لم أدع باليمن طبيبا ولا ناصحا ولا حكيما إلا جمعتهم، وأخبرتهم بقصتي، وشكوت إليهم ما بي، فقالوا: ما قتل رجل أخاه أو ذا رحم - على ما قتلت أخي الملك - إلا أصابه السهر، وامتنع منه النوم. أنت منذ اليوم صديقي الحميم وسلوتي فيما أعانيه، ولأجزينك فأحسن جزاءك.

«ستار»

نور الإيمان

بقلم: محمود محمد كلزي – سورية

(تمثيلية شعرية)

(الأشخاص: علي وأبوه وأمه وأخته هند.

(المنظر: كوخ متواضع يرفرف عليه البؤس والحرمان، وترقد داخله الأسرة مدثرة بأسمالها. وصوت المؤذن يجلجل في عنان السماء الصافية التي تسبح فيها النجوم منادياً: الصلاة خير من النوم)

علي **(يتململ في فراشه ويفتح عينيه):**

يا رب.. ماهذا النداء الحلو يطرق مسمعي

ينساب كالنغمات من وَتَـرٍ صـدوحٍ مبدعِ

علي **(ينهض من فراشه ويفتح النافذة وينظر إلى السماء قائلا):**

اللّه.. يا للدراري ... كلؤلؤ في البحارِ

والبدر يرسل منه ... أشعة من نضارِ

هذي الثريا دليل ... على إله بارِ

على إله قدير ... مهيمن جبارِ

آلاؤه ناطقاتٌ ... في البحر أو في البراري

ألا يحق علينا ... إطاعة الغفارِ

(ثم يقصد فراش أبيه محاولاً إيقاظه بلطف):

أبي قد أذن الفجرُ ... فهيا كي نلبيه

فما في النوم من خيرٍ   خمولٌ كل ما فيهِ

الأب (**يستفيق وينظر حواليه بدهشة**): **عليٌّ.. لمْ أفقت؟**

علي (**بصوت خافت**): ... أذان فجرِ   ألا تمضي إلى الحق الصريحِ

الأب (**يلقي رأسه على مخدته قائلاً**):

دعوني في فراشي مستريحاً   فليس ألذ من نوم مريحِ

دعوني أحْيَ في حلم لذيذٍ   فما في العمر غير عناء روحي

علي: أبي لا تنس أن العمر يمضي   وسوف نزجُّ في جوف الضريحِ

وسوف تنال كل يد كتاباً   بما فعلته في العمر الفسيحِ

كتاب في يمين أو شمال   يشير إلى مليح أو قبيحِ

فحي على الصلاة وكن تقياً   وللأعمال في نفس طموحِ

الأم (**وقد استيقظت على صوتهما، ثم تنظر فتجد ابنها علياً فتخاطبه**):

مالك اليوم.. ألم   تغف إلى هذا الهزيعِ

أنا لا أهنأ إلا   إن توسدتُ ضلوعي

علي: إنني نمت ولكن

الأم (**بتساؤل وتهكم**):   قمت من حلم مريع؟

علي: لا.. ولكن كنت أغفو   في سكون وخشوع

الأم: إذن ما دهاك؟

علي: .... دهاني نداء   تسلل يطرق أسماعيهْ

نداء إذا داعب السمع يسبي   تموج به النشوة الحانيةْ

ألم تسمعي قوله داعياً لخير من النوم.. يا غافيةْ

الأم: أجل قد سمعتُ

علي: وآثرت نوما ...

الأم: (بحسرة): وما العمر إلا رؤى قاسيةْ

علي: ولكن هناك إله كريم حبانا من النعم الوافيةْ

فهذي العيون وأنف وأذن وجسم تكللُّه العافيةْ

ألا يستحق العبادة منا؟

الأم (**بشيء من الهزء واللوعة**): وعيشتنا بلقع خاويةْ

علي: وهل فاقة العيش تدعو ليأس ونكران آلائه الضافيةْ

فهذا أبي صامدٌ في الحياة يصارع أرزاءها العاتيةْ

فلابد لله أن يفرج الهمّ عمن تبسم للداهيةْ

فلا تقنطي قط من رحمة الله واستمتعي بالمنى الزاهيةْ

فإن نابنا اليوم بؤس.. غداً سنهنأ في عيشة راضيةْ

الأب (**وقد أخذه كلام ابنه فنهض وعانقه والدموع تطفر من عينيه**):

صحّ ما قلته يا بنيًّا إنني أشهد السنا في المحيّا

هذه موجة من النور فاضت في فؤادي وعطرت جانحيّا

وَامحّت ظلمة الضلال بقلبي ووجدت الهدى صراطاً سويّا

كن لـلأجلِّ الإله دعوة حق واملأ الكون بالصلاح دويّا

(ثم يتذكر صلاة الفجر)

أذنِ الفجرَ.. والصلاةُ أقمها   ليت كلَّ الأنـام كـانـوا عليًّا

(علي يقيم الصلاة والأم تنهض ويغمر وجهها النور)

الأب: أيقظي هند كي نصلي جميعاً

الأم: هند هيا إلى العبادة هيّـــا

(ويستقيمون إلى الصلاة جميعاً.. ويصلون بخشوع.. ثم يجلسون ويبتهلون إلى الله العزيز.. والشمس تنهض من خدرها).

الأب: ربنا اغفر لنا جميع خطايانا

الأم: وهيئ لنا مقاماً سنيّـــا

علـي: ربـنـا واهـدنـا إلى الـ

هند: والإحســـان   وامدد يديك خيراً نديـــا

الأب: **(يقوم بحيوية ونشاط والكل يودعونه بقلوب متضرعة)**:

إنني ذاهب إلى الجَدِّ فادعوا   لي بمـالٍ يـأتـي حـلالاً إليّـا

الأم: **(رافعة بصرها إلى السماء)**:

ربنا ارزقه من شآبيبَ تهمي   فوقه خيرا كالسحاب سخيّا

هند: واجعل الترب في يديه نضاراً

علي: **(مبتسماً ومداعباً)**:   واجعل الزهرَ في يديه حُليّا

«ستار»

القصاص

عندما يكون السلطان موضع اتهام

بقلم: نيازي برنجي – تركيا

ترجمة: تسنيم محمد حرب – مصر

شخصيات المسرحية:

السطان محمد الفاتح.

القاضي خضر جلبي.

المهندس المعماري «أبسلانتي»: نصراني بيزنطي، يرتدي قلنسوة مدببة. إحدى ذراعيه مقطوعة، يتراوح عمره بين ٣٠ – ٣٥ عاماً.

الحارس الأول: يتراوح عمره بين ٢٠ – ٢٥ عاماً

الحارس الثاني: نفس السن.

حاجب المحكمة: رجل متقدم نسبياً في العمر.

الشاهد الأول: شاب في زي العمال.

الشاهد الثاني: عامل في نفس الزي

المنظر: قاعة محكمة عثمانية. على الأرض بساط، وفُرش مربعة. حامل خشبي للمصحف. لوحات خطية لآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، بطول الحائط).

المشهد الأول

(يجلس القاضي خضر جلبي القرفصاء، أمام حامل المصحف. يجلس بجانبه كاتب المحكمة. يقف حارسان على جانبي المسرح، يضع كل منهما ذراعيه على صدره. وفي حالة استعداد لتنفيذ الأوامر).

القاضي خضر: (**يعتدل بوقار ويتجه نحو مقدمة المسرح، وهو يلملم ذيل جبته ويقول لنفسه**): سبحان الله! ياللعجب! (**يرسل يده التي تمسك بالمسبحة إلى جانبه**) أي أيام هذه التي نعيشها. أليس من العجيب أن تحدث في إستانبول وهي دار السعادة سرقتان في سنة واحدة (**يشير بيده إشارة لعدد اثنين**) ألا يخشى الله العظيم، وألا يستحيي من رسوله الكريم، ذلك اللص الذي عدِم الحياء، واجترأ على الحق، في ملك السلطان محمد بن مراد؟! حاشا أن يكون هذا اللص مسلماً، لابد وأن يكون أجنبياً.. قد يكون من طائفة الروم أو الأرمن، أو قد يكون يهودياً (**يهز رأسه إلى الجانبين في أسف**) ما هذه الحال التي صرنا إليها.؟! واقعتا سرقة في سنة واحدة. لا يمكن أن يكون هذا دليل خير قط، إن هذا لعلامة من علامات الفساد. ويجب أن نأخذ حذرنا منها. لابد أن يكون هذا اللص عبرة لمن لا يعتبر. لابد من القبض عليه حتى لا يكون هنالك بين الرعية نموذج سيئ يمكن أن يتخذه بعضهم مثالاً. (**يدخل حاجب المحكمة إلى المسرح**).

الحاجب: (**منحني الرأس، عاقداً ذراعيه على صدره**) سيدي القاضي!

القاضي:(**يلتفت إلى الحاجب**) قل يا عبدالله، هات ما عندك يا بني.

الحاجب: في الخارج رجل من طائفة الروم من خارج إستانبول ينتظر، ولديه ما يود عرضه عليكم.

القاضي: (**بإشارة إلى الباب**) فلتدخلوه، حذار أن ينتظر، إن انتظار الرعية على باب الحق لمسؤولية.. وأي مسؤولية.

(**يدخل الحاجب، بعد خروجه بقليل، وبجانبه المعماري «أبسلانتي» الرومي**).

القاضي: (**يتجه إلى مكانه، ويجلس القرفصاء متربعاً على الأرض، مخاطباً أبسلانتي**) باب الحق مفتوح أمام كل الرعية، أياً كان ومن أي مكان كان. وثق أن العدل يأخذ مجراه.

أبسلانتي: (**بسرعة وبلا حياء**) هذا مؤكد يا سيدي. واضح هذا هو باب الحق! وحتى لو كان السلطان هو الظالم، أيأخذ في هذا الحال جزاءه؟!

القاضي: (**بقليل من الدهشة والغضب**)، إنّ عمل السلطان نفسه ذنباً، وإن كان أيضاً عيباً وقباحة، فسينال جزاءه، وتأخذ العدالة منه مأخذها.

أبسلانتي: وهل يمكن أن يجازى السلطان؟!

القاضي: نعم.. إذا ثبت الذنب عليه، سيجازى بالتأكيد. كل من يدخل من هذا الباب، متساوون، لا فضل لأحد على أحد، ولو قيد أنملة، لابد أن تعلم هذا، وتثق به.

أبسلانتي: (**يضع يده على صدره مصدقاً**) صدقنا، يا سيدي القاضي، ثقتنا في عدالة دينكم ثقة مطلقة، وهي أمامنا، وبفضلها سواء في العاصمة إستانبول، أم في غيرها من الممالك العثمانية، يسير الذئب بجوار الحمل دون افتراسه. معلوم هذا لكل الناس كافة.

القاضي: (**مشيراً بيده**) إذن لابد أن تسحب كل تصرف منك يدل على الشك، ولابد لك من بيان حاجتك بمجرد دخولك باب الحاجة، ولا ينبغي لك أن تشغل هذا المكان عبثاً، (**يعتدل ويركز في جلسته**) ما اسمك؟ وعملك؟ وشكواك؟ ومن تشكو؟!

أبسلانتي: اسمي أبسلانتي، عملي مهندس معماري، وأشكو حضرة السطان محمد.

الحارس الأول: (**يرتجف دهشة**) ياللجرأة!

الحارس الثاني: (**باستخفاف**) إنه يخاطر بحياته. سيقطع رأسه!

الحاجب: (**يضع يده على ذقنه**) سبحان الله!

القاضي خضر: (**يرفع حاجبه**) ياه... يا الله.. حسناً، فلتدل بشكواك كاملة، وسنجري الأمر كاملاً على النحو الشرعي، والحكم لابد أن يكون على هذا.

أبسلانتي: غضب السلطان عليّ فأمر بقطع ذراعي.

القاضي خضر: يا سيد أبسلانتي! لم يسمع أحد من قبل، قطع ذراع بهذه السهولة. قل لي ماذا فعلت؟ وكيف أغضبت السلطان (**يقول لنفسه**) هذا السلطان اتسم دوماً برفق المعاملة. ما غلبه الكبر قط عندما جثا ملوك الكفر أمامه، وهم كُثر، ما غلبه الكبر قط وكم من البلاد فتحها!! حتى لو تملكه الكبر يوماً وخضع لرغباته-

والعياذ بالله- هل يصل به الأمر أن يقطع ذراعاً؟! (**باضطراب**) هيا اشرح لنا دعواك، ولا تقلق، فحكم الشرع يسري حتى على السلطان.

أبسلانتي: أصدِّق هذا، فتطبيق العدالة على هذه الأرض، هو أدق من الشعرة وأحد من السيف، ويؤكد كلامي هذا الذي رأيته وسمعته الآن. لكني أخاف عندما يتعلق الأمر بالسلطان.

القاضي خضر: (**يزمجر بحدة**) يا أبسلانتي. قلنا: إنه لا محل لخوفك. كما أن ترددك لا فائدة ترتجى منه. كل من يدخل من باب هذه المحكمة، أياً كان فهو آمن وجميع من يدخله متساوون. ما الداعي لاضطرابك هذا الظاهر منك، وإلى ماذا يشير قلقك حتى الآن؟ إما أن توضح لي دعواك مفصلة أو تنسحب!!

أبسلانتي: (**يحني رقبته**) سمعاً وطاعة سيدي القاضي، سأبسط أمري بغاية من الوضوح.. كنت أعمل للسلطان في جامِعه، بناء على فرمانه هو.. فرأيت أن أقطع من أسفل الأعمدة شيئاً قليلاً، وعندما رأى السلطان هذا استشاط غضباً وقال لي: لقد قمت باستحضار هذه الأعمدة بألف مشقة ومشقة من أماكن متعددة، ثم تقوم أنت بعد ذلك بالقطع منها.. قال لي السلطان هذا ثم أمر مقابل هذا بقطع ذراعي.. وأنا يا سيدي القاضي معماري، لا أستطيع القيام بعملي بذراع واحدة.

ولذا فإن قطع ذراعي معناه أنه قطع رأسي.. وهذه يا سيدي شكواي، وإني قد لجأت إلى المحكمة، وهي باب الحق. أطلب أن تأخذوا لي حقي من السطان.

القاضي خضر: وضح الأمر الآن (**يقلب في الكتاب الذي أمامه ثم يلتفت إلى الحاجب ويقول**) أرسل إلى السطان أن يأتي سريعاً إلى المحكمة، وإذا لم يفعل، فاستصدروا فتوى من شيخ الإسلام لإحضار السلطان قسراً. هذا هو حكمي ولابد من تنفيذه. كما هو.

الحاجب: سمعاً وطاعة سيدي القاضي.

المشهد الثاني

(السلطان واثنان من العمال، وكل من في المشهد الأول)

الحاجب: (**وأنفاسه تتلاحق**) وصل سيدنا (**وبعداء واضح ينظر إلى أبسلانتي**) وصل مولانا السطان، والدنا.

القاضي خضر: (**بحدة**) اصمت، أنت موظف في محكمة الشريعة الإسلامية. إنه قد حضر إلينا متهماً، وليس سلطاناً.

(**للمعماري**) هل أحضرت الشهود يا سيد أبسلانتي؟!

أبسلانتي: (**يتلفت في ضيق**) جاء الشاهدان يا سيدي وهما عاملان، وكلاهما من دينكم. فكرت أن شهادتهما قد تجدا قبولاً عندكم أكثر.

القاضي خضر: (**مقاطعاً حديثه**) لا تزد في حديثك، إلا بعد أن أسألك؟ فلا تغاير الأدب (**للحاجب**): ناد على المتهم أن يدخل.

الحاجب: (**بتردد**) كـ... كـ... كيف ذلك يا سيدي؟!!

القاضي خضر: بالطريقة المعتادة، مثلما تنادي دائماً على كل من يمثل أمامنا، أن تذكر اسمه، واسم أبيه.

الحاجب: (**لا يزال متردداً**) سيدي القاضي، لكنه السلطان، سلطاننا وسيدنا، والدنا، كل شيء عندنا، إنه أمننا وأماننا وضمان العدل فينا، فكيف بالله أفعل ما تأمرني به يا سيدي؟!

القاضي خضر: (**يعتدل بعصبية ويشير بأصبعه إلى الباب**)

افعل ما قلته لك على الفور، إنه هنا.. في هذه المحكمة. لم يأتِ بصفته سلطاناً، بل أتى بوصفه متهماً بارتكاب ذنب، هيا ناد عليه.

الحاجب: (**يفتح الباب وهو منخلع الفؤاد.. وينادي**): الأمير الأعظم ابن السلطان مراد (**ينظر إلى القاضي بخوف**) سلـ... سلـ... (**ولكنه يخاف من القاضي خضر فلا يكمل كلمة سلطان**) محمد.

السلطان: (**يدخل**) بعد إذنكم. (**يجلس على الأرض متربعاً أمام القاضي**).

القاضي خضر: (**يشير إلى السلطان**) المتهم يجب أن يكون واقفاً. قف! ستقوم الآن بالدفاع الشرعي أمام خصمك.

السلطان: عفواً سيدي، أعتذر وأرجو قبول اعتذاري عن غفلتي هذه. إننا أمام باب الحق، نعم يا سيدي القاضي.

القاضي خضر: (**بحدة**) لا يجوز جلوس المدعى عليه بينما يقف المدعي.

لابد من العلم بهذا والعمل به (**ينظر مباشرة ناحية السلطان**) عرّف بنفسك.

السلطان: (**محنياً رأسه**) أنا الفقير إلى الله، عبدالله الضعيف إليه، محمد.

القاضي خضر: (**يلتفت لكاتب الجلسة**) اكتب: اسمه محمد. (**يلتفت إلى السلطان**) هل تحمل لقباً؟

السلطان: العبد الضعيف إلى الله، محمد بن السلطان مراد، ولقبي الأمير الأعظم.

القاضي خضر: (**للكاتب**) اكتب الضعيف إلى الله محمد (**للسلطان**).. اقترب لتُقسِم.

السلطان: (**يدنو بطاعة واحترام**) أفعل.

القاضي خضر: (**للسلطان**): فلتحلف اليمين لتقول الصدق.

السلطان: (**يتقدم، يفعل كل ما قيل له**) أقسم بالله: إنني سأجيب على كل أسئلتكم بصدق وأمانة، والله على ما أقول شهيد.

القاضي خضر: حسناً! يمكنك أن تعود إلى مكانك. قل لي الآن: لماذا أمرت بقطع يد هذا المعماري.

السلطان: لأنه قام بكسر الأعمدة الرخامية التي أحببتها حباً جماً.

القاضي خضر: (**للمعماري**) ما قولك؟

أبسلانتي: ما فعلته هو الصحيح، وإلا كانت القبة ستبدو أكثر من المناسب، وسيكون هناك خلل في جمال الجامع، وليس لأحد التدخل في عمل الفنان، ولو كان السلطان.

القاضي خضر: (**للكاتب**) هل سجلت كل هذا؟

الكاتب: نعم يا سيدي.

القاضي خضر: (**للحاجب**) ناد على الشاهدَين!

الحاجب: (**ينادي عليهما من الخارج**) فليدخل شاهدا السيد أبسلانتي. (**يدخل الشاهدان. القاضي خضر يجعلهما يؤديان القسم. ويقسمان ليقولا الحق**).

القاضي خضر: (**للشاهد الأول**) قل الحق.. اذكر أمامنا الحقيقة التي تعرفها، ولا تنس أن الله تعالى هو خير الشاهدين.

الشاهد الأول: حاشا أن أنسى ذلك في أي وقت. الحقيقة أن سلطاننا قد جاء وسأل المعماري أبسلانتي قائلاً: لماذا قطعت من الأعمدة ما أراه؟ فأجابه المعماري أبسلانتي بما هو مناسب، لكن السلطان أمر بقطع ذراعه.

القاضي خضر: (**للشاهد الثاني**) هل هذا صحيح؟ هل شهدت هذا؟

الشاهد الثاني: (**يهز رأسه بالإيجاب**) نعم، رأيت هذا، وأشهد عليه، فسلطاننا أمر بقطع ذراع المعماري أبسلانتي لأنه قطع الأعمدة الرخامية.

القاضي خضر: (**للمعماري**) هل أنت صاحب الدعوى؟

أبسلانتي: نعم.

القاضي خضر: (**للسلطان**) هل اتضح الأمر بعد أن ذكر المعماري أبسلانتي والشاهدان ماذكروه؟ وهل عندك ما تقوله؟ هل لديك أقوال أخرى؟

السلطان: (**يهز رأسه موافقاً**)، لا يوجد لدي ما أقوله، فقد اتضح الأمر بعد قولهم هذا؟

القاضي خضر: (**يلتفت بوجه مضطرب إلى أقصى درجة، موجهاً كلامه إلى الكاتب**) اكتب يا بني!

ثبت لدينا الآن بما لا يدع مجالاً للشك أن السلطان أمر بقطع ذراع المعماري أبسلانتي، لذلك، وبموجب أحكام الشرع الشريف فإني أحكم بالقصاص (**يوجه حديثه إلى السلطان**) هل لديك ما تقوله؟

السلطان: (**يحني رأسه**) أمام الشرع الشريف تصبح رقبتي أدق من شعرة الرأس.. دامت عدالتكم.. وليس لدي أقوال أخرى.

القاضي خضر: (**يفتح يديه للجانبين بحزن**) انتهت المحاكمة. فليذهب كل إلى وجهته. (**لا أحد يتحرك من مكانه**) قلنا: إن المحاكمة انتهت. ماذا تنتظرون؟

أبسلانتي: (**يوجه حديثه إلى القاضي في حيرة**) أتسمح لي سيدي أن أعرض أمراً؟

القاضي خضر: قل!

أبسلانتي: (**وهو يكاد يبكي**) لم أكن أتصور أن العدل سينجلي بهذا الشكل. أنا الآن نادم أشد الندم. وقلبي لا يستطيع أن يتحمل قطع ذراع السلطان. وأمام هذا الحكم العادل الذي أصدرته المحكمة أجد نفسي عاجزاً عن التعبير (**يرتج عليه أكثر من مرة عند التحدث، ويلقي بنفسه تحت قدمي السلطان**) اعف عني يا سيدي! لم أكن أريد أن يصل الأمر إلى هذا الحد. (**ينهض، يلتفت إلى القاضي خضر، ويبكي**) النجدة يا سيدي القاضي! أليس من مخرج آخر لحكمك هذا؟ أنا.. أنا (**يتلعثم**).

القاضي خضر: (**يضع يده على لحيته**) نعم هناك مخرج.

أبسلانتي: أنقذني به يا سيدي.

القاضي خضر: يمكن -بعد موافقتك- أن يتحول الجزاء إلى غرامة مالية.

أبسلانتي: (**يتلقى جواب القاضي برغبة**) رجاء يا سيدي! حوله.

القاضي خضر: (**للكاتب**) اكتب! سجل! رفع حكم القصاص بتنازل المدعي عن حقه على أن يتعهد المدعى عليه براتب للمعماري أو بالإنفاق عليه وعلى أفراد أسرته حتى الممات. (**للسلطان**) هل لديك قول أو اعتراض؟

السلطان: (**ممتناً**) لا.

القاضي خضر: (**للكاتب**) أدونت يا بني؟.. استمر.. وقد كان حكمنا في هذا أن يخصص المدعى عليه قصراً فخماً يعيش فيه السيد أبسلانتي وأفراد عائلته مدى الحياة وذلك مقابل إعادة الاعتبار للسيد أبسلانتي أمام الناس، مع صرف مبلغ وقدره

مئة وخمسون ألف أقجه[1] لمرة واحدة، ويحذر أن يكون هذا من خزانة الدولة، وإنما من مال المدعى عليه الشخصي (**يغمس الخاتم الذي في إصبعه بصناج الشمع، ويختم به أسفل ورقة الحكم، ويقدمها للسلطان**) اختم.

السلطان: (**يختم ورقة الحكم ويعيدها إلى القاضي خضر**) تفضل يا حضرة القاضي.

القاضي خضر: (**للمعماري**) واختم أنت أيضاً.

(**للشاهدين**) وأنتما أيضاً.

(**يوجه حديثه للحاضرين فجأة**) اتركونا قليلاً!

(**يخرج الجميع، ما عدا السلطان الذي ينظر بودّ إلى القاضي خضر**)

القاضي خضر: (**بأدب جم**) ألديك حاجة عندي يا مولاي.

السلطان: (**مبتسماً**) أنت لم تكن تتحدث معي منذ قليل بهذا اللطف ياخضر!!.

القاضي خضر: وأنت أيضاً يا مولاي لم تكن تحدثني باسمي المجرد هكذا منذ قليل.

السلطان: السبب معلوم، منذ قليل كنت تمثل العدل.

القاضي خضر: نعم إني أمثل العدل لكني الآن مجرد قاض، ولست الآن في مقام الحكم، وأنت الملك، أما أنا ففرد من رعيتك.

السلطان: (**يشير إلى سيفه**) انظر يا سيد خضر!! لو ناديتني أثناء المحكمة بالسلطان، لشهدت أنك أخللت بواجبك أمام العدل. (**يشهر سيفه**) وكنت ساعتها سآمر بقطع رقبتك، تقرباً إلى الله وصونا لشريعة الإسلام.

القاضي خضر: (**يرفع جانب المرتبة التي كان يجلس عليها، ويخرج صولجانا من الذهب، ويرفعه في الهواء**) وأنت يا مولاي لو كانت السلطة غرتك، واعترضت على حكم الشرع لسحقت رأسك بهذا الصولجان.!!

---

(١) آقجة: اسم العملة العثمانية القديمة ومعناه بالعربية (قطعة معدنية بيضاء) وربما كانت تطلق على الدراهم الفضية!! (التحرير).

السلطان: (**يهتز فرحاً**) الله!! الله!!

القاضي خضر: الله.. الله!!

(يجلس السلطان الفاتح، والقاضي خضر أرضاً باتجاه القبلة ويفتحان أيديهما بالدعاء)

السلطان: اللهم اقبض إليك روحي إذا فكرت لحظة بعمل مغاير لشريعتك، حتى ألقاك يا ربي طاهراً غير مذنب.

القاضي خضر: يا رب! يا أعظم العظماء! اللهم اقبض إليك روحي إذا انخدعت وهممت بالحكم الخطأ. اللهم أمتني إليك لحظتها حتى لا أجد أدنى فرصة في حياتي لتلويث عدالة الإسلام، التي يتغنى بها الناس الآن.

الاثنان معاً: اللهم اجعلنا من الذين يحكمون بشرعك الشريف، ويجاهدون في سبيلك من أجل نصرة الحق المبين: آمين.

(ينزل الستار، بينما يصدح النشيد العثماني العسكري، وهاهو ذا سلطاننا الفاتح يخرج من قصره ليتجه إلى المدينة).

«ستار»

الحنيفية والوفاء

بقلم: محمد الحسناوي – سورية

(في مكان من البادية العربية المجاورة لمدينة الحيرة، عاصمة المناذرة.. نصبت خيمة عربية بالية لرجل من طيء اسمه حنظلة، في ضيافته الملك النعمان وهو لا يدري ذلك. الوقت في الصباح الباكر. الملك النعمان يتأهب للرحيل).

النعمان: يا أخا طيء.. يا حنظلة.

حنظلة: نعم. عم صباحا، أيها الضيف الشريف.

النعمان: ها قد أصبح الصباح، وقد نلت حظي من النوم، ومن كرم ضيافتك.

حنظلة: أنت ضيفي، وأنت أهل لكل معروف.

النعمان: هل تعلم – يا حنظلة – من كان ضيفك هذه الليلة؟

حنظلة: ليس لي أن أسألك من أنت، ما دمت ضيفي. لكنني قلت لزوجتي ساعة وصولك: أرى رجلاً ذا هيئة، وما أخلقه أن يكون شريفاً خطيراً!.

النعمان: وقلت لها: ما الحيلة؟ فقالت لك: عندي شيء من طحين كنت قد ادخرته، فاذبح الشاة التي ليس عندنا غيرها، لأتخذ من الطحين مَلَّة.

حنظلة: صدقت.

النعمان: فأخرجت امرأتك الدقيق، فخبزت منه مَلَّة.

حنظلة: صدقت.

النعمان: وقمت أنت إلى الشاة، فاحتلبتها، ثم ذبحتها، فاتخذت من لحمها مرقة مضيرة، وأطعمتني من لحمها، وسقيتني من لبنها.

حنظلة: صدقت!

النعمان: وبذلت جهدك في اصطناع شراب طيب لي، فسقيتني، وجعلت تحدثني الأحاديث المتعة بقية ليلتي، بصدر منشرح، ووجه مشرق مضياف.

حنظلة: أنت أهل لكل معروف، يا أخا العرب!

النعمان: وها أنذا أتهيأ للانصراف، شاكراً لك كرمك وضيافتك، وأنت لم تعرفني بعد.

حنظلة: الضيافة، أقلها ثلاثة أيام، يا أخا العرب!

النعمان: يا أخا طيء. كان ضيفك هذه الليلة الملك النعمان بن المنذر، ملك الحيرة.

حنظلة: أبيت اللعن. لم يخب ظني في استشراف طلعتك. وهذا شرف لي أن يكون ضيفي الملك النعمان بن المنذر، ملك الحيرة العظيم.

النعمان: هل تدري - يا أخا طيء ما الذي جاء بي إليك؟

حنظلة: أنت ضيفي، ولا حق لي في سؤالك، أيها الملك النعمان.

النعمان: يا حنظلة، لكي تعرف عظمة المعروف الذي أسديته إليّ، سوف أخبرك بالذي جاء بي إليك.

حنظلة: هذا حق الضيف عليّ كيفما كان سبب مجيئه إليّ.

النعمان: يا حنظلة. إن الذي جاء بي إليك خروجي للصيد مع جماعتي، على فرسي اليحموم هذا. فأجريته في أثر حمار وحش، فذهب بي الفرس في الأرض، ولم أقدر عليه، وانفردت عن أصحابي، وأخذني مطر السماء الكثيف، فطلبت ملجأ ألجأ إليه، فدفعت إلى خيمتك هذه مبللاً مجهداً من الإعياء فقلت لك: هل من مأوى؟

حنظلة: صدقت، أيها الملك، يا مرحبا بك، يا مرحبا. حللت أهلاً ونزلت سهلاً.

النعمان: يا أخا طيء. بضيافتك لي، وحفاوتك بي، صارت لك عليّ يد لا أنساها أبد الدهر، أنا الملك النعمان، فاطلب ثوابك.

حنظلة: أبيتَ اللعن. إن رضى ضيفي عني هو ثوابي.

النعمان: لابد من شكرك على حسن صنيعك. سوف أحفظ لك هذه اليد البيضاء، ما حييت. فاطلب ثوابك.

حنظلة: أفعل إن شاء الله.

النعمان: الوداع، يا أخا طيء. لا تنس أن لك عندي يداً.

حنظلة: الوداع. صحبتك السلامة، أيها الملك النعمان.

المشهد الثاني

(الوقت:الصباح. المكان: موضع خارج مدينة الحيرة، يقال له: الغريان. اليوم: هو يوم بؤس الملك النعمان، الذي له يومان: يوم بؤس ويوم نعيم. الملك النعمان خارج وواقف هنا في خيله ورجله في السلاح. معه من رجاله: أبو الحوفزان، وهو شريك ابن عمرو بن قيس من بني شيبان، وكان صاحب الردافة: أي خلافة الملك، يجلس عن يمينه عادة، ويشرب بعده، وينوب عنه في الحكم إذا غزا. ومن الحاضرين رجل اسمه قُراد بن أجدع. يُقبل رجل من بعيد، هو حنظلة الطائي..).

النعمان: هل ترون ما أرى؟!

شُريك: أبيتَ اللعن. نعم. إني أرى شبح شخص قادم. أيها الملك النعمان.

النعمان: هل هو بشر؟

شريك: نعم، هو إنسان. هو رجل!

النعمان: ألا يعلم هذا الإنسان أن هذا اليوم هو يوم بؤسي؟!

شريك: أبيت اللعن. إذا لم يكن يعلم من قبل، فسوف يعلم حين يصل إلينا!

النعمان: وما ينفعه علمه هذا، إذا كان جزاؤه الموت؟!

شريك: هكذا أراد الملك النعمان. والسمع والطاعة للملك.

النعمان: (**يلتفت إلى بعض رجاله المسلحين**) إيتوني بهذا الرجل المنحوس.

(يخرج رجلان مسلحان، يدخلان برجل أعرابي كهل، تظهر عليه آثار السفر والفقر).

النعمان: (**بغضب ظاهر**) أنت الطائي الذي نزلت عليه ضيفاً؟

حنظلة: أبيت اللعن. أيها الملك النعمان، أنا حنظلة الطائي.

النعمان: (**محدثاً جماعته**) رجل أكرمني غاية الإكرام، وآواني من المطر، وأنا ضائع في ليلة ليلاء. ذبح لي الشاة التي ليس يملك سواها، وسقاني حليبها، واختار لي شراباً طيباً، وجاذبني أطراف الحديث طوال ليلتي، يسليني ويمتعني. ثم يأتي الآن في يوم بؤسي، إنها ورطة. (**مخاطباً حنظلة**) أفلا جئت في غير هذا اليوم؟

حنظلة: أيها الملك النعمان، لقد أصابتني نكبة وجهد، وساءت حالي، فقالت لي امرأتي: لو أتيت الملك النعمان ضيفك، لأحسن إليك!

النعمان: (**لنفسه**) إنه لم يدر حتى الآن ما هذا اليوم البئيس! فكيف إذا درى؟ لكنني أنا أدري، والمشكلة الآن هي مشكلتي أنا، قبل أن تكون هي مشكلته، لأن موته وحياته بيدي. كيف أقتل من أحسن إلي؟ هو يكرمني ضيفاً ضائعاً في حال فقره. وأنا أقتله ضيفاً في حال ملكي وغناي. إن الأمر لا يستقيم بحال. (**لحنظلة**) يا حنظلة، أفلا جئت في غير هذا اليوم؟

حنظلة: أبيتَ اللعن، وما يدريني بهذا اليوم!!

شريك: إنه يوم بؤس الملك النعمان، أيها الطائي!

حنظلة: وما بؤس الملك النعمان، وهو صاحب الحيرة غير مدافع، وها هي ذي جنوده، تملأ الرحب؟! ثم هو في عافية ورفاهة؟! وماذا ينقصه؟!

شريك: لقد شرع الملك النعمان أنه من سنح أمامه في يوم بؤسه، فحكمه الموت.

جماعة الملك: (**يلغطون**) الموت، الموت!!

حنظلة: الأعمار بيد الله تعالى.

النعمان: (**لنفسه**) لم أسمع بمثل هذا الاعتقاد من قبل. ماذا يقصد الطائي بقوله: الأعمار بيد الله تعالى؟ لم تظهر عليه علامات الخوف كالآخرين! لعله يطمع بعفوي لما له عندي من يد سابقة. له أن يطمع بي، لكنني محرج جدًا، ولن أفعل،

لن أفعل. (**للطائي**) يا حنظلة. والله لو سنح لي في هذا اليوم قابوس ابني لم أجد بداً من قتله، فاطلب حاجتك من الدنيا، وسلْ ما بدا لك، فإنك مقتول.

الجماعة: (**يلغطون**) مقتول! مقتول! مقتول!

حنظلة: (**مندهشاً**) أبيت اللعن! وما أصنع بالدنيا بعد نفسي؟!

النعمان: (**لنفسه**) سؤاله عسير الجواب. فعلاً ما يصنع بالدنيا بعد نفسه. أحس بالموت هو، فماذا أحس أنا؟ أليس من الظلم، بل الغدر أن أقتل أنا من أحسن إليّ، وآواني، وأطعمني، وسقاني، وآنس وحشتي، وحماني؟ ما العمل؟ لابد من قتله. هكذا شريعتي التي قد نفذتها، وعودت أتباعي عليها، وإلا ما أصنع بمن قتلتهم من قبل؟ كيف تكون هيبتي وقوتي أمام الناس؟ الملك حزين.. يجب أن يحزن الناس. الملك في بؤس، فعلى البؤس أن يعم الناس، وإلا ما معنى الملك؟ (**لحنظلة**) إنه لا سبيل إليها يا حنظلة!

حنظلة:....

شريك: لا سبيل إليها، يا حنظلة!

حنظلة: (**باستسلام**) فإن كان لابد، فأجلني، أيها الملك، حتى أُلّم بأهلي، فأوصي إليهم، وأهيئ حالهم، وهم - كما تعلم - في مكان منقطع من الأرض والبشر، ثم أنصرف إليك.

الملك: (**لنفسه**) حسناً، إنه يطلب التأجيل، يقول: أجلني. هذه فسحة لي وله، وإن لم تكن حلاً حقيقياً. (**لحنظلة، متنهداً**) فأقِمْ لي كفيلاً بموافاتك.

الجماعة: (**يلغطون**) كفيلا، كفيلا!!

حنظلة: إني سمعت بخليفة الملك أبي الحوفزان (**يشير إليه**)، وأسأله أن يكفلني، لما أعلم عنه من السماحة والنجدة.

شريك:...

حنظلة: (**يخاطب شريكا**)

يـا شـريكاً يـا ابـن عـمـرو	هـل مـن المـوت محـالـةْ؟
يـا أخـا كـل مُـضـاف	يـا أخـا مـن لا أخـا لـهْ
يـا أخـا الـنـعـمـان فُـكَّ الـ	ـيـوم ضـيـفـاً قـد أتـى لـهْ
طـالمـا عـالـج كـرب الـ	ـمـوت لا يـنـعـم بـالـهْ

الجماعة: (**يضجون**) يقبل. لا يقبل. يقبل، لا يقبل!!؟

شريك:.....

النعمان: ما قولك يا شريك؟

حنظلة:

يـا شـريكاً يـا ابـن عـمـرو	هـل مـن المـوت محـالـةْ؟

شريك: يا أخا طيء. أخطأت الطلب. إن أمر الملك النعمان لا مرد له.

النعمان: يا حنظلة. إن شريكاً يعتذر عن كفالتك، فأقم لي كفيلاً غير شريك بموافاتك.

(يثب من بين الناس رجل من جماعة الملك اسمه قُراد بن أجدع. يتقدم إلى حيث الملك).

قراد: أبيتَ اللعن. هو عليّ، هذا الرجل الطائي.

النعمان: (**لنفسه مبتهجاً**) هذا مخرج حسن، لم يخطر لي على بال. إذا أفلت الطائي - وهذا ما أرغب به - قتلتُ قُراد بن أجدع، ولا حرج لي أمام نفسي، ولا أمام الناس. (**لقراد، متصنعاً التعجب**) أفعلتَ، يا قُراد بن أجدع؟!

قراد: نعم، قد فعلت.

النعمان: (**لنفسه**) هذه فرصة لك يا حنظلة كي تهرب، فتنقذ نفسك، وتنقذني من نفسي. (**لحنظلة**) يا أخا طيء، كم تحتاج من الزمن حتى تُلم بأهلك، فتوصي

بهم، وتهيئ حالهم ثم تنصرف إلينا؟

حنظلة: الأجل الذي يختاره لي ضامني، أقبل به.

قراد: بل اختر أنت - يا حنظلة - الأجل الذي يكفيك.

النعمان: أنا أختار لكما فلا تترددا. إن النعمان يكرم ضيفه، ولا يرزأ أحد أعوانه بنفسه. (**لحنظلة**) خذ يا حنظلة عاماً، حولاً كاملاً. هل يناسبك هذا الأجل؟

حنظلة: قبلت.

شريك: يا أخا طيء، في مثل هذا اليوم، إن لم تحضر، فإن كفيلك قراد بن أجدع سوف يُقتل بضمانتك.

حنظلة: لا فعلتُ ذلك. الغدر بالوعد ليس من شيمتي.

النعمان: (**لحنظلة**) يا أخا طيء، يا حنظلة، لقد أمرت لك بخمس مئة ناقة هدية مني إليك. أنت ضيفي، وصاحب ليلتي. (**لقراد**) وأنت - يا قُراد بن أجدع - احفظ تاريخ هذا اليوم، لأنه يومك، إذا تخلف حنظلة.

قراد: (**منشداً شعراً**)

فإن يكُ صدر هذا اليوم ولى ... فإن غداً لناظـره قريـــبُ

النعمان: (**لحنظلة**) يا حنظلة انصرف إلى أهلك، ولا تنس الأجل! (**لنفسه**) أرجو أن تنسى.

حنظلة: (**يتهيأ للرحيل، ثم يقول**):

ألا إنما يسمو إلى المجد والعلا ... مخاريق أمثال القراد بن أجدعا

مخاريق أمثال القراد وأهله ... فإنهمُ الأخيار من رهط تُبّعا

المشهد الثالث

(المكان السابق، الغريان. الزمان: وقت الغروب، بعد مضي عام كامل.الملك النعمان في سلاحه، وجنوده في سلاحهم أيضاً. قراد بن أجدع مجرد من ثيابه في إزار على النطع، والسياف إلى جنبه. بعد قليل تدخل امرأة قراد باكية، ترثيه قبل مقتله).

النعمان: يا قراد بن أجدع. أنا لم أختر لك هذا المصير البائس، لكنك ضمنت حنظلة الطائي بمحض اختيارك.

قراد: (**متصبراً**) أبيتَ اللعن. نعم، ضمنته.

النعمان: (**لنفسه**) ها قد مضى عام كامل، ولم يرجع حنظلة الطائي، وما أظنه براجع بعد الآن، ولو أراد العودة خلال هذا الحول الكامل لعاد. إنه يخرجني - كما توقعت من ورطتي.(**لقراد**) وأنت - يا قراد بن أجدع- سعيت إلى حتفك بظلفك، وما أنا بظالمك.(**لجماعته**) يا قوم. لقد طال انتظارنا لحنظلة الطائي. مضى الحول بكامله، وهذا اليوم الأخير كادت شمسه تغرب، فماذا ننتظر؟ لو كان حنظلة يريد العودة لعاد في أي وقت من أوقات العام الماضية.

امرأة قراد: (**تدخل منشدة شعراً، وهي تبكي**):

أيا عين بكي لي قراد بن أجدعا	رهيناً لقتل، لا رهيناً مودعا
أتته المنايا بغتة دون قومه	فأمسى أسيراً حاضر البين أضرعا

الجماعة: (**تهمهم**) أضرعا.. أضرعا.

أحد المسلحين: (**يصيح**) أرى من بعيد شخصاً، يركض مسرعاً، متجهاً نحونا.

الجماعة: (**تلغط**) من تراه يكون؟ من تراه يكون؟

النعمان: (**مفاجأ**) ما لنا وللشخص، وقد كادت الشمس تغرب، والحول قد انتهى؟!

شريك: أبيتَ اللعن. يقول الركب: ليس للملك أن يقتل قُراداً حتى يأتيه الشخص، فنعلم من هو.

النعمان: (**لنفسه**) أخشى أن يفعلها الطائي في آخر لحظة، فيحرجني مرة أخرى، مضيعاً فرصة نجاته على نفسه وعليّ. (**للجماعة**) ومن عساه يكون هذا الشخص، وقد انتهى الحول كاملاً؟

شريك: أبيت اللعن، سوف نرى.

(**يدخل حنظلة الطائي، وعليه آثار السفر والتعب**)

الجماعة: (**يلغطون دهشة وإعجاباً**) حنظلة، حنظلة؟!

حنظلة: عِمْ مساءً، أيها الملك النعمان.

النعمان: (**لنفسه**) ما أغبى هذا الرجل! أُتيحت له فرصة النجاة من الموت، وهو مصرّ على الهلاك. (**لحنظلة**) ما حملك على الرجوع بعد إفلاتك من القتل، يا حنظلة؟!

حنظلة: الوفاء أيها الملك.

الجماعة (**يضجون**) الوفاء، الوفاء، الوفاء.

النعمان: (**مندهشاً، لنفسه**) هل يسخر منا هذا الأعرابي؟ (**لحنظلة**) وما دعاك إلى الوفاء يا أخا طيء؟

حنظلة: ديني.

الجماعة: (**يلغطون**) ديني، ديني، ديني.

النعمان: (**مندهشاً أكثر**) وما دينك، يا حنظلة؟

حنظلة: الحنيفية.

النعمان: وما الحنيفية؟

حنظلة: دين أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام.

النعمان: هل دين إبراهيم يأمرك بالوفاء بالوعد، ولو تعرضت بسبب الوفاء للموت المؤكد؟!

حنظلة: نعم. وإن ديني يأمر بتوحيد الله تعالى أولاً، وترك الشرك به في الوقت نفسه، كما يأمر بمكارم الأخلاق، وهجر سفسافها.

النعمان: ماذا تعني بتوحيد الله تعالى؟

حنظلة: إخلاص الاعتقاد والعمل له وحده، بلا شريك له في ملكه وشرعه وأمره ونهيه، بديع السماوات والأرضين..

النعمان: والشمس والقمر؟

حنظلة: بديع الشمس والقمر. كل ما في الوجود يسبح بحمده، ويخضع لأمره ومشيئته.. البشر والشجر والحجر.

النعمان: ماذا تعني بمعالي الأمور، يا حنظلة؟

حنظلة: كثير من أخلاق العرب الشريفة، هي من معالي الأمور في الحنيفية - أيها الملك - كالكرم والصدق والوفاء وصلة الرحم، وإغاثة الملهوف، ورعاية اليتيم والجيران.

النعمان: إذن وفاؤك بالوعد حملك على العودة، يا حنظلة، انسجاماً مع دينك؟

حنظلة: (**مشيراً إلى قراد بن أجدع**):

ما كنت أخلف ظنه بعد الذي	أسدى إلي من الفعال الحالي
ولقد دعتني للخلاف ضلالتي	فأبيت غير تمجدي وفعالي
إني امرؤ، مني الوفاء سجية	وجـزاء كـل مـكـارم بـذال

النعمان: يا حنظلة، زدني تعريفاً بدينك، دين الحنيفية.

حنظلة: أبيتَ اللعن. إن إقدام أبينا إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل، استجابة لأمر الله، هو أصعب على النفس من حمل النفس على الموت، فأين نحن من النبي إبراهيم وابنه إسماعيل، عليهما السلام؟

النعمان: (**لحنظلة**) لقد أعجبني دينك، يا حنظلة الطائي. وسوف أستزيدك تعريفاً به لي ولقومي معي. (**للجماعة**) يا قوم. والله ما أدري أيَّ الرجلين هذين أوفى وأكرم! أهذا الذي نجا من القتل، فعاد. أم هذا الذي ضمِنه، معرضاً نفسه للقتل بدلاً عنه؟! والله، لا أكون ألأم الثلاثة.

الجماعة: (**يضجون**) الوفاء، الوفاء، الوفاء.

النعمان: إني عفوت عن الطائي، وهو ضيفي، وله عندي يد قديمة لا أنساها أبداً.

الجماعة: الطائي، الطائي.

النعمان: أما قُراد بن أجدع فسأُكرمه على نجدته وشهامته أيضاً. وإني سوف أُقلع عن عادتي، بل عاداتي الجاهلية الظالمة مثل يوم البؤس ويوم النعيم. وإني سوف أدين بدين الطائي الشهم دين الحنيفية، دين أبينا إبراهيم الخليل، عليه السلام. ومن شاء منكم أن يدين به معي فحيهلا. وسوف أدعو أهلي كلهم إلى ما آمنت به نفسي طائعاً، ومعجباً بالحنيفية السمحة.

«ستار»

الشاعر والسوقة

بقلم: نوال مهنى – مصر

(مسرحية نثرية وشعرية)

المشهد الأول

(بوابة كبيرة تؤدي إلى السوق - يقف أمامها منظِّم ومعه بعض الفتيان لحفظ الأمن وتنظيم الدخول والخروج - والناس يدخلون ويخرجون حاملين بضائعهم وسلعهم.. يتقدم رجل إلى الباب يبدو عليه الهدوء والبساطة والثقة بالنفس، يهم بالدخول فيتصدى له المنظم ويستوقفه ويسأله)

الشاعر: السلام عليكم ورحمة الله.

المنظم: وعليكم – إلى أين يا رجل؟

الشاعر: إلى السوق طبعاً.

المنظم: وماذا تفعل بالسوق؟

الشاعر: مثلما يفعل كل من بالسوق.

المنظم: من بالسوق يبيعون ويشترون.

الشاعر: وأنا أيضاً سأبيع وأشتري.

المنظم: ولكن لا أرى معك شيئاً.

الشاعر: بل معي أشياء كثيرة ولكنك لا تراها.

المنظم: (**ساخراً**) أشياء كثيرة ولا تُرى؟ لعلك ألبست بضاعتك طاقية الإخفاء!!!

الشاعر: ربما.

المنظم: ربما!!! قف مكانك يا رجل، لابد أنك ساحر أو مجنون أو لص - أو.. أو - يا.. يا غلام. (**يتقدم شاب قوي البنية صارم الملامح**).

سوقي: أتنادي عليّ؟

المنظم: خذ هذا الرجل إلى صاحب السوق فإني أرتاب في أمره (**يتقدم السوقي إلى الشاعر ويُمسك بذراعه**).

الشاعر: دعني يا هذا - (**ينظر إلى المنظم**) لماذا تأخذونني ولم أرتكب خطأ، إن من حقي أن أدخل السوق مثل جميع الناس.

السوقي: تعال معي أيها المشاغب - امض إلى صاحب السوق.

المنظم: انتظر. ماذا كنت تفعل قبل أن تأتي إلى هنا أيها المجنون؟

الشاعر: (**يتنهد في أسى**)

أشكو الزمان وأنسج الأحلاما	أستروح الأعطار والأنساما
لأزيل عن نفسي الكئيبة ما بها	وأبث وجداً يشحذ الأقلاما
كم بت أحمل ذي الهمومَ بكاهلي	فعلام أوصم بالجنون..علاما؟!!

المنظم: تترك أعمالك وتنشغل بهذا الكلام الفارغ، ثم تأتي إلى السوق لتنشره بين الناس حتى تصرفهم عن السعي إلى أرزاقهم؟ أيها المجنون (**للسوقي**) اذهب به إلى صاحب السوق.

السوقي: (**يجذب الشاعر من ذراعه**) هيا.. امض معي.

المنظم: انتظر. فتش ملابسه أولاً.

السوقي: (**يتحسس ملابس الشاعر**) ليس معه شيء (**للشاعر**) هيا (**ينصرفان**).

المشهد الثاني

(صالة كبيرة مرتفعة أشبه بالفرندة - تطل على السوق - يجلس في مقدمتها رجل ضخم وقد اتكأ على أريكة وأمامه نرجيلة، وحوله بعض التجار والأعيان - يدخل السوقي ومعه الشاعر ويتجهان إلى صاحب السوق).

السوقي: سيدي هذا الرجل مشاغب طويل اللسان يزعم أنه جاء يبيع ويشتري، وبالتفتيش لم نجد معه نقوداً أو سلعاً فارتبنا في أمره.

(صاحب السوق - يشير إلى الشاعر - بعد أن ترك النرجيلة واعتدل في جلسته).

صاحب السوق: تقدم.. من أنت وما عملك؟

الشاعر: أنا ضمير الشعب ولسان المجتمع المعبر عن آماله، والحافظ لفنه وتراثه. أفجر نبع الأماني في الوجدان وأذكي فيه نار الحماسة، وأشعل الثورات عند الخطر.

صاحب السوق: تشعل الثورات؟ إذن أنت معادٍ للنظام. الويل لك! أنت تعترف أنك تحرض على الفتن.

الشاعر: إنني أرفض هذا الاتهام.. دعوني أذهب إلى السوق كي أبيع وأبتاع.

صاحب السوق: ماذا تبيع وتبتاع ولم نر معك شيئا من نقودٍ أو سلع؟

الشاعر: أبيع الأماني والأحلام والحب والأمل، إنني أبيع السعادة.

صاحب السوق: (**ساخراً**) تبيع السعادة.. ترى.. بكم كيلو السعادة يا فصيح زمانك؟

الشاعر: السعادة لا تقدر بمال. فالمال دونها وإن كثر. والمال وسيلة وهي غاية، بل إنها غاية الغايات.

صاحب السوق: دعك من هذا الهراء، أتريد أن تتهرب من التسعيرة حتى تغالي في بضاعتك كما تريد.. ثم إنك لم تخبرني ما هويتك ومن تكون؟

الشاعر: إنني شاعر فقير، وهذه مشكلتي!

صاحب السوق: أي مشكلة تقصد؟ أفصح.

الشاعر: مشكلتي أنني مفطور على البراءة، أدعو إلى الأمل في زمان اليأس، وأبحث عن النور في وسط الظلام، وأنشر الحب في عصر الكراهية، وأعشق الحق والخير والجمال، وأناضل ضد الباطل والشر والقبح، وسيلتي البلاغة في زمان الركاكة كي أوقظ الوجدان النائم، والضمير الغافل، والعقل الغائب حتى يعود إلى منابع الحياة ويرى جمالها.

صاحب السوق: أي جمال يا مجنون بعد كل ما قلت؟ أرني أي جمال تتحدث عنه.

الشاعر: الجمال يا هذا موجود لأنه من صنع الخالق العليم، ولكن الإنسان في هذا العصر لا يراه لأنه مشغول بصناعة الشر وعبادة المال. ألا ترى هذا الجمال في زرقة البحر، وخضرة الأرض، وألوان الزهور، وإشراقة الشمس، وعذوبة النهر، وبديع صنع السماء.

صاحب السوق: **(ينظر حوله ثم ينظر إلى السماء)**.

الشاعر: هل جئتُ إلى السوق أم إلى المحكمة؟

السوقي: المحكمة! آه **(يهمس في أذن صاحب السوق)** سيدي أرسلْهُ إلى المحكمة، فلعل قاضي القضاة يودعه السجن.

صاحب السوق: حسناً، ولكن ما تهمته؟!

السوقي: نقول: مثلاً.. مثلاً.. إنه جاء إلى السوق متنطعاً دون أن يبيع أو يشتري.

صاحب السوق: ربما جاء للاتفاق على صفقة مع أحد التجار.

السوقي: نقول: مثلاً.. مثلاً.. إنه كان يريد أن يبيع بضاعته المزعومة التي لا تُرى بأكثر من التسعيرة.

صاحب السوق: ولكننا لم نضع تسعيرة لهذا الصنف من البضائع حتى يلتزم به.

السوقي: نقول: مثلاً.. مثلاً.. إنه كان غارقاً في الخيال والأوهام.

صاحب السوق: لا يوجد نص في القانون يعاقب الناس على خيالهم وأوهامهم.

السوقي: (**يفكر مغتاظاً**) سيدي.. من يدرينا أنه شاعر، ربما كان مدعياً لماذا لا تختبره؟

صاحب السوق: حسناً.. سأختبره. اسمع أيها الرجل، ألست تزعم أنك شاعر؟

الشاعر: يا هذا أنا.. شاعر بالفعل، ولقد وهبني الله القدرة على التعبير عن مشاعري ومشاعر غيري، ولقد ولدت شاعراً، وأقول الشعر فطرة ثم اكتساباً وإبداعاً ثم ابتداعاً.

صاحب السوق: إذن سنرى، ماذا تقول شعراً في هذه السوق، وما بها من ناس؟

الشاعر: (**يطل على السوق من إحدى نوافذ الصالة، ثم يعود ويتجه لصاحب السوق**):

السوق قد ملئت بالناس كالحشر ... والناس داخلها من مطلع الفجرِ

أوقاتهم شُغلت بالربح والسعرِ ... من واقف يقظ أو قادم يجري

يدعو لسلعته في البيع أو يشري ... دنيا وساكنها دوما على سفرِ

صاحب السوق: رغم أنني لم أفهم شيئا، ولكن يبدو أنه كلام جميل وله وقع خاص.

السوقي: (**يهمس في أذن صاحب السوق**) سيدي! اجعله يسطر لك هذا الكلام في لوحة لتزين بها هذا البهو في مدخل السوق كي يراها الزائرون، فلقد رأيت بعض الوجهاء ممن عملتُ بخدمتهم يفعلون ذلك.

صاحب السوق: حسنا حسناً، معك حق، سأفعل ذلك. (**يلتفت إلى الشاعر**) اسمع أيها الشاعر، يبدو أنك رجل طيب، ولذا سوف أشتري بعضاً من بضاعتك رفقاً بحالك، فبكم تبيع هذا الكلام الذي قلته.. أقصد هذا الشعر الذي قلته؟

الشاعر: الشعر يا هذا لا يباع ولا يشترى، ولكن يفهم ويحس ثم..!!!

صاحب السوق: ثم ماذا؟

الشاعر: ثم يُقدّر حق قَدْرِه.

صاحب السوق: يُفهَم.. ويُحس.. كيف؟ لا عليك، سأقدر شعرك، وسأدفع لك اثنتين أو ثلاثة.. لا لا.. سأدفع لك خمسة شلنات كاملة.

الشاعر: اصمت يا رجل، مالك أنت والشعر حتى تقدره؟ إنني أريد مكافأة أعظم.

صاحب السوق: يا لك من طماع وتدعي أنك رجل طيب، اذكر السعر الذي تريده.

الشاعر: لا.. لا.. لن أبيع شعري مطلقاً، ولكني فقط سأتنازل لك عنه مقابل خدمة بسيطة.

صاحب السوق: ما هي الخدمة التي تريدها، وسوف أؤديها لك فوراً؟

الشاعر: أعرفُ أن لك جاها ودلالاً في هذا البلد، فأرسل بي إلى من يهمه أمر الشعر، فلقد ضللت الطريق، وغلّقت دوني الأبواب، وبُحّ صوتي دون أن يصل إليه.

صاحب السوق: سوف أرسلك إلى زعيم المثقفين، إنه صديقي، ويزعم أنه يفهم جيداً كلام الشعراء والأدباء، ولقد أديت له خدمات كثيرة، وأعتقد أنه لن يرفض لي طلبا (**يلتفت إلى السوقي**) يا غلام: أحضر العربة كي تذهب ومعك الشاعر إلى زعيم المثقفين (**يرفع الشاعر يده بالتحية وينصرف برفقة السوقي**)

المشهد الثالث

(مكتب أنيق فخم يجلس أمامه حاجب يقوم وينحني للداخل والخارج، ويجلس زعيم المثقفين في صدر المجلس وعلى يمينه ويساره بعض المستشارين، ينظر إلى الباب ويرقب الداخلين وهو يمسك سماعة الهاتف)

الزعيم: نعم لقد وصل - بمشيئة الله - أي خدمة (**يضع السماعة**).

الشاعر: (**يدخل**) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الزعيم: يقف (**مسلماً على الشاعر**) وعليكم السلام.. تفضل (**يشير إليه**) أأنت الشاعر نفسه الذي أرسله صاحب السوق؟

الشاعر: نعم، أنا الشاعر نفسه وذاته وعينه وكله وجميعه!!

الزعيم: **(ضاحكاً)** تريد أن تستعرض فصاحتك، حسنا.. حسناً.. لقد علمت بمشكلتك من صديقي وها أنا ذا أمامك، فماذا تريد مني؟

الشاعر: أريد أن تصل أشعاري إلى من يتولى أمر القريض وأهله.

الزعيم: عظيم.. هيا.. أسمعنا أشعارك حتى تصل إلينا.

الشاعر: ماذا تحب أن تسمع؟

الزعيم: انظر من هذه النافذة، وسترى حديقة جميلة تحيط بالمكتب، وأرسل بصرك بين الخمائل وقل لي ماذا ترى؟

(الشاعر يتقدم إلى النافذة، وينظر بين الخمائل والأشجار متفحصاً كل ما في البستان وهو في حالة تأمل حالم)

الزعيم: ماذا رأيت بين الخمائل أيها الشاعر؟

الشاعر: **(يتجه نحو الجالسين)**

بين الخمائل كم أرى زهرا جميلا باسما
أو برعما في غفوة حاكى وليدا نائما
والغصن مال مهللا حيّا نسيما قادما
أوراقهُ ذاتُ الندى خضراء تزهو دائما
وحفيفُهُ لما علا جاب الربا مترنّما
والعشب هام مناجيا وردا رقيقاً حالما
وبدا الفراش مرقشّاً للنور يهفو هائما
والطير يشدو راقصاً بالحسن صبّاً مغرما
ذا جدول «مترقرق» يسري شفيفاً حالما
قد شاقه همس الشذا في خلسةٍ - متكتما

حتى تناثر في المدى   يغزوالفضا والأنجما

الزعيم: اللّه..اللّه!! أحسنت أيها الشاعر الرقيق! (**يلتفت إلى مستشاريه**) ما رأيكما؟

الأول: لقد أجاد في الصور وأبدع في الموسيقا.

الثاني: واللّه.. ما أحسن ما قال!! يبدو أنه شاعر مطبوع.

الزعيم: لقد أقرّت اللجنة بشاعريتك وجودة إبداعك، فما الجائزة التي تريدها، وسوف تحصل عليها فوراً؟

الشاعر: إنما جائزتي يا سيدي يا زعيم المثقفين.. هي أن تجعل للشعر والشعراء مكانا في خريطة المجتمع كي يتبوؤوا مكانتهم على خريطة الزمان والمكان حتى تُعرف أقدارهم، وتُصان حرياتُهم، وتُحفظ أقلامهم، فلا يحاسبون، ولا يحاكمون ولا يعاقبون على خيالاتهم وأحلامهم.

الزعيم: سنحاول أن نفعل ذلك - إن شاء اللّه - حينما تتوافر الإمكانات وتتاح الفرصة (**ينظر في ساعته ثم يقف - فيقف الجميع**). عفوا، لدينا موعد مهم، فما المكافأة التي تريدها؟

الشاعر: أريد أوراقاً.

الزعيم: ثم ماذا؟

الشاعر: ثم أقلاماً كي أكتب شعراً.

الزعيم: حسنا سأصدر الأمر بصرف الأوراق والأقلام لك. فقط عليك أن تكتب الطلب باسمك وتوجهه لزعيم المثقفين وتتقدم به للجهة المختصة، ولا تنس أن تضع عليه (**التمغة**).. (**ينصرف الزعيم وخلفه مستشاروه**)

الشاعر: (**يخرج ويردد بصوت خافت أمام مكتب الزعيم**) من أين لي بثمن (**التمغة**) كي أحصل على الأوراق والأقلام كي أكتب شعراً؟

«ستار»

بائع الحكمة

بقلم: محمود محمد كحيلة – مصر

الشخصيات:

- الملك.

- الوزير.

- الطبيب.

- الحاجب.

- الحكيم.

- الخادم.

- الحارس.

المشهد الأول (في قاعة العرش)

الملك: أخبرني عن أحوال البلاد أيها الوزير.

الوزير: البلاد يا مولاي الملك في ظل حكمكم تنعم بمنتهى الأمن والأمان، والعدل والهدوء والسكينة.

الملك: أنت تعلم جيدا أنني عندما أهادن مجاورينا من الممالك والبلاد.. فأنا لا أهادن عن ضعف أو خوف، إنما عن قوة تستند إلى الحكمة والعدالة.

الوزير: سيدي الملك لا يفعل إلا ما فيه العدل وصالح البلاد ومصالح الرعية من مختلف أبناء الشعب.

الملك: شعبي حارب إلى جانبي طويلا ولا بد أن يلقى السلام والأمان جزاء صبره وجلده.. هذا هو العدل.

الوزير: (**بخبث**) نعم يا مولاي.. العدل.. ولكن الشعب إذا ما استراح انقلب على سادته وحكامه.

الملك: هذه أقوال غبية ومدسوسة من رجال أرادوها فتنة بين الملوك وشعوبهم. إن الشعوب إذا أحببتهم أحبوك، وإن أهملتهم كرهوك.

الوزير: ولكن يا مولاي؟!

الملك: كُف عن آرائك الغبية فيما يتعلق بسياسة الحكم.. ولا تجعلني أندم على اختياري لك.

الوزير: عفوا يا مولاي.. لم أقصد أن أغضبك.

الملك: (**هادئا**) اعلم يا وزيري أنني أغضب من أجلك.. فأنا سأترك هذا الملك عاجلا أو آجلا لك.. لأنه لا ابن لي ولا أخ كما تعلم.. وأنا اخترتك كي تتولى الحكم من بعدي جزاء إخلاصك وصبرك في خدمتي على أن تفعل ما فيه صالح هذا الشعب الطيب.

الوزير: أنا خادم مخلص لمولاي وتابع أمين.

الحكيم: (**ينادي من الخارج**) من يشتري الجواهر والدرر.. من يشتري مني اللؤلؤ والألماس.. من يشتري..؟؟!!

الملك:على ماذا ينادي هذا البائع؟!

الوزير: يبدو يا مولاي أنه يبيع الجواهر!!

الملك: جواهر في الشوارع!!.. هل وصل الناس إلى هذا الحد من الثراء والرخاء؟

الوزير: الخير يعم البلاد.. نعم.. وعدد الفقراء في زوال.

الملك: ولكن إلى حد شراء الجواهر من الباعة الجائلين!!.. هذا ثراء عظيم.

الوزير: في الحقيقة أنا لا أفهم يا مولاي الملك.

الملك: ولكن واجبنا ومكانتنا في هذه المملكة التي نحكمها تحتم علينا الفهم.. نحن مسؤولون عن كل ما يجري على أرض هذا البلد.. أحضر هذا البائع.

الوزير: (**للحاجب**) أحضر هذا البائع.

الحاجب: (**للحارس**) أحضر هذا البائع.

الحارس: (**ينادي**) أيها البائع!!

الحكيم: ماذا تريد أيها الحارس؟

الحارس: الملك يطلبك.

الحكيم: أنا قادم فورا (**يدخل الحكيم**) السلام والتحية على مولاي ملك الرعية.

الوزير: ماذا تبيع يا رجل؟

الملك:دعه يلتقط أنفاسه أولا ثم يعرض علينا بضاعته.. لنشتري.

الحكيم: أنا يا مولاي أبيع جواهر الكلم من الدرر واللآلئ والمرجان والياقوت والألماس.

الوزير: إذن هيا أخرج لآلئك واعرضها لنا حتى نشتري أفضلها.

الحكيم: لكني يا مولاي لا أحمل بضائعي.. بل أحفظها.

الملك: نعم.. يحق لك أن تحفظ بضائعك الغالية في خزائن ثمينة حتى لا تسرق أو تبدد.. ولكن مع ذلك لا أرى معك خزائن.. فأين تحفظها؟!

الحكيم: أحفظها.. أحفظها هنا.. في عقلي.. أنا أبيع...

الوزير: هل تمزح مع الملك أيها الرجل السوقي.. هل جئت هنا لتعبث بنا (**ينادي**) أيها الحاجب.

الحاجب: أمر مولاي.

الوزير: خذه إلى السجن.

الملك: انتظر أيها الوزير.. انتظر حتى نفهم حديثه.. أفهمنا أيها الرجل ما سلعتك؟

الحكيم: الحكمة يا مولاي.. أنا أبيع الحكمة.. أبيع جواهر الكلم كما قلت.. وجواهر الكلم هي الحكمة.

الوزير: وهل أصبحت الكلمات سلعة تباع وتشترى، ويجري المرء في الشارع لتسويقها؟!

الحكيم: ولم لا؟.. إذا كانت تساوي من المال الشيء الكثير.. بقدر ما قضاه المرء من سنوات في الاطلاع والمعرفة والبحث والقراءة للوصول إلى هذه الكلمات الحكيمة.

الوزير: ما زال الرجل يسخر في حضرة الملك.. خذوه إلى السجن.

(يتقدم حارسان نحو الحكيم)

الملك: انتظروا.. وما أغلى سلعك.. أقصد حكمك.. أيها البائع الفريد؟!

الحكيم: لدي واحدة ثمينة يا مولاي.. فهل تشتريها؟

الملك: سأشتريها منك مهما بلغ عظم ثمنها.. وهي لي.. هاتها على الفور.. هات.

الحكيم: (**مفكراً**) «فكر في عاقبة أي شيء»

الملك: «فكر في عاقبة أي شيء».. نعم نعم.. إنها حكمة عظيمة.. فكر..

الحكيم: في عاقبة أي شيء.

الوزير: نسجنه يا مولاي أم ننتظر؟!

الملك: بل انتظر.. قبل أن تسجنه فكر في عاقبة هذا الشيء.. سجنه؟!

الوزير: وما عاقبة سجن صعلوك كهذا؟!

الملك: هذا ليس صعلوكا، بل حكيمٌ.. وسجنه يحرم المملكة من حكمته.. هذه أولاً.

الوزير: وثانياً؟!

الملك: سأظلم وأسجن رجلاً بريئاً.. وما أسوأ عاقبة الظلم على الظالم!!

الوزير: وثالثاً

الملك: سأكتسب عدواً.

الحكيم: وعدو واحد أخطر على المرء من مئة حبيب.. هذه الحكمة هديتي لك يا مولاي.

الملك: هل سمعت الحكمة يا وزير؟.. لذلك فمن الحكمة أن نعطيه حقه ونصرفه سالماً غانماً راضياً عنا.

الوزير: كم أجرك يا حكيم؟

الحكيم: ألف.. ألف دينار يامولاي.

الوزير: ألف.. ألف دينار.. نسجنه أوفر يا مولاي.

الملك: لا، بل يأخذ ما طلب من المال.

الوزير: أمر مولاي.

الملك: أما عن الحكمة المشتراة والجوهرة المنتقاة فلتكتب على كل شيء (**آمراً**) يكتب في كل مكان ظاهر من القصر.. «فكر في عاقبة أي شيء» أما هذا الرجل الحكيم فلينصرف سالماً غانماً مشيعاً برضانا وعطفنا.

الوزير: أمر مولاي، (**بضيق**) هيا أيها الحكيم المفكر في عاقبة أي شيء.

المشهد الثاني (غرفة نوم الملك)

الملك: آه.. آه.. أواه.. إنني أتألم.

الحاجب: الملك يتألم..

الحارس: (**من الخارج**) الملك يتألم.

الملك: آه..

الحاجب: الملك يصرخ من الألم.. ويقول...

الملك: آه..

الحارس: الملك يصرخ من الألم.. ويقول...

الملك: آه..

الحاجب: مُرْنا يا مولاي؟

الملك: (**متألماً**) الطبيب.. أحضروا الطبيب.

الحاجب: أحضروا الطبيب.

الحارس: أحضروا الطبيب.

الملك: الطبيب.

الطبيب: (**يدخل**) أنا هنا يا مولاي.

الملك: أنقذني أيها الطبيب من الألم.. الألم يفترسني.

الطبيب: أمرك يامولاي..

الملك: الأمر أمرك من الآن.. افعل ما فيه خلاصي.. أو مُرْ بقتلي لأتخلص من هذا الألم اللعين.

الطبيب: (**مازحاً**) أطال الله عمر الملك.. إنه مجرد خرّاج يا مولاي.. خرّاج فقط يؤلم ولا يميت.

الملك: لكني أموت من الألم.

الطبيب: ما إن يكتمل تجمع الصديد حتى نفقأه، ولحظتها تستريح تماماً يا مولاي «يضع المرهم» سنضع هذا الدهان وننتظر قليلاً.

الملك: افتحه الآن.. وإلا فتحته أنا بسيف هذا الحاجب، (**آمراً**) أيها الحاجب أعطني سيفك.

الحاجب: (**مشهراً السيف**) أمر الملك.

الطبيب: (**متدخلا**) كلا يا مولاي.. السيف لا يصلح.. وقد يزيد من مرضك.. لا بد أن يفتح الخراج بأدوات معقمة تماماً حتى لا يحدث مزيد من التلوث والمرض.. لم يبق إلا أقل القليل.

الملك: لا ينقذك من بطشي سوى المرض.. آه.

الطبيب: مولاي.. أنت تعلم أني لا أفعل إلا ما فيه صالحك.

الملك: آه.. أعلم، ولكني أتألم.. خلصني من الألم وإلا أمرت بقتلك فوراً..

الطبيب: اهدأ يا مولاي.. لقد حانت ساعة الحسم.. سنفقأ عين الخرّاج اللعين ونُريحك منه إلى الأبد (**يخرج المشرط المعدني**).

الوزير: (**يقتحم المكان**) انتظر أيها الطبيب.

الطبيب: مرحبا سيدي الوزير.

الملك: أنت ابتعدت يا وزيري وتركتني أتألم وحدي.. ألا تحمل عني بعض هذا الألم؟ ماذا كنت تفعل؟

الوزير: كنت أعد مشرطا ذهبياً.. ليليق بالخرّاج الملكي يا مولاي.

الطبيب: (**منتشياً**) مشرطاً ذهبياً لفتح خراج الملك!! نعم إنها بادرة طيبة منك سيدي الوزير.. فالخراج الملكي لا بد أنه مختلف عن باقي الخرّاجات التي نعرفها!!

الملك: لقد عينته وزيراً لهذا السبب.. هو دائما يأتي بأفعال حسنة.

الطبيب: أحسنت ياسيدي الوزير، فالذهب هو ما يليق بالملوك.

الوزير: أنا طوع أمر مولاي وفي شرف خدمته.

الملك: (**متألماً**) آه.. يجب أن تكفوا عن الثرثرة لأنني أتألم.

الطبيب: حسنا، سنفتح الخراج الآن.. ولكن أحتاج إلى منشفة نظيفة، ولتكن منشفة من نسيج ثمين كي أستخدمها في التخلص من محتويات الخراج الملكي.

الملك: أعطوه مناشف.

الوزير: أحضروا له منشفة حريرية فورا.

الحاجب: المناشف الحريرية فورا.

الحارس: المناشف الحريرية فورا.

الطبيب: لكن المناشف لا تنشف إلا إذا كانت من القطن.

الملك: (**متألماً**) إذن هاتوا مناشف قطنية.. قطنية.

الحاجب: قطنية.

الحارس: قطنية.

الخادم (**يدخل ويتجه إلى الملك**) المناشف القطنية يا مولاي.

الملك: أعطها للطبيب (**يتألم**) آه.

الخادم: تفضل يا سيدي الطبيب، (**للملك**) سلامتك يا مولاي الملك.

الطبيب: ما هذا المكتوب على ثياب الخادم (**يقرأ**) «فكر في عاقبة أي شيء».

الملك: هيا أيها الطبيب.. أسرع قبل أن آمر بقتلك.. آه.. اذهب أيها الخادم (**يخرج الخادم**).

الطبيب (**يستعرض المنشفة**) إنها حكمة عظيمة فعلا يا مولاي.. ومكتوبة على المنشفة أيضاً.. لا بد أن آخذ بها وأستفيد منها.

الملك: ماذا تفعل يا طبيب الهم؟.. آه.

الطبيب: أستعد يا مولاي.

الملك: تستعد لماذا؟!

الطبيب: لأداء عملي على أكمل وجه، وأفكر في عاقبة أي شيء (**يخرج مشرطه ومناشفه الخاصة**).

الوزير: (**آمراً**) استخدم المشرط الذهبي.

الطبيب: لن أستخدمه يا سيدي الوزير.

الوزير: ولماذا لا تستخدمه؟

الطبيب: لأني أفضل أن أستخدم مشرطي الخاص.

الوزير: ولكني أُصر على أن تستخدم المشرط الذهبي.. لأن مشرطك هذا لا يليق بجلال جرح الملك.

الطبيب: إذن إفعل به أنت ما تريد يا سيدي الوزير.. أما أنا فلن أستخدم إلا مشرطي الذي أعرفه ويعرفني.. ولن أستخدم غيره.

الوزير: (**منفعلا**) بل ستستخدم المشرط الذهبي وإلا طردتك من القصر، وأحضرت طبيبا غيرك.

الطبيب (**مبرزاً المشرط الذهبي**) خذ مشرطك وسأغادر.

الملك: انتظر أيها الطبيب.. هات هذا المشرط الذهبي.

الطبيب: أمرك يا مولاي.

الملك: (**يضع المشرط الذهبي تحت الوسادة**) اتركه الآن يا وزير.. وسأعاقبه بنفسي إن عشت.. ولكن دعه.. يخلصني الآن من هذا الألم.. آه.. حتى لو تم ذلك بمشرطه العادي.

الوزير: أمرك يا مولاي (**ينصرف غاضباً**).

الملك: هيا يا طبيب.. اقتل الألم.. قبل أن أقتلك.. آه.... فكر في عاقبة ما تفعل.

الطبيب: أمرك يامولاي (**يقترب منه**).

الملك: (**يصرخ صرخة عظيمة**).. آه.. (**يغيب عن الوعي**).

الطبيب: لن أغادر.. قبل أن أطمئن على الملك.. من الأفضل.. أن يفكر المرء في عاقبة كل شيء.

المشهد الثالث (في قاعة العرش)

الملك: جاء وقت الحساب أيها الطبيب.

الطبيب: مولاي يعلم أنني خادمه المطيع.

الملك: كنت كذلك قبل أن تستغل ضعفي ومرضي وتستهين بقدرتي وأنا الملك.

الطبيب: أنا أبعد الناس عن هذا الاتهام يا مولاي.

الملك: أنت تستخدم مشرطاً حديديا في فتح جرحي وتترك المشرط الذهبي، قل سريعاً لم فعلت ذلك؟!

الطبيب: مولاي.. سأشرح لك كل شيء.

الملك: حياتك الآن بين فكيك.. تكلم سريعا وإلا قتلتك.

الطبيب: ما حدث يا مولاي الملك أنني كدت أن أستخدم المشرط الذهبي ولكني قرأت على ثياب الخادم.. «فكر في عاقبة أي شيء»، وما إن تناولت المنشفة حتى قرأت الحكمة ذاتها «فكر في عاقبة أي شيء» ولما فكرت في عاقبة استخدام المشرط الذهبي وجدت أنه في أفضل الأحوال قد يكون ملوثاً.

الملك: (**مفكراً**) أو قد يكون مسموما.

الطبيب: نعم مثلا.

الوزير: أنا أقتلك يامولاي الملك العادل؟!

الملك: يكاد المريب أن يقول خذوني.

الوزير: (**منفعلاً**) سأقتل الطبيب الشيطان.

الطبيب: أنا أقول مثلا.

الملك: وأنا أقول لا بد من الاستيثاق من هذا الأمر.. (**يخرج المشرط الذهبي**) خصوصاً وأنا ما زلت أحتفظ بهذا المشرط الذهبي.. أعطني يدك أيها الوزير الطيب.

الوزير: (**خائفاً**) يدي.. لم يا مولاي؟!

الملك: كي أستوثق من نقاء المشرط الذهبي.. وصفاء صفحتك.

الوزير: (**مذعوراً**) لا.. لا يمكن (**يهم بالهرب**).

الملك: أمسكوا الوزير.

الحارس: (**ممسكاً بالوزير**) أمرك يا مولاي.

الملك: إذن فالمشرط مسموم.. هيا اعترف الآن.

الوزير: نعم يا مولاي هو مسموم.. لقد دفعني الطمع إلى الرغبة في قتلك.

الملك: ولم فعلت ذلك؟

الوزير: طمعاً في الملك.

الملك: بل تعجلا للملك الذي كنت أدخره لك دون طمع أو تعجل.. عجيب أمر طمعك وتعجلك يا رجل.. لقد كنت قاب قوسين من الملك، ولكنك بالطمع أصبحت أقرب ما تكون إلى الموت.

الوزير: اعف عني يا مولاي.. وسامحني.

الملك: لاعفو عندي ولا سماح.. إني أحب أن يجري العدل حتى لو كان عليّ، والعدل يقضي بأن يلقى المرء جزاء أفعاله.. لذلك لن تقتل..

الوزير: شكراً لك يا مولاي.

الملك: لن تقتل إلا بذات المشرط المسموم الذي أردت أن تقتلني به.. (**يعطي المشرط للحاجب**) خذوه واقتلوه بهذا المشرط الذهبي المسموم، وأخبروني عن طقوس الميتة التي كان يرتبها لي.. حتى أعرف إلى أي مدى كان مخلصا لي.

الحاجب: أمرك يا مولاي (**يأخذونه وينصرفون**)..

الملك: أما أنت أيها الطبيب فقد أحسنت ولا بد من إثابتك.. إذ يقضي العدل بعقاب الآثم، وإثابة المحسن.. فماذا تطلب من جائزة لإحسانك؟

الطبيب: جائزتي يا مولاي أن تعيرني هذه الحكمة.

الملك: هي لك هدية لا ترد.. أما نحن فندعو الله أن يمنحنا حكمة بديلة لها.. ولكني أعدك حتى يحدث ذلك أن أفكر جيداً في عاقبة أي شيء.

«ستار»

مدينة الزيتون

بقلم : **عزة منير – مصر**

المشهد الأول

«طريق خالية يبدو فيها الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- وغلامه، ومعهما دابة واحدة يركبها الغلام بينما يسير عمر».

الغلام: يا أمير المؤمنين: ألا نزلت لك عن الدابة لتركب؟ فما زالت الطريق طويلة إلى القدس.

عمر: أيها الغلام الطيب: أما انتهينا من هذا الأمر؟!! ألم نتفق من بداية الرحلة أن يركب كل منا بمقدار ما يتلو سورة يس؟!

الغلام: بلى، ولكني أتألم إذ أركب أنا، بينما تسير أنت، وأنت أمير المؤمنين.

عمر: لا فرق بين أمير وغلام أمام الله، يا فتى انتهينا من هذا. فامض على بركة الله.

(بعد مدة)

الغلام: (مرتلا) ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾** (يس).

(**ينزل الغلام عن الدابة**)، دورك يا أمير المؤمنين لتركب الدابة.

عمر: أرى أن نستريح هنا بعض الشيء وتريح الدابة.

الغلام: أمرك يا أمير المؤمنين، ألا أعد لك شيئا لتتناوله؟

عمر: أشكرك يا بني، بل دعني أخلد إلى النوم بعض الوقت.

(ينام عمر بينما يتطلع إليه الغلام).

الغلام: (**متأملا عمر**) لله درك يا أبا حفص. ما أحلمك وما أشد تواضعك!! من ذا يصدق أن هذا النائم الواضع جنبه على التراب هو أمير المؤمنين الذي يملك خزائن الأرض.

المشهد الثاني

(المشهد يمثل رؤيا لعمر يبدو من خلالها صحراء قاحلة ملأى بالدخان والدمار بينما يطل عليها عمر من فوق ربوة خضراء يشرف من خلالها على الصحراء).

عمر: (**متعجبا**) يا الله!!! ما هذا الخراب؟! وما هذا الدمار؟ (**من بعيد**)

صوت: أدركنا ياعمر.. أين أنت يا عمر، أدركنا يا عمر، أدركنا يا صلاح الدين. (**يظهر صلاح الدين ويتقدم من عمر**).

صلاح الدين: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

عمر: (**مندهشا**) وعليك السلام، من أنت؟

صلاح الدين: أنا الآتي من رحم الغيب لأحرر أرض الأنبياء.

عمر: تحرر أرض الأنبياء؟! أو لم نحررها؟

صلاح الدين: بلى، ولكنها ستحرر وتحرر وتحرر.. انظر هناك.

عمر: (**يتطلع إلى الخراب والدمار ويسمع أصوات استغاثة**) (**يسمع صوت استغاثة يقترب فيبدو أن القادم امرأة**).

المرأة: (**تجري في حالة ذهول**) النجدة، أين أنت يا عمر؟

عمر وصلاح الدين: (**يستوقفان المرأة**) ما بك يا أمة الله؟

المرأة: (**لاهثة**) قتلوا الصغار، هدموا الديار، بقروا البطون، وأسقطوا كل الحصون،

في كل يوم لنا ألف شهيد، بل إنهم يخططون لهدم أقصانا الحبيب.

عمر: أين الرجال؟ أين الجنود؟

المرأة: تفرقت بهم السبل، وانقطعت بهم الطرق.

صوت آخر: الأمان يا عمر.. العهد يا صلاح الدين.

عمر وصلاح الدين: (**يستوقفان الرجل المذهول**) ما بك أيها الراهب؟

الراهب: مهد المسيح.. أدركوا مهد المسيح، إنهم يحطمون مهد المسيح.

عمر: من هم؟ (**بحدة**) رجالي؟!

صلاح الدين: أهم جنودي؟

الراهب: (**بقوة**) لا. ما هم منكم ولا أنتم منهم.

صلاح الدين: فمن جرؤ على هذا وقد أعطاكم عمر أمانا، ومن بعده أعطيتكم عهدا.

الراهب: الأوغاد.. أبناء الأفاعي، يهدمون قبر المسيح!!

عمر: من هم؟ من هم؟

الراهب: الذين لعنوا على لسان أنبيائهم.

(يستيقظ عمر من نومه ويعود المشهد لنفس المنظر الأول).

عمر: (**مطرقا**) اللهم خير لنا، وشر لأعدائنا، رباه! ما رأيت؟ إلهي.. كيف أحمي مسجدك الأقصى إلى يوم القيامة؟

الغلام: ما بك يا أمير المؤمنين؟ أرأيت في نومك ما تكره؟

عمر: خيرا إن شاء الله.. آتني ببعض الماء لأتوضأ ونكمل رحلتنا على بركة الله.

بعد مدة (يركب عمر الدابة بينما يسير الغلام لاستكمال الرحلة).

المشهد الثالث

(في المشهد يبدو عمر راكبا الدابة يرتل سورة يس، وينتهي منها فينزل عن الدابة ليستريحا بعض الشيء)

الغلام: هل آتيك بطعام يا أمير المؤمنين.

عمر: لا بأس أيها الغلام الطيب.

الغلام: (**أثناء إعداده الطعام**) أما كان يجدر ببطريق بيت المقدس أن يسلم المفاتيح لقائد جيشك وألا يكبدك هذه الرحلة الشاقة؟

عمر: هذا حقه يا غلام.. إنه يريد عهدا وأمانا من أمير المسلمين.

الغلام: كان بإمكانك أن تمنحه الأمان وتعطيه العهد وأنت في دارك بالمدينة وما كنت لتنقضه.

عمر: لعله أراد أن يطمئن بوضع يده في يدي لحاجة في نفسه.

(يطرق عمر ويستغرق في تفكير عميق)

الغلام: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟

عمر: أفكر في الأمان الذي سوف أمنحه لأهل بيت المقدس وما حولها من المدن، أفكر في عهد يحمي بيت المقدس، يحمي الأقصى، ويحمي أهل الذمة والمسلمين.

الغلام: فليرحمك الله يا أمير المؤمنين، هكذا أنت دائما تنشد العدل المطلق.

عمر: بل أنشد رفع كلمة لا إله إلا الله يا بني، وأنشد الخلاص يوم أقف بين يدي ربي ليسألني عما فعلت بالأمانة التي أحملها. (**يبكي عمر**).

الغلام: هون عليك يا أمير المؤمنين، فما أنت إلا العدل يمشي على الأرض. (**ينتحب عمر**).

عمر: ويح عمر، ليت أمي لم تلدني!. حملي ثقيل.. ثقيل.. اللهم أعني وأمدني بمدد من عندك يا أرحم الراحمين.

(ينهض عمر والغلام ليستكملا الرحلة، ويركب الغلام الدابة بينما يسير عمر).

المشهد الرابع

(في المشهد تبدو أبواب مدينة القدس وقد وقف بطريق بيت المقدس في إحدى الشرفات يرقب أبواب المدينة، يدخل عليه راهب).

الراهب: طاب يومك أيها الأب الطيب.

البطريق: طاب يومك يا بني. ماذا وراءك؟

الراهب: جئتك ببعض الزيت والخل والخبز لتتناول طعامك.

البطريق: أشكرك يا بني لا حاجة لي بالطعام الآن.

الراهب: أنت لم تتناول شيئا منذ دخولك خلوتك.

البطريق: دع الطعام جانبا فأنا مشغول الآن.

الراهب: فيم انشغالك أيها الأب الطيب؟ منذ الأمس وأنت ترقب الطريق. لم يا سيدي؟

البطريق: أرقب الآتي لتسلم مفاتيح بيت المقدس.

الراهب: ألا تستريح أنت؟ ونكفيك نحن مؤنة هذا ونخبرك عندما يأتي.

البطريق: لا، يا بني، لا بد أن أفعل هذا بنفسي لأتأكد.

الراهب: (**مندهشا**) تتأكد من ماذا ياسيدي؟

البطريق: نبوأة قديمة.

الراهب: (**متعجبا**) نبوأة! أية نبوأة؟!

البطريق: جاءنا في بعض كتبنا القديمة أن مدينة الزيتون تسقط في يد شرذمة باغية تملأ الأرض جورا وظلما، وأنه لا يحرر مدينة الزيتون من أيديهم إلا رجال يأتون من قلب الصحراء يتبعون النبي الأمي.

الراهب: وماذا في ذلك يا أبي، كلنا يعرف أن الجيش العربي الذي حرر مدينة الزيتون من أيدي الروم هم أتباع النبي الأمي الذي جاء من ولد إسماعيل.

البطريق: ليس هذا ما قصدت، إنما أقصد ما جاء في النبوأة بعد ذلك، تحكي النبوأة أن كبيرهم يأتي لتسلم مفاتيح بيت المقدس وهو عظيم مهيب، ومع هذا يدخل المدينة سائرا على قدميه بينما يركب غلامه بين يديه.

الراهب: ماذا؟ أحق هذا يا سيدي؟ كيف يتأتى لعظيم مثل ذلك الرجل الذي تملأ سيرته الآفاق أن يأتي المدينة ماشيا بينما يركب غلامه بين يديه؟

البطريق: هكذا تقول النبوأة.. والآن دعني أكمل ما أنا فيه.

الراهب: (**تسمع أصوات هتاف وتكبير عند أبواب المدينة**) سيدي! يبدو أنه قد وصل.

البطريق: (**يتطلع بشدة لأبواب مدينة القدس**) انظر هذا الآتي.. (**يشاهد عمر وغلامه يدخلان مدينة القدس**) يا إلهي إنه هو.. تماما كما وصفته النبوأة...

الراهب: أهذا هو يا سيدي السائر على قدميه؟

البطريق: لابد أن يكون هو.. فلا يعقل أن يكون الغلام الراكب هو عمر. ما أعظمك يا عمر! حقا أنت عظيم، جدير بالاحترام.

البطريق: (**يتأهب للنزول لاستقبال عمر**)، ساعدني يا بني لأسرع لاستقبال هذا الرجل العظيم.

الراهب: هيا يا أبي. (**يخرجان**)

المشهد الخامس

(في كنيسة القيامة حيث يجلس عمر مع بطريرك الكنيسة لإعطاء العهد والأمان لأهل الذمة بعد أن صلى على درجة الكنيسة بالخارج).

البطريق: أما كان أيسر لك أن تصلي هنا داخل الكنيسة؟!! فما أعلم أن دينك يأبى هذا أو ينكره.

عمر: صدقت، فما يأبى ديني عليّ هذا، ولكني خشيت إن صليت هنا أن يأتي المسلمون من بعدي لأخذ الكنيسة قائلين: هنا صلى عمر.

البطريق: (**متعجبا ومستحسنا كلام عمر**) لله درك، لقد سمعت كثيرا عن عدلك وورعك وحرصك

على إقامة الحق ولكني ما حسبت أن يكون إلى هذا الحد، تخشى الصلاة هنا حفاظا على كنيستنا آجلا!

عمر: بل إني أكتب كتابا أوصي فيه المسلمين ألا يصلوا على الدرجة التي صليت عليها.

البطريق: ما أنفذ بصيرتك!! وما أشد ورعك!!

عمر: (**لغلامه**) اكتب أيها الغلام ما سأملي عليك من الأمان.

الغلام: (**يعد أوراقه وريشته**) أمرك يا أمير المؤمنين.

عمر: هذا ما عاهد عليه عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل بيت المقدس من النصارى من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم.

البطريق: (**مخاطبا نفسه**) صدق من سماك عادلا. بل أنت العدل تجسد في بشر.

عمر: إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يمنعون من الخروج بصلبانهم يوم عيدهم.

البطريق: (**مخاطبا نفسه**) وحق الرب هذا هوالتسامح وتلك هي الحرية.

عمر: ولهم علينا أن نمنعهم ونحميهم ما داموا على عهدهم معنا وعلى ما اتفقنا عليه.

الغلام: هل تكتب شيئا آخر يا أمير المؤمنين؟

عمر: نعم، اكتب ما أملي عليك للمسلمين هنا:

الغلام: (**يمسك الريشة والورق**).

عمر: هذا ما أوصى به عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ولاته وألزم به عامة المسلمين ألا يصلي أحد على الدرجة التي صلى عليها عمر إلا واحدا منفردا لضرورة، وألا يصلي عليها مسلمون مجتمعون، وألا يؤذن عليها بأذان، وألا يقام عليها للصلاة. (**ثم يمهر عمر العهد والوصية بتوقيعه**)

الغلام» أتريد شيئا آخر يا أمير المؤمنين؟

عمر: لا يا بني، أشكرك. (**يعطي صك الأمان للبطريق**)

عمر: ألك مطلب آخر؟

البطريق: لا، ولكني أود أن أعترف لك أنك قد أعطيتنا عهدا لم يمنحه فاتح من قبل، ولن يمنح مثله بعدك إلى أن يأتي ملكوت الله مع القيامة.

عمر: وأنا أضمن لك بقاء هذا العهد والأمان لكم ما دامت القدس في أيدي المسلمين.

البطريق: (**كمن تذكرشيئا**) فإن ضاعت منهم؟!

عمر: أسأل الله ألا تسقط القدس في أيد نجسة لا تعرف معنى قدسية العبادات ولا ترعى الحرمات وحرية الأديان.

البطريق: وأنا أضرع للرب أن تظل القدس العربية في أيدي العرب يحكمها المسلمون ويقيمون هذا العهد وهذا الأمان لأبد الآبدين. (**يهم عمر بالانصراف**)

عمر: أستودعكم الله

البطريق: ألا تبقى معنا بعض الوقت؟

عمر: أشكرك.. أود أن أتأهب للإياب إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

البطريق: في رعاية الله. (**يتصافحان**)، (**ينصرف عمر وغلامه**).

الراهب: أنا لا أكاد أصدق ما أرى لولا أن صك الأمان في أيدينا.

البطريق: بل صدق يا بني.. إن مدينة الزيتون ستظل الحمائم ترفرف عليها، وستورق أشجار الزيتون ما دامت في أيدي هؤلاء القوم. (**يشرد بفكره بعيدا**)

الراهب: فيم تفكر يا أبت؟ إلى أين يشرد بك الفكر؟

البطريق: إلى آخر الزمان، عندما يدخل أبناء الأفاعي هذه الأرض مرة أخرى (**بسخرية**) أرض الميعاد.. ساعتها لن يتركوا أخضر ولا يابساً، ولن يحترموا مسجدا ولا كنيسة.

الراهب: أبت! دعنا نسعد باللحظة، وننعم بالأمان، واترك ما سيجري آخر الزمان لرب آخر الزمان.

«ينزل الستار مع صوت الأذان»

عودة الخنساء

بقلم: د. غازي مختار طليمات – سورية

(مسرحية شعرية)

المشهد الأول

(في صدر المسرح صرح ضخم، كأنه قلعة قديمة، تخترق جدار السور الخالي من الأبواب عجوز تتكئ على عصا غليظة وتطل من المنصة على جمهور محتشد وراء باب حديدي من قضبان متقاطعة. وأمام الباب جنود أشداء يدفعون الجمهور والباب المغلق، فيتزعزع الباب ولا يفتح).

العجوز **(تناجي نفسها)**:

ويحك يا تماضرُ

شخت، ولم يشخ طموحك المغامرُ

متِّ، ولكن ما طوت شبحك المقابرُ

أتعشقين الخلد أم يكرهك الفناءْ؟

(العجوز وهي تنظر إلى الصرح والجموع):

ما ذلك الصرح الذي يناطح الجوزاءْ؟

ومن أولئك الرجال الحمس والنساءْ

(العجوز توجه كلامها إلى شرطية تحت المنصة):

أيا ابنتي، أيتها الفارعة الفرعاءْ

أين أنا؟

وما الذي يجري أمامي هاهنا؟

الشرطية (وقد شهرت مسدسها مهددة):

ويلك، من أين ارتقيت المعقل المحصنا؟

وهو لحاكم البلاد القلعة الشماءْ

ويلك، كيف جزت كل هذه الحصونْ؟

هيا انزلي من قبل أن أوردك المنونْ

العجوز: وردتها واللّه من قرونْ

لكنني لما أزل أعد في الأحياءْ

الشرطية: هيا انزلي

قبيل أن يصعد من مسدسي القضاءْ

قبيل أن يرفعك الموت إلى السماءْ

العجوز: لن تستطيعي أبدا

الشرطية **(وهي تطلق النار)**: بل أستطيعْ

وإليك من مسدسي الردى

العجوز **(وقد تصيدت الرصاصة من الهواء)**:

أبالحديدة التي شهرتها تختصر الأعمارْ؟

أم في نواة تمرة تختبئ الأقدارْ؟

العجوز **(وهي تدفع الرصاصة إلى الشرطية)**:

خذي التي زعمت أن طيَّها هلاكي

بأمره، لا بأمر من ولاكِ

هو الذي يمسك أو يهلكُ

لا ذاك الذي أشلاكِ

الشرطية (**ترمي بضع رصاصات والعجوز تتصيد الرصاصات وتقدمها إلى الشرطية**):

لن تستطيعي أبداً

فالميت لا يموتْ

إليَّ يا ابنتي، إليَّ قبل أن أفوتْ

وقبل أن يطير بي الملاك في الأفلاكِ

الشرطية (**وهي صاعدة**): من أنتِ؟

ما تخفين في العباءة السوداءْ؟

كيف تصيدت سهام الموت بالأنامل العجفاءْ؟

لم تجرحي، وبعضها يكفي لقتل حوتِ

أمن نساء الجن أم ساحرة شمطاءْ

العجوز: لا ذي ولا ذي، إنني تماضر الخنساءْ

الشرطية (**وهي مروعة**): من أنتِ.. منْ؟

الخنساء: أمُّ البنين الأربعةْ!؟

أمُّ الذين استشهدوا وهم رماح مشرعةْ

أكرمني الله بهم

منذ قضوا في المعمعةْ

وبث في منهم الروح التي تعانق البقاءْ

وحيثما توثبت أصقاعنا الموات للجهادْ

بحثت عن بنيَّ في مخايل الأحفادْ

الخنساء (**وهي تشير إلى الجمع المحتشد**): هاهم أولاء أبصري

الشرطية (**بعد أن ترسل بصرها**):

لم أر غير فرقة من عسكرِ

ترد عن حاكمنا تدفق الغوغاءْ

وليس فيهمْ أحد يحب الاستشهادْ

الخنساء: أعني الأُلى يزلزلون هذه القضبانْ

كأنهم أبنائي الشجعانْ

الشرطية: ألم يبيدوا؟

الخنساء: استشهدوا، ثم أعيدوا بعد للميدانْ

فالشهداء لا يبيدون ولو مزقت الأشلاءْ

بادوا وعادوا عودة الربيعِ

وعودة الخصب إلى التراب بعد الجدبِ والصقيعِ

الشرطية: وكيف عادوا؟

الخنساء: اخترقوا حواجز الزمان والمكانْ

ليبعثوا النخوة في الخائف والجبانْ

الشرطية: أنت إذن ومن ولدت مصدر البلاءْ

أنت وأبناؤك قد أثرتُم الدهماءْ

نشرتم الوباء في الأرض وفي الفضاءْ

وهِجّتم الفتنة في جوانح الشبانْ

الخنساء: أي وباء ذا؟

الشرطية (**بعد أن رن هاتفها الجوال**): نعم، جيهانْ

حالا، سآتي ومعي أسيرة رعناءْ

مخبولة، وتدعي بأنها الخنساءْ

الشرطية (**تخرج كبلا وتعلق إحدى حلقتيه في يد الخنساء وتجرها بالأخرى**):

امضي ورائي أسرعي

الخنساء (**وقد نزعت الكبل وقدمته إلى الشرطية**):

أمضي بلا كبل ولا تمنُّعِ

الشرطية: كيف فتحت القفلَ؟

والمفتاح جاثٍ في يدي

الخنساء: كما نفذت من جدار صرحك الممردِ

بقدرة القاهر لا بقدرة الإنسانْ

المشهد الثاني

(قاعة كبيرة تتصدرها منضدة فخمة، وراءها خمسة قضاة في زي كنسي، وعلى رؤوسهم ضفائر بيض، وعلى جانب المسرح الأيمن تقف الخنساء في قفص الاتهام تحرسها جيهان، وعلى الجانب الأيسر قفص كبير فيه شبان معتقلون)

الخنساء: من هؤلاء الخمسة الكبارْ؟

جيهان: قضاتنا الذين عنهمْ يصدر القرارْ

الخنساء: وما على رؤوسهمْ؟

جيهان: أغطية من شَعَر أبيضَ مستعارْ

الخنساء: أكلهم صُلْع وقُرْعْ؟

جيهان: لا، لا، وهل في الصَّلَعات عورة أو عارْ؟

رمزُ القضاةِ

الخنساء: بئس هذا الرمز من زور ومن خداعْ

أيدعون العدل، والزورُ على هاماتهم شعارْ؟

ومن كساهم كسوة الكهان والأحبارْ؟

أمن بني النضيرِ هم أم نسلِ قينقاعْ؟

جيهان: زي الفرنجِ

الخنساء: ويحكمْ ما أقبح المسخ والاتباعْ!!

كبير القضاة (**بعد استشارة من حوله وقرع المنضدة بمطرقة خشبية**):

باسم ظلال الأمن في دولتنا المحترمةْ

باسم القوانين التي تدين كل مجرم ومجرمةْ

باسم انسياح موجة التطبيع باسم العولمةْ

يفتتح الجلسة قاضي المحكمةْ

الخنساء: من أين جاءت هذه الأسماءْ؟

من باطل التلمود، أم من بدع نكراءْ؟

بهن قد تقضي على راشيلَ لا الخنساءْ

القاضي: فلندع الأسماء والألقابْ

أما زعمتِ أنك اقتحمت سورا، ما له أبوابْ؟

من أين جئتِ؟

هل هبطت فوقنا من كوكب المريخْ؟

الخنساء: خرجت من محرابي الوادع في التاريخْ

ذاك الذي يحيا، فلا يهرم، لا يشيخْ

كبير القضاة: من أين جئتِ؟

الخنساء: لست أدري

كبير القضاة: كيف لا تدرينْ؟

وفيم رعت شعبنا في ربعه الأمينْ؟

فجرت فيه هيجةً، لم يرها التاريخ من سنينْ

الخنساء: قد قلتها ولم أزل أقول: لست أدري

وكل ما أدريه أن ملكا قد شق عني قبري

نشرت منه قبل يوم النشرِ

بارحته هائمة أبحث عن أربعة البنينْ

وكل من حاورني أنكرني

حتى نكرت أمري

كبير القضاة: أأمسِ كان ذاكَ؟

الخنساء: لا، من دَهْرِ

بل من سنين غبرتْ، تعد بالمئينْ

كبير القضاة: ما زلت عن أربعةِ البنينَ تسألينْ

أنت إذن عن أرؤس الفتنة تبحثينْ

طوفي بها جيهان بين القوم أجمعينْ

لعلها تدلنا على رؤوس الشرِّ

جيهان (**وهي تقود الخنساء إلى القفص الكبير**): هيا انظري

الخنساء: من كلُّ هؤلاءْ؟

ما هذه الملامح العرباءْ؟

أنى تجولت أصافحُ أوجهَ الأبطالْ

خلف سجون القهر والإذلالْ

من كلِّ هؤلاءْ

جيهان: قلتُ انظري، أذاك من بنيكِ

الخنساء: يا لشمخة الجبالْ!

والعزة القعساء في سواعد الرجالْ

الخنساء (**بعد تفرس**): نعمْ وذا..

وذاك والليث الذي إزاءهُ

وكل من أبصر أو يبصرني وراءهُ

القاضي الأول:أكلهم بنوكِ؟

الخنساء: كلهمْ نعمْ

لا تلد الأشبالَ إلا لبوةٌ بين الأجمْ

القاضي الثاني: أقررت، والإقرار سيف فوق رأس المتهمْ

الخنساء: وإن تشأ فإنني أشفع قولي بالقسمْ

نعمْ، نعمْ

أربعة كانوا، وهم في عصركم ألوفْ

إذا انقضى زحف أتى من خلفه زحوفْ

موج وطبع الموج أن ينساح في صفوفْ

أن يرفض الركودَ، أن يناطحَ الشطآنْ

كبير القضاة: عودي بها جيهانْ

جيهان (**وهي تدخلها القفص الصغير**): هيا ادخلي

لا تمضغي حرفا إذا لم تُسْألي

الخنساء (**غاضبة**): تأمرني جيهانُ يا قضاةُ بالسكوتْ

ولو عشقت الصمت لم أخرج من التابوتْ

فالصمت للإنسان موت قبل أن يموتْ

كبير القضاة: رفقا بها جيهانْ

فإن أقسى ما تقاسي المرأة السكوتَ والكتمانْ

الخنساء: وإن أعدى ما يعادي الظالمُ اللسانْ

كبير القضاة: صدقتِ لكن لا يعادي الألسنَ الرزانْ

بل ألسنَ الإجرامْ

الخنساء: ما اجترم الشبابُ يا قضاةُ كي يعتقلوا؟

القاضي الأول:لم يعقلوا الألسن لم يمتثلوا

الثاني: لم يعملوها في الذي يباح فيه العملُ

الثالث: بل أعملوها في الذي يحرم النظامْ

الخنساء: وما المباحُ؟

الرابع: أن تلوك هذه الألسنةُ الطعامْ

الخنساء: وما الحرامْ؟

كبير القضاة: ولغها المشبوهُ في مستنقع الكلامْ

الخنساء: أفي الخنى والقذفِ؟

القاضي الأول: ليس القذفُ في القانون بالحرامْ

الخنساء: هل أخبروا الأعداء بالأسرارْ؟

الثاني: أعداؤنا أدرى بما نكتمُ من أسرارْ

الخنساء:هل نقدوا الزعيمَ

الثالث: لا، قد لُقِّنوا المدح وهم صغارْ

الخنساء: هل جهروا بالكفرِ؟

القاضي الرابع: لا، بل بالذي يبغضه الكفارْ

الخنساء: وما يضير إن رضوا أو أبغضوا؟

أو رفضوا وامتعضوا

كبير القضاة: الضير فيما أرجف الشبانُ فيما حرضوا

الخنساء: أأرجفوا بالكيد للسلطانْ؟

أم حرضوا الناس على الطغيانْ؟

كبير القضاة: لا ذا ولا ذا فهمُ أجبن من فئرانْ

قد أرجفوا بجارةٍ كالحملِ الوديعْ

وأرسلوا في شرقنا مباضع التقطيعْ

وناهضوا العولمة السمحة والتطبيعْ

الخنساء: من هذه الجارةُ؟

ما العولمةُ السمحةُ، ما التطبيعْ؟

أسمع ألفاظاً ولا أدرك ما تحويهِ من معانْ

كبير القضاة: جارتنا وادعةٌ، تدعو إلى السلامْ

تؤمن بالأمنِ وبالوئامْ

وتكره الخصامْ

لكنها مذ جاورتنا تشهرُ الحسامْ

الخنساء: ما هذه الوداعة المشحوذة النصالْ؟

في جارة تنزعُ للصيالْ

وأي سلم سلمُ من يتخذُ الأُهْبة للقتالْ؟

أما اعتدتْ يوما على النساءِ والأطفالْ؟

كبير القضاة: عن غير قصدٍ

حصدتْ بضعة آلافٍ من الأرواحْ

الخنساء: في الدور والحقول أم في ساحةِ الكفاحْ؟

كبير القضاة: في دير ياسين وقانا

الخنساء: قل: وفي بحرِ البقرْ

حسبك قد عرفتها

تلك التي تقتات من لحمِ البشرْ

ولا تحسّ الأمنَ إلا حين تنشرُ الخطرْ

قد حدَّث التاريخ عن تاريخها المقرونِ بالأرزاءْ

حدَّثَ عن فطيرها المعجونِ بالدماءْ

عن شعرها المخضوب بالنجيعِ لا الحنَّاءْ

ليس لجارة تروم الجور من جوارْ

فبرِّئوا بنيَّ كي يأخذوا بالثارْ

ويغسلوا أوضار هذا العارْ

الشبان (**من وراء القضبان بصوت واحد**):

يا أمَّنا الخنساءُ ياسيدة النساءْ

بدمنا التواق للفداءْ

سنغسل الأوضارْ

وندرك الثأر ونمحو العارْ

كبير القضاة (**وهو يضرب بالمطرقة**):

لا تزعجوا القضاة بالضوضاءْ

والهتفِ باسم هذه المخبولةِ الحمقاءْ

بلِ اهتفوا للسلمِ للتطبيعِ للعولمةِ السمحاءْ

الخنساء: عدت إلى الهراءْ

واللغو بالتطبيع والعولمةِ السمحاءْ

ما القصد بالعولمة السمحاء والتطبيع؟

كبير القضاة: القصد أن نذوِّبَ الأبعاضَ في الجميع

أن نمحو الفروقْ

أن نمزج الأديان والألسن والعروقْ

في عالم يقر فيه الجار للجيران بالحقوقْ

الخنساء: أيُرْجع الغاصب كل ما اغتصبْ؟

وتخلص الأرض من المحيط للخليج أرضا للعربْ

ويطرد المحتل مما احتله أو استلبْ

كبير القضاة: قاطرة التطبيع لا تمشي إلى الوراءْ

ترنو إلى الموجود لا المفقود في القضاءْ

وتجعل الحاضر أولى زمن نحياه بالبقاءْ

وتدفن الغابر في مقابر الفناءْ

لتدخل الشعوبَ في الفردوس، أي في العولمةْ

الخنساء: أقبح بتطبيع يروم القهر والتركيعْ!!

يسوقنا وراء جزارٍ، كأن شعبنا قطيعٌ

ويسحب الشرقَ وراء الغربِ كالتبيعْ

ليبلع البلاد والتلاد، بئس البلعمةْ

وبئس ما تكيد للأمة هذي المحكمةْ

القاضي الأول: إن الذي قد قلته يدين ألف متهمْ

القاضي الثاني: بلا شهودٍ أو دليلٍ أو قسمْ

القاضي الثالث: فليصدر الحُكْمَ الحَكَمْ

(والشبان يهتفون من القفص بصوت واحد بينما كبير القضاة يشاور زملاءه):

علام هذا الهمس والتشاورُ؟

والحكم أيا كان حكم جائرُ

وهو عن التطبيعِ لا التشريعِ من قبل الصدور صادرُ

كبير القضاة (**وهو يضرب بالمطرقة**): باسم ظلال الأمن والتطبيعِ باسم العولمةْ

وبعد إقرار صريح من فم المتهمةْ

نحكم بالموت على الخنساءْ

والسجنِ والشُّغلِ على الأبناءْ

الشبان (**بصوت واحد**): يا أمَّنا الخنساءُ يا سيدةَ النساءْ

قَتْلُكِ لن يقتلَ ما أحييتِ من إباءْ

بل يبعثُ النخوة في أحفادك الأحياءْ

في جيلنا السجينْ

في شعبنا الرافض للتهجين والتدجينْ

(تنطفئ الأنوار ثم تعود فإذا قفص الخنساء فارغ)

الشباب (**يصرخون بصوت واحد**): عادت إلى السماءْ

عادت إلى محرابها الوضاءْ

فليحكموا ما يحكمون، حكمهم هباءْ

عادت إلى السماءْ!

(في أثناء الإنشاد تسدل الأستار ببطء وتنتهي المسرحية).

«ستار»

ما لم يكتبه الجاحظ

بقلم: سمير عطية – فلسطين

المشهد الأول

صوت:

يا أم عمرو جزاك الله مغفرة	ردي عليّ فؤادي مثلما كانا
إنَّ العيونَ التي في طرفها حورٌ	قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

عماد: ما بال هذا الرجل يا أبا الحكايات!!

أبو الحكايات: هذا معلم اتهمه الجاحظ بالحمق حين عشق « أمَّ عمرو »؟

عماد: ولم اتهمه بذلك؟

أبو الحكايات: كتب الجاحظ عنه في كتابه أخبار الحمقى والمغفلين، حيث صاحَبه لفترة من الزمن يوم كان يراه في الكتاب مدرسا وواعظا فأعجب بعلمه وحرصه على التدريس ، وفي يوم من الأيام افتقده ووجد مكانه مغلقا وسأل عنه، فقيل له: إن قريبا له قد توفاه الله...

فذهب الجاحظ يسأل عن البيت حتى وصل إليه، وفي القلب كمدٌ عليه، فطرق الباب بحزن ويكاد أن يبكيه الشجن!!

ولما فتح المعلم الباب، ووجد الجاحظ قد جاء من الكَتَّاب، أدخله إلى منزله، وجلس دون أن يحكي عن مسألته.

عماد: وماذا دار من حديث بعد الصمت ؟

أبو الحكايات: سأله الجاحظ عن الذي مات من الأحبة، فجعله يلزم بيته، ولما عرف أن المتوفَّى هي امرأة أحبها المعلم استغرب وسأله، كيف؟

قال المعلم: إنه كان في ذات يوم يُدرس الطلاب في الكَتاب، فسمع صوتا يقول:

يا أم عمرو جزاك الله مغفرة ... رُدي إليّ عقلي مثلما كانا

إن العيون التي في طرفها حورٌ ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله أركانا

فقال للجاحظ: حين سمعت هذا الوصف، عرفت أن هذه امرأة ليس لها مثيل في الجمال، وأن الشاعر الذي قال فيها ذلك عجز عن الإحاطة بسحرها، وبيان وصفها.. فعشقتها وتيمت بها، وصارت هاجسي في الليل والنهار!

عماد: لله در هذا القلب ما أرقه!!

أبو الحكايات (**متابعا**): ومع استمرار الحكاية من المعلم وضع الجاحظ يديه على كفي المعلم، وأسند مرفقيه على ركبتيه، وعيناه تتابعان دموع المعلم المنهمرة!

وكان المعلم يتابع حديثه لضيفه الصامت: وفي يوم من الأيام، وبينما أنا على حالتي من الهيام، أحكي للطلاب عن العلم، وفي قلبي من العشق سهام وسهام، سمعت المنادي ذاته يقول:

لقد ذهب الحمار بأمِّ عمروٍ ... فلا رجعتْ ولا رجعَ الحمارُ

فعرفت أن محبوبتي قد رحلت، وأن أجلها قد انتهى، ففجعت ومرضت، وتكدر خاطري وجزعت...

عماد: للّه درك يا أبا الحكايات! فما كان جواب الجاحظ على هذا الأحمق؟!!

أبو الحكايات: أحسنت يا عماد، لقد قال له الجاحظ بكل أسى: إنه قد وجد فيه علما وأدبا كاد أن يثنيه عن الاستماع إلى نوادر المعلمين وتسجيلها للمستأنسين، غير أنه قال: لقد عزمت أن أكتب الآن عن أخبار الحمقى من المعلمين وسأبدأ بك يا هذا!!

عماد: ما أطرف ما قصصت علينا اليوم يا أبا الحكايات، فوالله إن هذا لرجل أحمق يستحق ما خلده فيه الجاحظ من القول والتندر..

ولكن ما حكاية ذلك الرجل الذي ينادي في الأسواق:

يا أم عمرو جزاك الله مغفرة ردي إلي عقلي مثلما كانا

إنَّ العقول التي في طرفها سَفهٌ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

أبو الحكايات: أما هذا فقصته لم يكتبها الجاحظ في أخبار الحمقى والمغفلين، ولو أدرك زماننا هذا لاحتار أن يضعها في كتاب الحمقى أم في مؤلَّفه عن البخلاء!!

أبو العلاء: أحقا ما تقول يا أبا الحكايات؟! إنَّها تستحق أن تُسمع في نادي القوم، حين يجتمع الناس.

عماد: بل قل: إن ذلك يستحق أن يصل خبره إلى كاتب إنشاء أمير المؤمنين ليتلوها في مجلسه..

أبو الحكايات: وهذا ما طلبني من أجله الخليفة في مجلس سمره الليلة.

المشهد الثاني

(مجلس الخليفة – بعد صلاة العشاء)

الخليفة: هات أسمعنا ما وراءك يا أبا الحكايات،فإنه قد بلغنا أن لديك من النوادر ما لم يكتبه الجاحظ في نوادره، ولا تفتقت عنه عقول بخلائه..

أبو الحكايات: نعم أيها الخليفة!.. أمر مولاي!

الخليفة: إذن أسمعنا!

أصوات في المجلس: هات أسمعنا، أسمعنا...

أبو الحكايات: تعلمون أنَّ اللُّصوص موجودون في كل زمان ومكان، يكثرون في وقت المحن، ويقلون حين استتباب الأمن.

ونحن في هذه البلاد – أدام الله علينا خليفة العباد - ننعم بالطمأنينة، وتغمرنا السكينة، مما جعل اللصوص يفكرون بحيلة تنقذهم مما هم فيه من حال وبيلة!!

صاحب الشرطة باهتمام وسعادة : ها، وماذا صنعوا؟!

أبو الحكايات (**متابعا ومبتسما لصاحب الشرطة**): تقول الأخبار التي تناقلها عدد من المسافرين عبر الفيافي والأمصار: إنَّ مجموعة من قطاع الطرق قد تركوا سكنهم بين القفار والجبال، واشتغلوا على الناس بالاحتيال.

ولما لم يجدوا لهم على الناس سبيلا، وجدوا في بعض الأماني الخلابة دليلا، فساقهم حظهم إلى بعض الأثرياء من الحمقى، أو قل الحمقى من الأثرياء، ورأوا أنهم قد حازوا الذهب دون كلل أو نصب، فزاد طمعهم وجلَّ جشعهم، فتفتقت لديهم الأفكار عن بيع الشموس والأقمار.

الخليفة: ماذا؟؟؟

أبو الحكايات: لقد قلت لك يا سيدي: إن هذه الحكاية لم يسطرها الجاحظ في نوادره ولا المتنبي في أشعاره، ولا مرَّ ذكرها في قصص ابن المقفع، ولا سُئل فيها عالمٌ من العلماء عن المحتالين والبلهاء!!

الحاضرون: أكمل بالله عليك..

(كاتب الإنشاء يترقب وريشته في يده، والحاضرون من شدة اهتمامهم، علا صوتهم في مجلس الخليفة قائلين:)

أكمل... أكمل بالله عليك.

أبو الحكايات: لما وصل المحتالون إلى قصر أحد الأغنياء، أقنعوه أن يشتري المجد بالدراهم والدنانير، كي يخلد اسمه مع المشاهير، وأن يبتاع أرضا على القمر، فيصير له من قصائد الشعراء نصيب، ويكون له حجة على الناس حين ينتظرون الهلال، أو يرقبون طلوع الدجال.

الخليفة: تالله ما مر هذا بخاطر الدجال نفسه، ولا سمعنا في الأثر أنه سيبيع القمر!!

أبو الحكايات: ولما وجدوا طمعا من هذا الغني وصارت الدنانير في أياديهم، احتالوا بعد ذلك حين أذاعوا الخبر بين أمثاله من الحمقى أصحاب الأموال، فتسابقوا إليهم في الحال.

وصار القمر الآن مقسما بينهم، وكل يجلس في المساء بين الفاكهة والنساء على أصوات الغناء ، يتغنى بما لديه من أرض على ذاك القمر!!

فصار النهار عندهم تفاخرا بما لديهم وما غاب عن غيرهم، يظنون كل قصيدة في القمر تعنيهم، وأنها لهم، وأما المحتالون فواصلوا أسفارهم بعد أن باعوا القمر بالدجل ليبيعوا هذه الأيام أرض زُحلّ!!

(الحضور يضحكون والخليفة يقهقه ويقول مخاطبا كاتب الإنشاء):

الخليفة: اكتب هذه القصة عن أبي الحكايات في كتاب جديد تحت عنوان:

(ما لم يكتبه الجاحظ عن أخبار الحمقى والمغفلين)!!.

«ستار»

أبو حنيفة النعمان والكيّال

بقلم: **أحمد أبو شاور – الأردن**

المشهد الأول

(حجرة بمنزل أبي حنيفة النعمان، وبها أبو حنيفة وبين يديه أبو يوسف يعقوب ابن إبراهيم ومحمد بن الحسن، يتلقيان عنه العلم على ضوء مصباح).

محمد: قد اختلفت يا أبا حنيفة وأخي يعقوب في مسألة شرعية، ولولا تلك المسألة لما جئنا إليك في هذا الوقت من الليل، فلتعذرنا يرحمك الله!

أبو حنيفة: ما كان لي أن أرفض عذر شابين نشآ في طاعة الله، والسعي في طلب العلم.. قد قبلت عذركما.. فما المسألة؟

يعقوب: سترة المصلي!

أبو حنيفة: حباً وكرامة، أقول بعد بسم الله والصلاة على رسوله الأمين: إن سترة المصلي واجبة، كي لا يقطع الشيطان على المصلي عمله..

محمد: فما مقدار تلك السترة؟

أبو حنيفة: إما أن تكون السترة جداراً، أو أسطوانة، أو حجراً كبيراً، أو رحلاً أو عصاً مغروزة ترتفع بمقدار مؤخرة الرحل.

(محمد ويعقوب يدونان قول أبي حنيفة)

أبو حنيفة (**مستطرداً**): والدليل على ذلك ما رواه سهل بن أبي حثمة عن النبي ﷺ بقوله: «إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة وليدنُ منها، لا يقطع الشيطان عليه صلاته»[1].

(١) صحيح سنن النسائي٧٢٢، وفي مستدرك الحاكم١/٢٥١ بهذا اللفظ.

يعقوب: فما حرمة المرور بين يدي المصلي؟

أبو حنيفة: لاشك في أنه آثم إثما كبيراً، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه، لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه»[(١)].

محمد: فما حكم من مر من وراء السترة؟

أبو حنيفة: لا إثم عليه. والدليل على هذا قول النبي ﷺ: «إذا وضع أحدكم بين يديه مثل مؤخرة الرحل، فليصلِّ ولا يبال بمن مر وراء ذلك[(٢)].

يعقوب: ماذا لو مر أحدهم بين المصلي وسترته؟ أيدفعه؟ أم يتركه وشأنه؟

أبو حنيفة: بل يدرؤه يا يعقوب، يدرؤه ما استطاع، والدليل على هذا قول النبي ﷺ: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدا يمر بين يديه وليدرأه عنه ما استطاع، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان»[(٣)].

محمد: فما حكم من يمر من أمام الصفوف في صلاة الجماعة؟

أبو حنيفة: لا إثم عليه يا محمد، لأن الإمام سترة للمأمومين والدليل عليه في قول ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: «أقبلت راكبا على أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلي بالناس بمنى فمررت بين يدي الصف، فنزلت، فأرسلت الأتان ترتع ودخلت إلى الصف، فلم ينكر ذلك علي أحد»[(٤)].

(يقتحم أسماعهم في هذه الأثناء صوت عال مجلجل)

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

(محمد ويعقوب يتبادلان نظرات الدهشة والاستغراب لما سمعا)

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح مختصر الإمام مسلم، ٣٣٩.

(٣) صحيح مختصر الإمام مسلم٣٣٨، و٥٠٥/٣٦٢/١

(٤) متفق عليه.

يعقوب (**مستوضحا بدهشة**): أهو ابنك يا أبا حنيفة؟

أبو حنيفة: بل جاري يا يعقوب!

محمد: أهو مجنون؟

أبو حنيفة: بل مسكين، يتصرف كالمجنون في بعض الليالي.

(**يرتفع الصوت ثانية**):

مدامي ما تبقى من خماري بأطراف القنا والخيل تجري

يعقوب: يخيل إلي أنه ثمل..

أبو حنيفة: لم أشهد عليه شيئا من هذا..

محمد: أله صنعة يكسب منها قوته؟

أبو حنيفة: أجل! إنه كيال، يكيل الحبوب بالصاع لدى بعض تجار بغداد..

يعقوب: ألا تسمعان ما أسمع؟! إنه يبكي وينتحب..

أبو حنيفة: بلى، وتلك عادته في معظم الليالي..

محمد: أوتسكت عنه يا أبا حنيفة؟

أبو حنيفة: قد وعظته مرارا فلم يتعظ..

يعقوب: لو كنت مكانك ما سكت عنه..

أبو حنيفة: لو كنت مكاني لوجب عليك أن تسكت عنه، وتتجاوز عن فعلته، حفظاً لحق من حقوق الجوار..

محمد: أو يسكت عالم مثلك عن أهوج يسلب النوم من عينيه بصراخه وعويله؟!

أبو حنيفة: أجل يا محمد.. أين هذا المسكين مما كان يفعله اليهودي بالنبي محمد ﷺ..
أين صراخه من تلك الأشواك والقاذورات التي كان يضعها اليهودي في طريق النبي ﷺ؟!

يعقوب: لكن جارك يا أبا حنيفة لم يتعظ، ولم يبق أمامك من سبيل إلا أن تشكوه إلى النائب..

محمد: ما أظن النائب بالذي يرد لك طلباً..

أبو حنيفة: أو تريدني أن أطرق باب النائب يا محمد؟ **(يصمت هنيهة ثم يستطرد بعد تنهيدة عميقة)** ما طرقت باب النائب لخير نفسي يا محمد..فكيف أطرقه لشر غيري...لا والذي رفع السماء وبسط الأرض ما أشكوه لأحد غير الله..

(محمد ويعقوب يتبادلان النظرات، ثم يتهيآن للخروج)

أبو حنيفة: هل دونتما عني حكم مسألة السترة؟

محمد ويعقوب معاً: أجل، ونسأل الله لك العفو والعافية.. وحسن الثواب..

أبو حنيفة: الفضل والمنة لله..

محمد: نستودعك الله يا أبا حنيفة فقد نفعتنا بعلمك

أبو حنيفة: أستودعكما الله.. **(يخرج محمد ويعقوب ويودعهما أبو حنيفة عند الباب.. فيما ينفجر صوت الكيال ثانية):**

الصوت:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

المشهد الثاني

(يعقوب ومحمد في طريقهما إلى ذويهما)

يعقوب: ما رأيت في حياتي من يتسامح مع جاره المسيء كتسامح أبي حنيفة مع جاره!

محمد: إنها أخلاق العلماء الربانيين يا أخي..

يعقوب: أجل يا محمد.. لقد تأدب هؤلاء بآداب الرسول الكريم ﷺ، واتبعوا سنته في كل صغيرة وكبيرة..

محمد: الحمد لله الذي جمعنا بأبي حنيفة.. لن أترك مجلسه ما حييت..

يعقوب: ما رأيت أو سمعت ببغداد من هو أعلم منه..

محمد: إنه عالم فذ، ما يصدر حكما إلا ويسوق الدليل الشرعي عليه..

يعقوب: بل ويسوق سند الحديث..

محمد: ليته تسلم القضاء في بغداد..

يعقوب: إياك.. ثم إياك أن تقول هذا في مجلسه، فإنه سيغضب منك.

محمد: لكنه أكفأ العلماء لهذا المنصب.

يعقوب: هو يعرف تلك الحقيقة بنفسه، لكنه يرفض القضاء كي لا يكون كأحد من القاضيين الذين تحدث عنهما الرسول الكريم ﷺ بقوله(٦): «قاض في الجنة وقاضيان في النار».

محمد: ليتني أزهد في الدنيا كزهده..

المشهد الثالث

(منزل أبي حنيفة النعمان، وفيه أبو حنيفة يدون بعض المسائل الشرعية على ضوء مصباح.. يتنصت بين الحين والآخر، فلا يسمع صوت جاره الكيال، فتتملكه الدهشة والاستغراب، فيقول في نفسه بصوت مسموع)

أبو حنيفة: لعله مريض.. أو أنهكه التعب فبات عند أحد التجار.. لكنه لم يفعل هذا من قبل.. ولم أسمع صوته منذ ليلتين..

(ينهض أبو حنيفة من مكانه، وتبدو عليه ملامح الحيرة والقلق على جاره الكيال، ثم لا يلبث أن ينادي بصوته على ولده): حماد، حماد.

حماد: (**يخرج إليه قائلا**): السمع والطاعة يا أبي..

أبو حنيفة: ما خبر جارنا يا ولدي؟ لم أسمع صوته منذ مدة!

حماد: بلغني أن رجال النائب اقتحموا عليه بيته، واقتادوه إلى نائبهم..

أبو حنيفة: أحقا ما تقول يا ولدي؟

حماد: أجل يا أبتي. وقد بلغني عن ولده أنه زجه في السجن.

أبو حنيفة: لا حول ولا قوة إلا بالله..

المشهد الرابع

(نيابة بغداد، ويظهر النائب وهو ينهض عن كرسيه مستقبلا أبا حنيفة):

النائب: يامرحباً.. يامرحباً بأبي حنيفة النعمان..

أبو حنيفة: شكر الله لك! **(يتعانقان)**

النائب: تفضل واجلس مكاني هنا يا أبا حنيفة..

أبو حنيفة: ما جئت لأجلس مكانك أيها الأمير..

النائب: قد جئت إذن لأمر عظيم..أعتقد أنه سيثلج صدر الخليفة المنصور..

أبو حنيفة: لا شأن للمنصور فيما جئت من أجله..أدام الله عزه، ومجده!

النائب: اعذرني يا أبا حنيفة، فقد ذهب بي الظن إلى أنك قد جئت لتستلم القضاء..

أبو حنيفة: ما جئت لهذا أيها الأمير.. بل جئت لأخبرك أن رجالك قد اقتادوا جاري، وأودعوه في سجنك.

النائب: متى حدث هذا؟

أبو حنيفة: قبل ليلتين أو ثلاث ليال.

النائب: أيها الحاجب. أخرج جار أبي حنيفة، وكل من أخذ معه في تلك الليلة.. إكراماً لأبي حنيفة..

أبو حنيفة: جزى الله الأمير خيراً..

النائب: يا أبا حنيفة، إني والله لأجلُّك لعلمك الغزير، ولمكانتك بين العلماء الربانيين،

وإني والله لأخشى عليك أن تزج في السجن، أو تضرب بالسوط إن لم تغير رأيك، وتستلم القضاء..

أبو حنيفة: السجن والضرب بالسوط أهون علي من أن أقف بين يدي الله ظالما لأحد من عباده..

(يقبل الحاجب والكيال، وما إن يرى الكيال أبا حنيفة حتى يقبل عليه مسرعا، فيعانقه ويهم بتقبيل يديه، لكن أبا حنيفة يسحبهما من بين يديه).

أبو حنيفة: هل أضعناك يا فتى؟!

الكيال: لا والله. بل بررت وأحسنت، وأيم الله لا أعود بعد اليوم لعاداتي الذميمة.

«ستار»

لن تقوم حرب البسوس

بقلم: د. جميل حمداوي – المغرب

(تدخل الخنساء مذعورة خيمة هابيل...)

الخنساء: هابيل، ياهابيل! قم من نومك لأخبرك بما وقع اليوم!

هابيل: دعيني أنم يا أختي، اليوم نوم وغدا أمر!

الخنساء: استيقظ ياهابيل!استيقظ بالله عليك! الوقت ضحى، ونار الشمس تتوهج حرقة واشتعالا.

هابيل: ها أنا ذا ناهض. ماذا وقع في الخارج لكي توقظيني في هذا الوقت المبكر؟

الخنساء: لقد اشتعلت حرب البسوس.

هابيل: ومن الذي أشعلها؟

الخنساء: صديقك قابيل الذي قتل أخانا الأصغر صخرا وجعلني أبكيه ليلا ونهارا.

هابيل: وما الداعي إلى هذه الحرب التي يريد أن يضرمها صديقي قابيل؟

الخنساء: زعموا أنك قتلت ناقة خالته البسوس قرب المرعى، هكذا يقول معظم أطفال قبيلة بكر وحتى كبارها، لذلك سيأتي قابيل ليأخذ ثأره منك.

هابيل: وما شأني أنا بالأمر؟

الخنساء: قابيل يتهمك بأنك المسؤول عن هذا القتل. أنت الذي صوبت إليها سهمك. ويقول: إن لديه شهودا كثرا على ذلك.

هابيل: أنا! أنا! ماهذا الافتراء والادعاء الباطل؟

الخنساء: انظر ياهابيل، إن قابيل قادم على فرسه، وهو يحمل سيفا ربما يريد به رقبتك على غرار أخينا الوحيد صخر.

قابيل: اخرج ياهابيل من خيمتك، اخرج لتبارزني بسيفك المثلم إن كنت فارسا شجاعا أو عنترة هذا الزمان؟!

هابيل: وما الأمر بيننا لكي أخرج إليك؟

قابيل: أنت الذي قتلت ناقة خالتي البسوس.

هابيل: هذا مستحيل يا صديقي! أنا لم أر ناقة ولا غزالة. كنت شهرا كاملا أطوف حول الكعبة، أتقرب إلى الله. اسأل صديقك إبراهيم وصديقك إسماعيل. إنهما أكثر الأطفال صدقا وأمانة وخوفا من الخالق الأحد.

قابيل: لقد أشعلت قلبي أيها اللعين غيرة وحقدا عندما أعطاك الله رزقا وفيرا وتقبل منك قربانك. وأنا الفارس المغوار لم يتقبل ربك مني قرباني. وليس لدي أنا قابيل ابن آدم فارس الجزيرة الهمام ما لديك من غنائم ومأكل ومشرب وزيت أركان(١) وأشجار النخيل والزيتون.

هابيل: هذه نعم يمنحها الله لعباده المخلصين، فهو الذي يقسم الأرزاق حسب مشيئته.

قابيل: إنها قسمة ضيزى، لن أرضى بها عدلا!! فكيف أقبل أنا بالذل والفقر وجدب الصحراء، وأنت تنعم بالثراء والغنى وحرير الهند والصين؟

هابيل: هذا جزاء من الله لأهل السلام والمحبة وأطفال البراءة.

قابيل: إنني سأعلن عليك حربا ستدوم أربعين سنة، سمها ما شئت: سمها حرب البسوس، أو حرب طروادة، أو حرب داحس والغبراء، أو حرب مائة سنة، أو حرب الشمال والجنوب، أو حرب الخليج، أو حرب الحسد والغيرة والطمع!!! المهم هو أن أنتقم منك يا هابيل.. أيها العدو اللدود، وأرميك في الفلاة كالبعير الأجرب لتأكلك الصقور والغربان.

هابيل: أما أنا، فلن أقاتلك ياقابيل، وأنا بريء من دمك ودم ناقة خالتك البسوس، وأنت تعلم جيدا أن لاناقة لي ولاجمل في مسابقة داحس والغبراء. وأنا لن أخوض الحرب

(١) شجرة أركان تنبت بكثرة في منطقة أغادير بالمغرب تعطي زيتاً لذيذاً يستعمل في الطعام.

ضدك يا صديقي قابيل مهما اعتديت علي وحاولت قتلي. إني أحبك كثيرا؛ لأننا إخوة من نفس واحدة ومن نفس شجرة النسب.

قابيل: أبعد عني طيبتك الماكرة، وخنوعك الساذج. فأنت أشبه بنار تحت تبن البيدر. تحرق إخوتك أيها اللعين بضرام كيدك وسماحة قلبك. اكشف قناعك... اكشف قناعك. وقل للأطفال الصغار: إنك تمثل دور الخير والطفل البريء. كن مثل بريخت واكشف بكل جرأة أوراق مسرحيتك الزائفة لجمهورك الصغار.

هابيل: قل ما تشاء ياقابيل. إنني لن أخوض معك حربا حامية الوطيس تأتي نارها على الأخضر واليابس. وستهلك الأطفال وفلذات الأكباد وتحرم الأمهات من أولادهن الرضع وأطفالهن الأبرياء. يكفيهن ما يحصده بحر الأبيض والأسود... و بحر الظلمات غرقا من رقاب هؤلاء الصغار. واسأل الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى عن الحرب الضروس وويلاتها!!

قابيل: أنا أكره الأطفال، ولايهمني هؤلاء الأشقياء وما سيقولون عني. المهم هو أن الحرب ستحصد روحك وأرواحهم وستشرب دماءهم. ولا يهمني إن وصفوني بنيرون أو هولاكو أو الحجاج أو هتلر أو فرانكو أو شارون أو بوش. المهم هو أن أتلذذ بالموت وزهق أرواح الصغار.

هابيل: ألم نجرب ياقابيل، يا صديقي، لمدة أربعين سنة حروبا أشعلناها لأتفه الأسباب؟ ألم نلعب لعبة القط والفأر، وميكي ماوس في ساحة ديزني؟ أشعلنا حروبا ياقابيل على الحدود وزيت الزيتون وعلى أشبار من الأرض القاحلة الجدباء، وتناحرنا على أطماع واهية لاقيمة لها.

قابيل: إنها حروب وجيهة وعادلة، لاضرر ولاضرار، تعيد لنا الشرف والمجد.

هابيل: أي مجد وشرف تتحدث عنه يا قابيل: كم من أيام خضناها؟! كانت يوماً علي ويوماً عليك. وقد لاحظت ما أنتجت هذه الحروب مٍن جرحى ومعطوبين وقتلى، وأرامل ويتامى!

قابيل: هذه سنة الحياة، ألم يقل فيلسوفكم هيجل وشقيقه ماركس: إن الحياة صراع جدلي: سيد وعبد؟

هابيل: إن الإسلام لايدعو إلى الحرب والخراب ولا إلى الإرهاب، الإسلام دين مدنية وعمران وسلام وتعايش يا قابيل.

هابيل: (**يلتفت إلى صالح الرجل الحكيم والطاعن في السن**): لماذا لاتتكلم ياصالح؟ لماذا لاتتكلم ياصالح؟ أمضيت وقتا طويلا وأنت صامت ياحكيم الزمان؟ ما رأيك فيما يدعوني إليه صديقي قابيل؟

صالح: أرجوكما أن تكفا عن هذه الحروب الطفولية البهلوانية. كنتما في الماضي بحربيكما تثيران ضحك جاركم الأيمن الطفل قيصر وجاركم الأيسر الطفل كسرى. أما اليوم، فتسخر منكم فتاة جيرانكم الحسناء اللعوب المعروفة بذكائها الحاد إنها إسراميكا ISRAMICA. وقيل: إنها قدمت من الغرب واستوطنت خيمة أهل الجزيرة. وتريد لكما دائما أن تلعبا لعبة السيف والنار، وفي بعض الأحيان يعجبها عندما تلعبان لعبة القط والفأر.

قابيل: من هي إسراميكا؟

صالح: هي فتاة شقراء من عمركم الطفولي، قتلت طفلا يسكن بخيام عشيرة دجلة والفرات يسمى امرأ القيس، وسرقت منه فرسه وسيفه في باريس، وتركته وحيدا يندب حظه بين اللهو والمجون.

هابيل: إلى ماذا تلمح يا صالح؟

صالح: أرجو منكما أن تتعقلا و تعودا إلى رشدكما، وأن تتركا هذه الحروب الدونكيشوتية. ألم تعلما أن لكما أعداء يتربصون بكما مثل كوهين ودانييل وجورج وفريدمان؟ يريدون لكما أن تتبارزا حتى يقتل الأخ منكم أخاه، والمثل يقول كما تعلمان جيدا: أكلت يوم أكل الثور الأبيض!!

قابيل: وماذا تريد منا؟

صالح: (**يضحك بصوت كالبكاء**): ماذا أريد منكما؟ (**يقول بسخرية ناصحة**): يقولان: ماذا أريد منهما؟

هابيل: لماذا تضحك ياشيخنا صالح؟

صالح: أريد منكما أن تغيرا لعبة الحرب بلعبة السلم، وأن تبتعدا عن قاموس الرعب والأطماع، وتستبدلا به كتاب الفضيلة والقناعة، وسفر القوة في باب الوحدة.

قابيل: أي وحدة تقصد؟

صالح: لماذا لاتتحدان مع أطفال القبائل وخيام الجزيرة وعشيرة البيداء ضد الجهل والفقر والحرب والإقصاء والتغريب والإرهاب؟!

هابيل: وكيف ذلك؟

صالح: عليكما بالحب والشعر!

قابيل: بالحب والشعر. كيف! كيف! كيف ذلك؟!

صالح: الحب يا أطفال يعلمنا الأخوة ووحدة المشاعر وصدق الإحساس ونقاء الضمير واحترام الإنسان ونبذ العنف. أما الشعر فهو إكسير الحياة يردنا دائما إلى أحلام الطفولة وعشق الطبيعة وشمس الصباح.

هابيل: مارأيك أن نتصالح ياقابيل لتتصافى قلوبنا من الغل والحقد؟

قابيل: رأيي هو رأيك، اعطني يدك ياهابيل، واعطني يدك ياصالح! ولنقل جميعا بصوت واحد:

الكل بصوت واحد: فلنتحد كلنا من أجل الحب والسلام، نعم لغصن الزيتون، وحمام الغاب، وأطفال الحياة، وبراعم الفجر. لا! وألف لا.. للدمار والخراب والإرهاب، وحروف النفي والجزم والقلب، ولغة الإبدال والإعلال!!!

«ستار»

مصعب بن عمير

بقلم: د. حمادة إبراهيم – مصر

(مصعب بن عمير، فتى قريش المدلّل، كما كانوا يلقبونه. كان أكثر فتيان مكة جاهاً ومالاً. وأكثرهم استمتاعاً بالحياة. ومن ثم لم يخف عليه الدين الجديد الذي جاء به محمد بن عبد الله، وتسربت أخباره في شعاب مكة. وسرعان ما أدرك الفتى من أول لقاء مع رسول الله ﷺ أنه من الموعودين بالهداية. وكانت فرحته غامرة، طار لها قلبه.

لكن الذي كان يقلق الفتى وينغص عليه سعادته، لم يكن صناديد قريش ولا أشرافها، بل أمّ مصعب «خناس بنت مالك. أغنى أغنياء مكة، هي وحدها التي يخافها ويخشى غضبها.

لذلك فحينما شاهد عثمان بن طلحة مصعب بن عمير يتردد في استخفاء على دار الأرقم، حيث يلقى رسول الله ﷺ ويتلو القرآن مع أصحاب الدين الجديد، أسرع الرجل إلى أم مصعب).

المشهد الأول

(عثمان بن طلحة – خناس أم مصعب).

أم مصعب: خسئت يا بن طلحة! ماذا تقول أيها الأحمق؟

عثمان بن طلحة: أهذا جزائي يا أم مصعب؟ أقسم لك بالآلهة...

أم مصعب: فلتلعنك الآلهة إذاً، إياك أن تكرر هذا القول.

عثمان بن طلحة: واللات والعزى، لقد رأيت ابنك مصعباً أكثر من مرة يدخل دار الأرقم ويخرج منها.

أم مصعب: قل إنه شُبّه عليك، أو إنك كنت مخموراً.

عثمان بن طلحة: واللّه ما شِبّه عليّ، وما كنت مخموراً.

أم مصعب: أنا، خُناس بنت مالك بنت أشرف أشراف مكة. وأنا من أنا في قريش، يدخل ابني في دين محمد ويترك دين آبائه؟!

عثمان بن طلحة: سيدتي، واللّه إني لأعرف قدرك في قريش ومكانك في مكة. ولكنني رأيت مصعباً قبل ساعة يدخل دار الأرقم. رأيته بعيني رأسي وأنا في تمام وعيي ورشدي. وبسبب حبي لك وإجلالي، جئت إليك لكي تتداركي الأمر قبل أن يستفحل.

أم مصعب: وإذا كنت كاذباً يا بن طلحة؟

عثمان بن طلحة: فلتفعل بي سيدتي ما شاءت.

أم مصعب: لأمثلن بك يا بن طلحة، ولأجعلنك عبرة.

عثمان بن طلحة: رضيت بحكم مولاتي.

أم مصعب: إذاً، إن كان دخل دار الأرقم قبل ساعة كما تزعم، فإنه يكون هناك الآن؟

عثمان بن طلحة: نعم يا سيدتي، فهم إذا دخلوا الدار مكثوا فيها الساعات الطوال.

أم مصعب: اسمع يا بن طلحة. تذهب من فورك إلى أخواله وراء الوادي.. ولكن انتظر.. بل انصرف أنت الآن ودعني أدبر أمري فى هدوء.

المشهد الثاني

(مصعب بن عمير – أم مصعب – الخادم عثمان – في جوف الليل)

(مصعب بن عمير يدخل وفي يده بعض الأوراق. يفاجأ مصعب بوجود أمه في هذا الوقت المتأخر).

مصعب: أماه؟ عمت مساءً يا أماه!

الأم: لم تكن تتوقع.

مصعب: هذا صحيح. ولعل السبب يكون خيرا.

الأم: ومن أين يأتينا الخير، بعد أن تركت دينك ودين آبائك.

مصعب: ماذا تقولين يا أماه؟

الأم: ما سمعت يا مصعب. أين كنت حتى هذه الساعة؟

مصعب: كنت في الخارج يا أماه.

الأم: أعلم أنك كنت في الخارج. كنت في دار الأرقم، أليس كذلك؟

مصعب: أماه!

الأم: لقد علمت كل شيء. علمت أنك هجرت ديننا، دخلت في دين محمد وصحبه.

مصعب: من أخبرك بهذا يا أماه!؟

الأم: مكة كلها تتحدث أنك صبأت، وأنا آخر من يعلم.

مصعب: كنت سأخبرك بكل شيء يا أماه. لأنني ما كنت لأمنع عنك هذا الخير الذي منّ الله به عليّ إذ هداني للإسلام.

الأم: أي خير وأي إسلام أيها الولد العاق؟

مصعب: أنا ما عصيت لك أمراً قط يا أماه. وما كنت عاقاً.

الأم: وأي عصيان أكبر من تسفيهك لآلهتنا؟ وأي عقوق أكبر من فجعتي فيك؟

مصعب: أنا لم أفعل ذلك يا أماه.

الأم: وما معنى تركك دين آبائك، واتباعك محمداً، وجلوسك معه في دار الأرقم تصلي صلاته وتقرأ كتابه. وما هذه الأوراق التي تحاول أن تخفيها عني؟ أليست من كتاب محمد؟

مصعب: بلى يا أماه.

الأم: أعطني هذه الأوراق (**تحاول أخذ الأوراق. مصعب يحول دون ذلك**).

مصعب: إذا أردت قرأتها لك يا أماه. وهذا ما كنت أنوي عمله.

الأم: متى؟ بعد أن صرنا حديث أهل مكة كلها؟

مصعب: أماه! أنت أعز الناس عندي. وأحب لك ما أحبه لنفسي. لذلك فقد كنت سأتلو عليك هذا الكلام، وأدعوك للدخول في هذا الدين الجديد.

الأم: خسئت! وهل أنا ضعيفة العقل مثلك؟

مصعب: أماه! إني لك ناصح.

الأم: ثكلتك أمك! هل جننت؟ هل صور لك عقلك المسلوب أن أمك «خناس بنت مالك» يمكن أن تدخل في هذا الدين الجديد لتضيع مكانتها وهيبتها بين أشراف مكة؟

مصعب: أعرف يا أماه أنك أنت من أنت بين أشراف مكة. أعرف يا أماه أن أعيان مكة وكبراءها يجلونك إلى حد الرهبة، ولكن هذا خير يا أماه ساقه إلينا محمد بن عبد الله...

(الأم ترفع يدها تهم بأن تسكت الابن بلطمة. ولكن يدها تظل معلقة. ثم تهوي إلى جانبها، وقد غلبتها عاطفة الأمومة).

الأم: تعرف أنني لم أضربك في حياتي. ولكنني سأعرف كيف أنتقم لآلهتنا إذا أنت لم ترجع عن هذا الدين.

مصعب: أماه! أنا ما عصيتك في حياتي. فلا تجبريني على مخالفتك في هذا الأمر. لأنني لا يمكن بعد أن هداني الله أن أعود إلى ضلالي القديم.

الأم: تسمي دين آبائك ضلالا، أيها الصابئ.

مصعب: أماه! ليتك تسمعين لي، ولا تحرمين نفسك هذا الفضل.

الأم: دعك من هذا الهراء ولا تجعلني أضطر لاستعمال العنف والقسوة.

مصعب: ومتى كان العنف يفلح فى تغيير القلوب، ولا سيما فيما يتعلق بالعقيدة؟

الأم: تتحداني يا مصعب؟!

مصعب: حاشا لله أن أتحداك يا أماه! ثم إن هذا الدين الجديد ينهانا عن جفاء الأب والأم ويأمرنا بطاعتهما إلا أن يأمرانا أن نشرك بالله. (**تاليا**): ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ (لقمان)

الأم: هذا هو الكلام الذي سحركم به محمد.

مصعب: إنه القرآن يا أماه. كلام الله.

الأم: ليكن إذاً! ما دام لي عليك حق الطاعة، وما دام قرآنك يأمرك بذلك، فاذهب أمامي (**تدفعه أمامها وهي في قمة الغضب**)

مصعب: إلى أين يا أماه؟

الأم: سأغلق عليك الحظيرة... سأحبسك مع الحيوانات حتى يعود إليك عقلك المسلوب.

المشهد الثالث

(أم مصعب على سرير المرض – خادمها عثمان)

الأم: ما خبر مصعب يا عثمان؟

عثمان: مولاتي، لقد عاد من الحبشة التي سافر إليها مع من سافروا من المسلمين.

الأم: آه! لولا غفلتك وبلادتك لما استطاع الفرار من الحظيرة التي حبسته فيها.

عثمان: مولاتي، لو لم يتمكن من الفرار بنفسه، لكنت أطلقت سراحه يا مولاتي.. فأنت أم!

الأم: ولكنني «خناس بنت مالك» قبل أن أكون أم مصعب. ولا أرضى أن يسفه أحد آلهتنا، وإن كان ابني الوحيد.

عثمان: المهم يا مولاتي، ماذا تنوين عمله الآن، وقد عاد مولاي مصعب.

الأم: سأحتال حتى أحبسه مرة أخرى. ولكنه لن يفر هذه المرة.

عثمان: مولاتي، لقد سمعت أنه توعد بقتل كل من يعاون على حبسه، فأرجوك أن تعفيني من هذه المهمة بحق الآلهة.

الأم: هل تصدق وعيده يا عثمان؟

عثمان: أنا أعرف مولاي مصعباً، كما أعرفك يا مولاتي! فلا تعرضيني لثورته وانتقامه.

الأم: إذاً، فليذهب إلى الجحيم. سأحرمه من كل أسباب النعيم الذي كان يرفل فيه، فلن أرضى أن يأكل طعامي إنسان هجر آلهة أجداده، واستحق لعنتها، وإن كان هذا الإنسان هو ابني مصعباً.

عثمان: لقد تغير مولاي مصعب كثيرا يا مولاتي. ولم يعد يهتم بنعيم ولا ثراء، ولا طعام ولا شراب، بل إنه لم يعد يهتم حتى بمظهره. إن من يراه الآن يا مولاتي لا يكاد يعرفه.

الأم: كيف يا عثمان؟

عثمان: إن مولاي مصعباً الذي كان في الماضي يزهو في ثيابه كزهور الحديقة النضيرة، ويختال في مشيته كالأمراء، ويفوح منه عبق العطور الهندية والفارسية، يراه الناس اليوم في ثوب بال مرقع، لا يكاد يستر جسده، يأكل يوما ويجوع يوما.

(يدخل مصعب في الهيئة التي وصفها عثمان – لقاء الأم والابن حار ولكن يشوبه التحفظ من الأم والحذر من الابن).

مصعب: أماه!

الأم: انظر ماذا صنع بك دينك الجديد. لولا صوتك وما سبق أن ذكره عثمان لما عرفتك.

مصعب: كيف حالك يا أماه؟

الأم: لا يغرك مرضي، فتظن أني قد أميل عن آلهتنا.

مصعب: يا أماه، إني لك ناصح وعليك شفوق. فاشهدي أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. أرجوك يا أماه!

الأم: (**غاضبة ثائرة**) قسما بالآلهة، لا أدخل في دينك فيزري برأيي، وأفقد مكانتي بين أشراف مكة.

مصعب: (**بصوت خفيض**) «إنك لاتهدي من أحببت.. ولكن الله يهدى من يشاء».

الأم: ألا تشتاق إلى طعام طيب وثوب جديد يا مصعب؟

مصعب: والله يا أمي لا أشتاق إلا إلى أن يهديك الله للإسلام.

الأم: حتى أصبح مثلك شعثاء غبراء خالية الوفاض.

مصعب: رب أشعث أغبر إذا تمنى على الله أبره. هذا هو ديننا الجديد يا أماه.

الأم: وثروات آبائك وأجدادك؟

مصعب: والله يا أمي إننا لا نعدل بديننا الجديد كنوز كسرى وملك الروم.

المشهد الرابع

(على مشارف المدينة المنورة – خالد – عبد الله – مصعب)

خالد: من هذا الشاب الوضيء الذي يشع النور من وجهه؟

عبد الله: هذا مصعب بن عمير، أول المهاجرين القادمين من مكة إلى المدينة.

خالد: هذا مصعب بن عمير، الذي كان من أغنى شباب مكة وأنعمهم عيشا؟

عبد الله: نعم، لقد ترك المال والجاه والرفاهة ودخل الإسلام، وزهد في الدنيا وما فيها.

خالد: الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام.

عبد الله: حتى أمه المسنة لم تستطع في مرضها أن ترده عن إسلامه.

خالد: لقد طلب مِنَ الرسول ﷺ أن يكون أول المسلمين المهاجرين إلى المدينة.

عبد الله: أنعم غلام في مكة يمشي في هذه البردة المرقوعة!

خالد: يا أخي إنه الإسلام الذي يقول: إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم.

عبد الله: لقد رآه رسول الله ﷺ في هذه الحال، فرق له قلبه وذرفت عيناه بالدموع.

(مصعب بن عمير يصل إلى حيث ينتظره أهل المدينة).

مصعب: السلام عليكم ورحمة الله!

خالد وعبد الله: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. (**يتعانقون**)

مصعب: رسول الله يقرئكم السلام!

خالد وعبد الله: وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته.

مصعب: وصلت أنا وأخي عمرو بن أم مكتوم

خالد: لقد نزلت سهلا وحللت أهلا. كيف حال رسول الله؟

مصعب: بخير، هو مكانه، وأصحابه على أثري...هاهو ذا بلال بن رباح وسعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر وصلوا هم أيضا.

خالد: أهلا، أهلا، بالأحبة أصحاب رسول الله . (**يتعانقون**)

مصعب: وصل عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبيﷺ فالتفتْ حولهم نساء المدينة وولدانها يهللن ويكبرن، ويصحن صيحات الفرح.

عبد الله: المدينة كلها في عيد، وهذا يوم سعيد.

خالد: النسوة في المدينة أشعن الخبر فى كل مكان، ويقلن: وصل رسول اللهﷺ وأصحابه.

المشهد الخامس

(أنس بن مالك – عبد الرحمن بن عوف)

أنس: كل يا عبد الرحمن بن عوف! **(عبد الرحمن يبكي)**

أنس: تبكي على الطعام يا بن عوف؟

عبد الرحمن: والله يا أخي يبكيني أني أخشى أن يكون الله قد عجل لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا.

أنس: لماذا تقول هذا يا عبد الرحمن؟

عبدالرحمن: لقد قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد وهو خير مني، فلم نجد ما نكفنه فيه إلا ثوبا واحدا، وقتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فلم نجد ما نكفنه فيه إلا بردة، إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا بها رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه، ونجعل على رجليه أوراقا من نبات الإذخر.

«ستار»

كونوا أمامي هذه المرة

بقلم: نزار سالم باحميد – اليمن

(مشهد تمثيلي يجسد مأساة الشعب الفلسطيني)

(أب و ابنه في غرفة ببيتهما يدور بينهما هذا الحوار).

الابن: أتذكر يا أبي كيف كنا عندما كان إخوتي يعيشون معنا هنا. كانت لنا قوة، وشوكة؟!

الأب: نعم ياولدي. و اليوم صرنا مطمعا للطامعين. و لكن لا، (**يقف**) يجب ألا نخضع ولا نستكين. نحن أقوياء. أقوياء بإيماننا، بإصرارنا على بقائنا في أرضنا، مهما تكن الظروف.

الابن: إلى متى سنظل هكذا يا أبي! إلى متى؟

الأب: سيكون الفرج قريبا بإذن الله، نعم، سيكون الفرج قريبا بإذن الله.

(طرق شديد على الباب، يقترب الابن من أبيه خائفا)

الأب: لاتخف يا ولدي. من؟

من الخارج: افتح!

الأب: من أنت؟

من الخارج: افتح و ستعرف من أنا!

الابن: لا تفتح يا أبي.

الأب: كن شجاعا يا ولدي (**يقترب من الباب وهو يفتح و هو يقول**) استر يا رب. **(يقتحم البيت جنود مسلحون)**

الأب: من أنتم؟ و ماذا تريدون؟

الضابط: ألا تعرف من نحن! نحن أصحاب هذا المنزل.. هيا، هيا اخرجوا.

الأب: (**مستغربا**) نخرج! كيف نخرج؟ بل أنتم اخرجوا.

الضابط: (**بسخرية**)عجيب أمرك. (**بحدة**) كيف تجرؤ على كلام كهذا؟

الأب: نعم هذا بيتنا، منزلنا، وليس لأحد أن يسكنه غيرنا.

الضابط: قلت لك: اخرج و إلا قتلتك.

الأب: لن تستطيع.

الضابط: (**يطلق رصاصة في الجو تهديدا**)

الابن: (**بصوت الخائف**) أبي!!

الأب: لا تخف يا ولدي.. (**للجنود**) يجب عليكم أن تخرجوا من هنا و في الحال.

الضابط: هه..

الأب: أنتم جبناء.

الضابط: الزم أدبك و لا تتجاوز حدك.

الأب: لماذا لِّم تأتني بمفردك، كنت لقنتك درسا لن تنساه.

الضابط: (**ضاحكا**) أنت.. هه هه. لست أنت ولا أمثالك. كم كررتم مثل هذا الهراء!

الأب: هذا ليس هراء. و لكنها الحقيقة، الحقيقة التي يجب أن تدركوها.

الضابط: كف عن هذا واستعد للرحيل.

الأب: (**بقوة**) لن أرحل. لن أرحل، وافعلوا ما بدا لكم.

الابن: (**مخاطبا نفسه**) أين أنتم يا إخوتي. ليتكم تدركون ما يجري لنا.

الضابط: إنهم يعلمون. ولكنهم لن يأتوا!

الابن: أنت كاذب.

الضابط: لقد قمنا بإسكاتهم، واليوم هم في صفنا!

الأب: أنت واهم. إنهم أبنائي. وما يجري في عروقهم دم من دمي. و سترى!

الضابط: و أين هم الآن؟

الأب: إنهم قادمون.

الضابط: هذا حلم.. و لن يتحقق.

الأب: إنهم يتحاورون مع أسيادك.

الضابط: (**يضحك بسخرية**) هذه مسرحية نحن وزعنا أدوارها.

الأب: سترحلون، سترحلون. إني أشعر بذلك.

الضابط: شعور جميل. و لكنه سيبقى مجرد شعور.

الابن: لا.. لا.. أنت كاذب.. أنت حاقد.. أنت ...

الضابط: (**مقاطعا**) دعه يسكت، و إلا سأسكته إلى الأبد.

الابن: اخرج اخرج يا محتل.. عن بيتي فوراً ارحل!

الضابط: لقد تجاوز هذا الابن حده. خذ (**ويقتله**)

الأب: (**يصرخ**) لا..

(يخرج الضابط ورفاقه ويبقى الأب وحيدا يندب ابنه)

الابن: (**وهو يموت**) لا تحزن يا أبي. لا تحزن.أخبر إخوتي أني لن أسامحهم، لن أسامحهم حتى يلتفوا حولك، ويمنعوا عنك هذا الظلم وهذا الصلف. لا تستسلم يا أبي فلا معنى للحياة بدون وطن. لا تستسلم و لو كان الثمن هو الحياة.. وداعا ياأبي وداعا يا وطني. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (**ويستشهد**)..

الأب: (**بصوت قوي و مدوٍّ**)ولـــدي...

الأبناء:(**يأتون من أماكن مختلفة**): لبيك يا أبي، لبيك يا أبي، لبيك يا أبي.

الأب: (**يقف**) يجب أن نثأر لأخيكم قبل كل شيء.

الأكبر: تقدم يا أبي. تقدم ونحن من خلفك.

الأب: لا. ولكن، كونوا أمامي هذه المرة!

(**يأخذ الأبناء أخاهم ويخرجون و أبوهم من خلفهم**).

«ستار»

عرس فلسطيني

بقلم: د. محمد رفعت زنجير– سورية

المكان: ساحة في فلسطين

الزمان: أيام الانتفاضة

(يبدو في الساحة امرأة، ومعها طفل صغير.. وهي تنظر إلى بعيد وتنادي.)

المرأة: عبدالله.. عبدالله.. **(يدخل طفل راكضا لاهثا، ويرتمي في أحضانها)**

عبدالله: أمي.. أمي..

المرأة: **(وهي تضمه إلى صدرها)** ابني.. حبيبي.. هل عدت؟ الحمد لله..

عبدالله: إنهم يتبعونني يا أمي..

المرأة: اختبئ هناك.. أسرع.. **(الولد يختبئ.. يدخل جنديان)**

الجندي ١: هيه.. أنت يا امرأة.. أين الطفل؟

المرأة: أي طفل!؟

الجندي ١: الذي مر من هنا.. للتوّ

المرأة: لم أر أحدا؟

الجندي ١: نعرف أنك ستنكرين..

المرأة: أنكر ماذا؟

الجندي ١: كلكم تكذبون..

المرأة: عم تتكلم؟!

الجندي ٢: وكأنها لا تعلم شيئا!

المرأة:..

الجندي ١: نسأل الطفل إذن!

المرأة: دع الطفل وشأنه.

الجندي ١: (**يجذبه منها بقوة**) هل رأيت طفلا يمر من هنا؟

الطفل: لا..

الجندي ٢: حتى الأطفال الصغار يحفظون دروسهم جيدا.

الجندي ١: إنها لا تفهم باللين..

الجندي ٢: نلجأ إلى الأسلوب اللائق إذن..

المرأة: حتى على النساء يا...

الجندي ١: يا.. ماذا؟

المرأة: يا سادة!

الجندي ٢: دلينا على الطفل إذن.

المرأة: أي طفل؟

الجندي ١: الذي مر من هنا قبل قليل.

المرأة: لم أر أحدا.

الجندي ٢: لا فائدة منها.

الجندي ١: لنمض.

المرأة: ولكن، لم تقولا لماذا تريدان الطفل؟

الجندي ١: اخرسي.. (**يخرج الجنديان، ثم يظهر عبدالله**)

عبدالله: أمي.. حبيبتي..

المرأة: ابني.. حبيبي.. (**تضمه إلى صدرها**) ماذا فعلت يا بني..؟

عبدالله: كنا نرشقهم بالحجارة.. أنا وأصحابي.

المرأة: لماذا تبعوك أنت؟

عبدالله: لقد أصبت أحدهم في وجهه..

المرأة: سلمت يداك يا حبيبي.. **(يدخل ثلاثة أطفال)**

الطفل ١: من هنا.. لنهرب من هنا.. قبل أن يدركونا

الطفل ٢: هيا.. بسرعة..

المرأة: هل عادوا..؟

الطفل ١: نعم.. اهربي يا خالة.. اهربوا جميعا..

(يخرج الجميع.. ويدخل ثلاثة جنود.. بينهم الجنديان السابقان)

الجندي ١: لقد هرب العفاريت.

الجندي ٢: هنا ساحة.. مفترق طرق.. لقد نجوا هذه المرة.. حسنا، سنمسكهم في المرة القادمة.

الجندي ٣: ماذا يريد منا هؤلاء العفاريت الصغار؟!

الجندي ١: إنهم مجانين.. وأهلهم مجانين.. تربوا على الحقد الأعمى والهمجية.

الجندي ٣: لكن ماذا يريدون منا؟! إنهم يرشقوننا بالحجارة كالمطر ينهمر ليل نهار.. لا يتوقف.. يهجمون كالصقور، ويهربون كالأشباح.. ماذا يريدون منا؟!

الجندي ١: لا أدري !

الجندي ٢: لا أدري !!

الجندي ٣: وأنا أيضا لا أدري !!!

صوت: أنتم كاذبون.. أنتم تعلمون ماذا يريد منكم هؤلاء الأطفال الأبرياء!!..

الجندي ١: ماذا يريدون؟

الصوت: يجب أن تعودوا إلى بلادكم، من حيث أتيتم، الذي جاء من أوروبا يعود إلى أوروبا.. والذي جاء من روسيا يعود إلى روسيا.. والذي جاء من أفريقيا يعود إلى أفريقيا.. والذي جاء من أمريكا يعود إلى أمريكا.. يجب أن تعودوا إلى بلادكم.. وتتركوا هذه البلاد لأهلها..

الجندي ٢: ولكن من أنت؟ أية جنية.. أو شيطانة أنت الأخرى ؟!

الصوت: لست جنية ولا شيطانة..

أنا الأرض ..

أنا فلسطين .. (**يختفي الصوت ولا يسمع**)

الجندي ٣: إنها مهزلة.. خدعة.. الأرض لا تتكلم.. هذه خرافة.. لن يصدقنا أحد لو زعمنا له ذلك..

الجندي ٢: أنت لنا أيتها الأرض.. (**يضربها بقدمه**) أنت لنا.. شئت أم لا.. شاء سكانك الأوباش أم أبوا.. أنت لنا.. أنت أرض الميعاد.. لأجلك تركنا أوطاننا.. وتخلينا عن ماضينا القريب، لنتصل بماضينا السحيق.. ولنقيم هنا هيكل سليمان.. وليخضع العالم كله لرب يهود.

الجندي ١: أنت تتكلم مع نفسك!؟

الجندي ٢: بل معها.. مع الأرض.. التي تقول ما لم يقله الرجال.. أنت لنا.. ولن تكوني لغيرنا.. سنسحق هؤلاء الأوباش..

الجندي ١: أتتكلم مع الأرض جادا!؟ (**يقهقه**)

الجندي ٢: لقد سمعت ما قالته..

الجندي ١: ولكني لم أسمع شيئا!

الجندي ٢: لأنك أصم.. (**للجندي ٣**) وأنت!؟ أسمعت أم لا!؟

الجندي ٣: لا أدري!

الجندي ٢: يجب أن تقول: نعم أو لا!

الجندي ٣: لا أدري

الجندي ٢: حسنا.. قلت أم لم تقل.. الأمر سواء.. إنها لنا ما دمنا قد قلنا ذلك..
وما دام ذلك هو أمر الرب. إنها تمنح حجارتها لهؤلاء الأطفال العفاريت..
حسنا.. ونحن نرد عليهم بنار أسلحتنا.. (**يدخل صحفي**).

الصحفي: لو سمحتم يا سادة.. أريد التحدث معكم..

الجندي ١: ونحن لا نريد الحديث مع أحد .

الصحفي: تسمحون بأخذ بعض الصور؟

الجندي ٢: التصوير ممنوع.

الصحفي: أنتم تقولون: إن إسرائيل دولة ديمقراطية..؟

الجندي ٣: هذا صحيح.. ماذا تريد؟

الصحفي: إجراء حديث.. مقابلة.. مع جنود إسرائيليين .

الجندي ٣: المقابلات تكون مع الجهات المسؤولة..

الصحفي: أريد انطباعكم أنتم عما يجري في الساحة..

الجندي ٣: أنت ترى كل شيء بنفسك..

الصحفي: أعني أن الانتفاضة..

الجندي ١: لقد عاد العفاريت.. (**يركض الجنود ويبقى الصحفي**)

الصحفي: ديمقراطية القهر والرصاص.. (**يضحك**).. لا يوجد ديمقراطية اليوم..
الدعاية اليهودية تضلل العالم.. (**يعود الجنود**)

الجندي ١: لقد هربوا..

الصحفي: نستأنف المقابلة.. لو سمحتم.. ماذا يريد منكم هؤلاء الأطفال.

الجندي ٢: سلهم، هم..

الصحفي: حسنا! أنا أقول لك.. لقد سألتهم.. إنهم يريدون الأرض والحرية.. يريدون حقهم في الحياة..

الجندي ٣: إنهم يتمتعون هنا بحقوقهم كلها..

الصحفي: ولكنكم تواجهون الأطفال بالعنف.. والحجارة، وبالرصاص..

الجندي ١: وماذا تريدنا أن نفعل!؟ هيه..؟! انتهت المقابلة.

الصحفي: يبقى سؤال أخير..

الجندي ٢: لقد عادوا (**رشق الحجارة**) (**يركضون خلف الأطفال، ويطلقون النار**)، (**تدخل المرأة ومعها الطفل الصغير**)

الصحفي: هيه.. أنت يا امرأة..

المرأة: ماذا تريد؟

الصحفي: هل تعتقدين بأنكم ستردون فلسطين بالحجارة!؟

المرأة: اسأل الأطفال.

الصحفي: إنهم لا يعرفون الكلام.. إنهم لا يعرفون سوى رشق الحجارة، هل تظنين بأن هذه الحجارة ستحقق لهم شيئا.

المرأة: لا أدري..

الصحفي: ولكن الجواب على الحجارة هو النار.. الرصاص الحارق.. والرصاص المطاط.. والقنابل الغازية، والمعتقلات النازية..

المرأة: يجب أن تتعرى هذه المرأة العاهرة..!

الصحفي: أي امرأة!؟

المرأة: إسرائيل! يجب أن يعرف العالم ما يجري هنا، لقد قتل الرجال.. وشرد الكثيرون.. والأطفال اليوم يدقون ضمير العالم.

الصحفي: العالم بلا ضمير؟!

المرأة: ضمير العالم نائم.. وسيصحو بطرق الحجارة.. لقد قلب هؤلاء الأطفال الموازين.. وشوهوا الحاسبات الإلكترونية.. الحق يعبر عن نفسه من خلالهم.

الصحفي: سأنقل ما يجري هنا إلى هناك.. إلى الغرب

المرأة: هذه مهنتك.. (**يدخل الأطفال لاهثين**) .

الطفل ١: الوحوش.. الأوباش.. (**يبكي**) .

المرأة: ماذا جرى يا ولدي؟

الطفل ٢: شيء فظيع يا خالة..

المرأة: ماذا جرى؟

الطفل ٣: لقد قتلوه.. أردوه برصاصهم.. الجبناء.. المتوحشون..

المرأة: ليقتلوه.. أما أنتم فلا تتوقفوا.. اجروا بسرعة .

الطفل ٢: إلى أين ؟!

المرأة: صوب المستقبل ..

(**يهرب الأطفال، ويدخل الجنود الثلاثة يجرون الطفل عبدالله صريعا**) .

المرأة: (**ترتمي على الطفل**) ابني.. حبيبي.. عبدالله..

الجندي ١: (**يركلها بقدمه**) ابنك؟ أهذا المجرم ابنك..؟!

المرأة: دعوني أمسح دمه بصدري.. دعوني أمرغ وجهي بقدميه.. دعوني ألثم رأسه.. ابني.. ابني.. (**تجهش بالبكاء**)، (**الجنود يجرون الطفل ويخرجون**)

الصحفي: (**يلتقط الصور**) هل هو ابنك؟

المرأة: كلهم أولادي! (**يجتمع بعض النساء والأطفال، وتجلس هي إلى طفل صغير**)، وأنت؟ ما اسمك يا حبيبي!؟ لا أعرف.. لا أريد سماع اسمك القديم.. لم أسمك

بعد ليكن اسمك عبدالله. أخوك لم يمت.. الشهادة حلم كبير.. (**تبكي..**) لن أبكي (**تتوقف عن البكاء**).. لست في مأتم.. لا أريد العزاء (**تضحك**) أريد التهنئة.. أنا في عرس.. عرس حقيقي.. عرس الشهادة.. كلهم أبنائي.. كلهم أطفالي.. كلهم أحبابي.. أنا أمهم.. أنا الأرض.. أنا فلسطين.. أنا فلسطين.. أنا فلسطين..

«ستار»